استنشاق
نسيم الأنس
تأليف
أبي الفرج عبد الرحمن
بن رجب



الرقم ١٦٣٧

مجموع فيه ١٤ كتاب

بسم الله الرحمن الرحيم هذه فهرست ما في هذا المجموع من النسخ

هذا كتاب استنشاق نسيم الانس من نفحات رياض القدس للامام ابي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى وصب عليه من سحائب فضله ووالى آمين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن يا كريم

قال الشيخ الامام العالم العلامة الاوحد شيخ الاسلام والسنة قامع البدعة بقية السلف الصالح وعمدة الخلف ابو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الامام القدوة ابي العباس احمد بن رجب الحنبلي رضي الله عنه وجزاه عن الامة خيرا الحمد لله الذي فتح على قلوب احبابه من فيح محبته فعبق فيهم نشره وفاح وشرح صدور اوليائه بنور معرفته فاشرق عليهم نوره ولاح احياهم بين رجائه وخشيته وغذاهم بولايته ومحبته فلا تسل عما هم فيه من السرور والافراح فسبحان من ذكره قوت القلوب وقرة العيون وسرور النفوس وروح الحيوة وحياة الارواح وتبارك الذي من خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب وترجى رحمته وتتنفس عن نفوس الخائفين الكروب وبروح محبته تطمئن القلوب وترتاح ما طابت الدنيا الا بذكره ومعرفته ولا الآخرة الا بقربه ورؤيته فلو حجب عن اهل الجنة لاستغاث اهل الجنة في الجنة كما يستغيث اهل النار في النار واعلنوا بالصياح فكل قلوب تألهت سواه فهي فاسدة ليس لها صلاح وكل صدور خلت من هيبته وتقواه فهي ضيقة ليس لها انشراح وكل نفوس اعرضت عن ذكره فهي مظلمة الارجاء والنواح الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح احمده ونشر ذكره كلما انشر فاح واشكره ومزيده على الشاكرين يتجدد بالغدو والرواح واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة استمدها سلاحا على الاعدا فنعم الجنة ونعمة السلاح واستعدها مفتاحا للباب دار البقا فما للجنة سواها مفتاح واشهد ان محمدا عبده ورسوله بعثه مفصحا بتوحيده اي افصاح موضحا لعبيده سبيل الهدى كل الايضاح فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرف بالله حتى ظهر توحيده في جميع النواح ويخوف بالله حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل الصلاح ويذكر بآلاء الله حتى انشرحت القلوب بمحبته اعظم انشراح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكون سببا للفلاح فحي على الصلاة وحي على الفلاح اما بعد فان الله تعالى خلق الخلق واوجدهم لعبادته

الجامعة لخشيته ورجائه ومحبته كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وانما يعبد سبحانه بعد العلم به ومعرفته فلذلك خلق السموات والارض وما
فيهما للاستدلال بهما على توحيده وعظمته كما قال تعالى الله الذي خلق سبع
سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
وان الله قد احاط بكل شيء علما **وقد علم** ان العبادة انما تنبني على ثلاثة اصول
الخوف والرجا والمحبة وكل منها فرض لازم والجمع بين الثلاثة حتم واجب فلهذا
كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها واهمل الآخرين **فان بدع الخوارج**
ومن اشبههم انما حدثت من التشديد في الخوف والاعراض عن المحبة والرجا
وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجا وحده والاعراض عن الخوف **وبدع**
كثير من اهل الاباحة والحلول ممن ينسب الى التعبد نشأت من افراد المحبة و
الاعراض عن الخوف والرجا **وقد** كثر في المتاخرين المنتسبين الى السلوك تجريد الكلام
في المحبة وتوسيع القول فيها بما لا يساوي على الحقيقة مثقال حبة اذ هو عار
عن الاستدلال بالكتاب والسنة وخال من ذكر من سلف من سلف الامة واعيان
الائمة وانما هو مجرد دعاوي قد تشرف باصحابها على مهاوي وربما استشهدوا
باشعار عشاق الصور وفي ذلك ما فيه من عظيم الخطر وقد يحكون حكايات العشاق
ويشيرون الى التادب بما سلكوه من الاداب والاخلاق **وكل هذا** ضرره عظيم
وخطره جسيم وقد يكثر ذكر المحبة ويعيدها ويبديها من هو بعيد عن التلبس
بمقاماتها ومباديها وما احسن قول ذي النون رحمه الله وقد ذكر عنده الكلام في
المحبة فقال اسكتوا عن هذه المسئلة لا تسمعها النفوس فتدعيها فان النفوس
ممتلئة من الكبر والفخر والغرور والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وكثير
ما تقترن دعوى المحبة بالشطح والادلال وما ينافي العبودية من الاقوال والافعال
وقد استخرت الله تعالى في جمع ما ورد في الكتاب والسنة وكلام اعيان
سلف الامة ومن سلك سبيلهم من العارفين الائمة في محبة الله جل وعلا و
علاماتها وطرقها ولوازمها ومقتضياتها وان كنت لا استقصي ذلك كله فانه
يطول جدا وانما اذكر منه ابوابا اعدها عدا وهي اثنا عشر بابا **الباب**
1 الاول في لزوم محبة الملك القدوس وتقديمها على الاموال والاولاد والنفوس **الباب**
2 الثاني في بيان ان من اعظم المطالب واهمها سؤال الله محبته على اكمل الوجوه واتمها
الباب الثالث في بيان الاسباب التي تستجلب بها محبة رب الارباب **الباب** ٣
الرابع

الرابع في علامات المحبة الصادقة من التزام طاعة الله والجهاد في سبيله ٤
واستحلاء الملامة في ذلك واتباع رسوله **الباب** الخامس في استلذاذ ٥
المحبين بكلام محبوبهم وانه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم **الباب** السادس ٦
في انس المحبين بالله وانه ليس لهم مقصود من الدنيا ولا الآخرة سواه **الباب** السابع ٧
في سهر المحبين وخلواتهم بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين **الباب** الثامن في ٨
شوق المحبين الى لقاء رب العالمين **الباب** التاسع في رضى المحبين بمر الاقدار ٩
تنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار **الباب** العاشر في ذكر خوف المحبين العارفين ١٠
وفضله على خوف سائر الخائفين **الباب** الحادي عشر في شرف اهل الحب وان ١١
لهم عند الله اعلا منازل القرب **الباب** الثاني عشر في نبذ من كلام اهل المحبة ١٢
وتحقيقهم تنفعه به القلوب على سلوك طريقهم **وسميته استنشاق** ما نفح
نسيم الانس من نفحات رياض القدس فان قلوب الاحباب تشتاق باستنشاق
نسيم الاقتراب **وقد خرج الطبراني** من حديث عمر بن عبد الغفار وهو
ضعيف عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر مرفوعا ان الله جل وعلا يقول للجنة
طيبي لاهلك ليزدادوا طيبا فذلك البرد الذي يجده الناس في السحر من ذلك
ويروى باسناد فيه ضعف عن مجاهد عن عطية عن ابي سعيد قال ان الله عز وجل
خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فقالت
طوبى لمن رضيت عنه فاطبقها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك الا الله
لا اله غيره يدخلها كل سحر فذلك برد السحر وخرجه الحاكم والبيهقي باسناد جيد
عن مجاهد من قوله مختصرا وانشد بعضهم

تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى ✤ ويصدع قلبي ان يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وانما ✤ هوى كل نفس حيث حل حبيبها

وقد قيل ان قلب المحب تحت فحمة الليل جمرة كلما هب عليه نسيم السحر التهب وانشدوا في هذا المعنى

يذكرني مر النسيم عهودكم ✤ فازداد شوقا كلما هبت الريح
اراني اذا ما اظلم الليل اشرقت ✤ بقلبي من نار الغرام مصابيح
اصلي بذكراكم اذا كنت خاليا ✤ الا ان تذكار الاحبة تسبيح
يشح فؤادي ان يخامر سره ✤ سواكم وبعض الشح في المرء ممدوح
وان لاح برق بالغوير تقطع السـ ✤ ـشقوق اذ على واد به البان والشيح

١ والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله **الباب الاول** في لزوم
محبة الملك القدوس وتقديمها على حب الاموال والاولاد والنفوس قال الله عز وجل قل
ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى
يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين **قال ابو عبد الله** محمد بن خفيف الصوفي
سألنا ابو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا محبة الله فرض او غير فرض قلنا فرض
قال ما الدلالة على فرضها فجمجمنا من اي بشيء يقبل فرجعنا اليه وسألناه ما الدليل
على فرض محبة الله عز وجل فقال قوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب
اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره قال فتوعدهم
الله عز وجل على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله والوعيد لا يقع الا على
فرض لازم وحتم واجب **وفي الصحيحين** عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي
نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين **وفي
الصحيحين ايضا** ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يا رسول الله والله لانت احب الي
من كل شيء الا من نفسي فقال لا يا عمر حتى اكون احب اليك من نفسك فقال والله لانت احب
الي من نفسي فقال الآن يا عمر **ومعلوم** ان محبة الرسول انما هي تابعة لمحبة الله جل وعلا
فان الرسول انما يحب موافقة لمحبة الله له ولامر الله بمحبته وطاعته واتباعه فاذا
كان لا يحصل الايمان الا بتقديم محبته على الانفس والاولاد والآباء والخلق كلهم فما الظن بمحبة
الله عز وجل **وذكر ابن اسحاق** عن المغيرة بن عثمان بن الاخنس عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب لما قدم المدينة فقال في خطبته احبوا من احب الله و
احبوا الله من كل قلوبكم **وقد جعل النبي** صلى الله عليه وسلم تقديم محبة الله ورسوله على
محبة غيرهما من خصال الايمان ومن علامات وجود حلاوة الايمان في القلوب **ففي الصحيحين**
عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة
الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان
يكره ان يعود في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي رواية النسائي
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وطعمه ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان
يحب في الله ويبغض في الله وان توقد نار فيقع فيها احب اليه من ان يشرك بالله شيئا
وفي مسند الامام احمد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله ما الايمان قال ان تشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان يكون الله ورسوله احب
اليك

اليك مما سواهما وان تحرق في النار احب اليك من ان تشرك بالله وان تحب غير ذي نسب لا تحبه الا لله
فاذا كنت كذلك فقد دخل حب الايمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ **وروي**
من حديث المقداد بن الاسود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب لله ورسوله صادقا من قلبه
ولقي المؤمنين فاحبهم ومن كان امر الجاهلية عنده كنار اججت فالقي فيها فقد طعم طعم الايمان او قال
بلغ ذروة الايمان **ومن هذا المعنى** ان الله تعالى قال يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات
مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فامر
بامتحانهن ليعلم ايمانهن فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحلفهن انهن ما خرجن الا حبا لله ورسوله لم
يخرجن رغبة في غير ذلك فيكون ذلك علما بايمانهن **قال ابن عباس** في هذه الآية كانت المرأة
اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم لتسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج الا حبا لله ورسوله وهو .
موجود في بعض نسخ الترمذي كذلك وخرجه البزار في مسنده وابن جرير وابن ابي حاتم و
لفظه حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة بارض عن ارض وبالله ما خرجت
التماس دنيا وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله **وخرج ابراهيم** ابن الجنيد الختلي في كتاب
المحبة باسناد ضعيف عن ابي هريرة مرفوعا قال الايمان في قلب الرجل ان يحب الله عز وجل ومن مراسيل
الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال راس الايمان المحبة لله عز وجل وطابع الايمان البر والعدل وتحقيق
الايمان باكرام ذي الدين وذي الشيبة **فصل** ومحبة الله سبحانه وتعالى على درجتين احدهما
فرض لازم وهي ان يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة ما فرضه الله عليه وبغض ما حرمه عليه و
محبة لرسوله المبلغ عنه امره ونهيه وتقديم محبته على النفوس والاهلين ايضا كما سبق والرضى بما
بلغه عن الله من الدين وتلقي ذلك بالرضى والتسليم ومحبة الانبيا والرسل والمتبعين لهم باحسان
جملة وعموما لله عز وجل وبغض الكفار والفجار جملة وعموما لله عز وجل وهذا القدر لا بد منه
في تمام الايمان الواجب ومن اخل بشيء منه فقد نقص من ايمانه الواجب بحسب ذلك قال الله
عز وجل فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما **وكذلك** ينقص من محبته الواجبة بحسب ما اخل به من ذلك فان المحبة الواجبة
تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات **وخرج ابو نعيم** من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان سالما يعني مولى أبي حذيفة شديد الحب لله لو كان
لا يخاف الله ما عصاه . يشير الى ان محبة الله تمنعه من ان يعصيه وذكر ابو عبيد في غريبه ان
عمر قال نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه قال الحسن ابن آدم احب الله يحبك الله واعلم
انك لن تحب الله حتى تحب طاعته وقال عبد الله بن حنيف قال رجل لرابعة اني احبك في الله قالت
فلا تعص الذي احببتني له وسئل ذو النون متى احب ربي قال اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر
وقال بشر بن السري ليس من اعلام الحب ان تحب ما يبغضه حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجوري كل
من ادعى محبة الله جل جلاله ولم يوافق الله في امره فدعواه باطلة وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور
وقال يحيى ابن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده وقال رويم المحبة الموافقة
في جميع الاحوال وانشد ⁘ ولو قلت لي مت مت سمعا وطاعة ⁘ وقلت لداعي الحق اهلا ومرحبا

وقد تقدم ان العبد لا يجد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله وحتى يكره ان يرجع الى
الكفر كما يكره ان يلقى في النار ولهذا المعنى كان الحب في الله والبغض في الله من اصول
الايمان وخرج الترمذي من حديث معاذ بن انس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى
لله ومنع لله واحب لله وابغض لله فقد استكمل ايمانه وخرجه الامام احمد وزاد فيه وانكح لله
وفي لفظ له ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن افضل الايمان قال ان تحب لله وتبغض لله و
تعمل لسانك في ذكر الله وخرج ابو داود من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن حديث ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال افضل الايمان الحب في الله والبغض في الله وخرج الامام احمد من حديث البرا بن
عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله ومن حديث
عمرو بن الجموح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد العبد حق صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض
لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولاية من الله ان اوليائي من عبادي واحبائي من خلقي
الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم وفي هذا المعنى احاديث كثيرة وروى ليث عن مجاهد عن
ابن عباس قال من احب في الله وابغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فانما تنال ولاية الله بذلك
ولن يجد عبد طعم الايمان وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد صارت عامة مواخاة
الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيا خرجه ابن جرير الطبري وخرج ايضا باسناده عن
ابن مسعود قال من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد توسط الايمان وخرج الحاكم
من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك اخفى من دبيب النمل على الصفا في
الليلة الظلما وادناه ان تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل وهل الدين الا الحب في الله
والبغض في الله قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال صحيح الاسناد و
فيه نظر ففي هذا الحديث ان محبة ما يبغضه الله وبغض ما يحبه الله من الشرك الخفي وروينا
من طريق الاصمعي عن سفيان عن ليث عن مجاهد انه قال في قوله تعالى يعبدونني لا يشركون بي شيا
قال لا يحبون غيري وحينئذ فلا يكمل التوحيد الواجب الا بمحبة ما يحبه الله وبغض ما
يبغضه الله وكذلك لا يتم الايمان الواجب الا بذلك ومن هنا يعلم ان الاخلال ببعض
الواجبات وارتكاب بعض المحرمات ينقص به الايمان الواجب بحسب ذلك كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن الحديث وروى الامام احمد من طريق الربيع
ابن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب قال من اصبح واكبر همه غير الله فليس من الله وقد روي
هذا مرفوعا من حديث انس باسانيد ضعيفة فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب
على كل مسلم وهي درجة المقتصدين اصحاب اليمين الدرجة الثانية درجة السابقين
المقربين وهي ان ترتقي المحبة الى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات وكراهة ما يكرهه من دقائق
المكروهات والى الرضى بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصائب وهذا فضل مستحب
مندوب اليه وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل
من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضت عليه ولا يزال
عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به

ويده

ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه
وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته
وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث علي بن ابي طالب وابن عباس وابي
امامة وعائشة رضي الله عنهم باسانيد فيها نظر وذكر ابن ابي الدنيا باسناده عن سهيل اخي حزم
قال بلغني عن عامر بن عبد قيس انه كان يقول احببت الله عز وجل حبا سهل علي كل مصيبة ورضاني
بكل قضية فما ابالي مع حبي اياه ما اصبحت عليه وما امسيت وقال ابراهيم بن الجنيد
حدثنا محمد بن الحسين حدثني عبد الله بن محمد التيمي ان رجلا قال للعابد اوصني او عظني فقال
اي الاعمال اغلب على قلبك فقال الرجل والله ما اجد شيا انفع للمحب عند حبيبه من المبالغة
في محبته وهل تدري ما ذلك ان لا يعلم شيا فيه رضاه الا اتاه ولا يعلم شيا فيه سخطه الا
اجتنبه فعند ذلك ينزل المحبون من الله منازل المحبة قال فصرخ العابد والسائل وسقطا
فقد تبين بما ذكرناه ان محبة الله اذا صدقت اوجبت محبة طاعته وامتثالها وبغض
معصيته واجتنابها وقد يقع المحب احيانا في تفريط في بعض المأمورات وارتكاب لبعض المحظورات
ثم يرجع على نفسه بالملامة وينزع عن ذلك ويتداركه بالتوبة وفي صحيح البخاري ان رجلا
كان يؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم قد شرب الخمر فقال رجل اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وقد روي عن الشعبي في قوله
عز وجل ان الله يحب التوابين قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا احب الله عبدا لم تضره
ذنبه وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه اذا احبه
ان يقول له اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك والمراد من هذا ان الله تعالى اذا احب عبدا
وقدر عليه بعض الذنوب فانه يقدر له الخلاص منها بما يمحوها من توبة او عمل صالح او
مصائب مكفرة كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذنب عبد ذنبا فقال اي رب
عملت ذنبا فاغفر لي فذكر الحديث الى ان قال فليعمل ما شاء والمراد ما دام على هذا كلما عمل
ذنبا اعترف به وندم عليه واستغفر منه فاما مع الاصرار عليه فلا ولكن المحبة
الصادقة الصحيحة تمنع من الاصرار على الذنوب وعدم الاستحيا من علام الغيوب وما
احسن قول بعضهم

شعر

تعصي الاله وتزعم حبه ❊ هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته ❊ ان المحب لمن يحب مطيع

الباب الثاني في بيان ان من اعظم المطالب واهمها سؤال الله تعالى محبته
على اكمل الوجوه واتمها روى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني ربي تبارك وتعالى
في احسن صورة يعني في المنام فذكر الحديث وقال في آخره قال سل قلت اللهم اني اسألك

فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني واذا اردت بقوم فتنة
فتوفني اليك غير مفتون واسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها وتعلموها خرجه الامام احمد والترمذي وقال
حسن صحيح وخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي بعض الروايات وحب عمل يبلغني حبك
وخرج البزار والطبراني والحاكم من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وخرج البزار
باسناد فيه ضعف عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وفي حديثه اللهم اني اسئلك حبك
وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي حتى اعلم انه لن
يصيبني الا ما كتبت لي ورضني بما قسمت لي وخرج الترمذي والحاكم من حديث ابي الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من دعاء داود عليه السلام اللهم اني اسئلك حبك وحب
من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد
قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر داود وحدث عنه قال كان داود اعبد البشر
قال الترمذي حديث حسن غريب وخرج الترمذي ايضا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي
الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني
حبه عندك اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما احب
فاجعله فراغا لي فيما تحب وقال حسن غريب وخرج ابن ابي الدنيا وغيره من رواية ابي بكر ابن
ابي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اجعل حبك احب الاشياء
الي واجعل خشيتك اخوف الاشياء عندي واقطع عني حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك و
اذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك هذا مرسل وخرج ابن ابي الدنيا
ايضا من رواية ابي بردة قال صليت الى جنب ابن عمر فسمعته حين يسجد يقول اللهم اجعل حبك
احب الاشياء الي وخوفك اخوف الاشياء عندي وخرجه ابو نعيم ولفظه اللهم اجعلك احب الاشياء
الي واخشى عندي وصح من رواية نافع عن ابن عمر انه كان يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه فيقول
اللهم اجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ويحب رسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني اليك
والى ملائكتك والى رسلك والى عبادك الصالحين في دعاء له كثير وروى ابراهيم ابن الجنيد في كتاب
المحبة له باسناده الى ابي الزاهرية قال كان داود عليه السلام يقول اللهم اجعلني من احبابك
فانك اذا احببت عبدا غفرت ذنبه وان كان عظيما وقبلت عمله وان كان يسيرا وباسناده عن
صالح بن مسمار قال بلغنا ان الله عز وجل ارسل الى سليمان بن داود عليهما السلام بعد موت
ابيه داود ملكا من الملائكة فقال له الملك ان ربي عز وجل ارسلني اليك لتسئله حاجة قال
سليمان فاني اسئل ربي ان يجعل قلبي يحبه كما كان قلب ابي داود يحبه واسئل الله تعالى ان
يجعل قلبي يخشاه كما كان قلب ابي داود يخشاه فقال الرب تبارك وتعالى ارسلت الى عبدي
ليسئلني حاجة فكانت حاجته الي ان اجعل قلبه يحبني واجعل قلبه يخشاني وعزتي لاكرمنه
فوهبه له

فوهب له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ثم قال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب و
ان له عندنا لزلفى وحسن مآب وعن سلام بن مسكين قال سمعت الحسن يقول اللهم املأ
قلوبنا ايمانا بك ويقينا بك ومعرفة بك ومعرفة وتصديقا بلقائك وحبا لك وشوقا الى لقائك و
عن عبد الواحد بن زيد انه كان يقول في دعائه اسئلك اللهم اركانا قوية على عبادتك و
اسئلك جوارح مسارعة الى طاعتك واسئلك هموما متعلقة بمحبتك وعن مرثد ابي
عامر عن الحسن بن الحسن بن علي انه كان يقول في دعائه اللهم ارزقني محبة لك تقطع بها عني محاب
الدنيا ولذاتها وارزقني محبة لك تجمع لي بها خير الاخرة ونعيمها اللهم اجعل محبتك آثر
الاشياء عندي واقرها لعيني واجعلني احبك حب الراغبين في محبتك حبا لا يخالطه حب هوى على
منه في صدري ولا اكثر منه في نفسي حتى يشتغل قلبي به عن السرور بغيره حتى يكمل لي به عندك
الثواب غدا في اعلا منازل المحبين لك يا اكرم قال وكان من خيار اهل البيت وكان يدعو
بهذا الدعاء في آخر كلامه وبكاء وعن عقبة بن فضالة قال كان ابو عبيدة الخواص يقول في
دعائه بعد ما كبر اللهم ارزقني حبا لك وحبا لطاعتك وحبا للمطيعين لك وحبا لاوليائك وحبا
لاهل محبتك وخدمتك اللهم ارزقني صبابة تغني به عندك في اعلا درجات العلى في منازل
المحبين لك قال وكان يبكي حتى يكاد يهمد وكان قد كبر جدا وعن ابي صخر عن محمد بن كعب القرظي
ان عمر بن عبد العزيز ارسل يوما اليه وعمر امير المدينة يومئذ فقال يا ابا حمزة آية اسهرتني
البارحة آية قال محمد وما هي ايها الامير فقال قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا من يرتد
منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الى قوله لومة لائم قال محمد انما عنى
الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الولاة من قريش من يرتد منكم عن دينه عن الحق فسوف ياتي
الله بقوم يحبهم ويحبونه هم اهل اليمن قال عمر يا ليتني واياك منهم قال آمين وروى ابن
ابي الدنيا باسناده عن سعيد بن صدقة ابي مهلهل قال اتاني آت في منامي فقال اتحب
الله قلت اي والله الذي لا اله غيره اني لاحبه واحب طاعته قال افلا تناديه نداء اولياءه
قلت وما هو قال قل يبهني الهي للخطر العظيم من محبتك يا بارئ النسم قال احمد بن ابي الحواري
حدثنا ابن قرة حدثنا حميد بن قائد قال كان بعض التابعين يقول الهي اعطيتني
من غير ان اسئلك فكيف تحرمني وانا اسئلك اللهم اني اسئلك ان تسكن عظمتك في
قلبي وان تسقيني شربة من كاس حبك قال احمد وحدثنا جعفر بن محمد عن ابيه قال كان
من دعاء مريم ام عيسى عليهما السلام اللهم املأ قلبي بك فرحا وغشه وجهي منك الحيا
وكان من دعاء بعض التابعين اللهم امت قلبي بخوفك وخشيتك واحيه بحبك وذكرك

الباب الثالث

في بيان الاسباب التي تستجلب بها محبة رب الارباب فمن
ذلك معرفة نعمة الله على عباده وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وهذا الكلام

بلغ

مروي عن ابن مسعود وروي عنه مرفوعا ولا يصح قال بعضهم اذا كانت القلوب جبلت على
حب من احسن اليها فوا عجبا لمن لا يرى محسنا غير الله كيف لا يميل بكليته اليه وقال
بعض السلف ذكر النعم يورث الحب لله عز وجل قال الفضيل اوحى الله الى داود عليه السلام
احببني واحب من يحبني وحببني الى عبادي قال يا رب هذا احبك واحب من يحبك فكيف
احببك الى عبادك قال تذكرني ولا تذكر مني الا حسنا ويروى عن كعب قال اوحى الله عز وجل
الى موسى عليه السلام اتحب ان تحبك احبتي وملائكتي وما ذرأت من الجن والانس قال نعم يا رب
قال حببني الى خلقي قال كيف احببك الى خلقك قال ذكرهم آلائي ونعمائي فانهم لا يذكرون مني الا
كل حسنة وعن ابي عبد الله الجدلي قال اوحى الله عز وجل الى داود عليه السلام يا داود احببني و
احب من يحبني وحببني الى الناس قال يا رب احبك واحب من يحبك فكيف احببك الى الناس قال
تذكرهم آلائي ونعمائي فلا يذكرون مني الا حسنا ويروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال احبوا الله لما يغذوكم من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي وهذا الحديث
موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي والحب على النعم من جملة شكر المنعم وهو واجب على من
انعم عليه ولهذا يقال ان الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ومن الاسباب ايضا
معرفة الله تعالى قال الحسن ابا ابي جعفر سمعت عتبة الغلام يقول من عرف الله تعالى
احبه ومن احب الله تعالى اطاعه ومن اطاع الله تعالى اكرمه ومن اكرمه الله تعالى اسكنه
في جواره ومن اسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه قال فلم يزل يقول وطوباه
وطوباه حتى خر ساقطا مغشيا عليه خرجه ابراهيم ابن الجنيد وقال بديل بن ميسرة
من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها خرجه الامام احمد وغيره ومن اعظم
اسباب المعرفة الخاصة التفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء قال الجوزجاني
حدثني صاحب لي عن جعفر بن سليمان قال كنا نكون عند مالك بن دينار عشية جمعة فكان
يجي خليفة العبدي بعد العصر فياخذ بعضادتي الباب فيقول يا ابا يحيى عليك السلام يا ابا يحيى
لو ان الله عز وجل لم يعبد الا عن رؤيته ما عبده احد لانه لا تدركه الابصار ولكن المؤمنون
تفكروا في مجيء هذا الليل اذا جاء فطبق كل شيء وملأ كل شيء ومجيء سلطان النهار وتفكروا
في مجيء النهار اذا جاء فملأ كل شيء وطبق كل شيء ومجيء سلطان الليل وتفكروا في السحاب
المسخر بين السماء والارض وتفكروا في الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وتفكروا في
مجيء الشتاء والصيف فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتى ايقنت قلوبهم
وحتى كانما عبدوا الله عن رؤية وكان شميط بن عجلان يقول دلنا ربنا على نفسه في هذه
الآية ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الآية انتهى و
في القرآن شيء كثير من التذكير بآيات الله الدالة على عظمته وقدرته وجلاله وكماله وكبريائه
ورأفته

ورأفته ورحمته وبطشه وقهره وانتقامه الى غير ذلك من صفاته العلى واسمائه الحسنى و
الندب الى التفكر في مصنوعاته الدالة على كماله فان القلوب مفطورة على محبة الكمال
ولا كمال على الحقيقة الا لله سبحانه وتعالى ولهذا كان السلف يفضلون التفكر على نوافل
البدن وروي ذلك عن الحسن وابن المسيب قال عمر بن عبد العزيز الفكرة في نعم الله
افضل العبادة وقال عبد الله بن محمد التيمي افضل النوافل طول الفكرة وكان اكثر عمل
ابي الدرداء الاعتبار والتفكر وكلام الامام احمد يدل على مثل هذا ايضا وقال ذو النون
تنال المعرفة بثلاث بالنظر في الامور كيف دبرها وفي المقادير كيف قدرها وفي الخلائق
كيف خلقها وسئل ابو سليمان الداراني فباي شيء تنال معرفة الله قال بطاعته قيل له
فباي شيء تنال طاعته قال به انتهى فكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له
ومحبته لطاعته وحصلت له لذة العبادة من الذكر وغيره على قدر ذلك وقد روى ابن
ابي الدنيا باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخبرني اهل الكتاب ان هذه الامة تحب الذكر
كما تحب الحمامة وكرها ولهم اسرع الى ذكر الله من الابل الى وردها يوم ظمئها وعن مالك
ابن دينار قال ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل وعنه قال قرأت في التوراة ايها
الصديقون تنعموا بذكري في الدنيا فانه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء وقال محمد بن كعب
القرظي وجدت في بعض الحكمة ايها الصديقون افرحوا بي وتنعموا بذكري وقال مسلم
ابو عبد الله ما تلذذ المتنعمون بشيء في صدورهم الذ من حب الله عز وجل ومحبة اهل ذكره وقال
احمد بن غسان قرأت في زبور داود عليه السلام احبوا الله يا صديقيه افرحوا ايها
الصديقون بالله وتنعموا بذكره وقال احمد ابن ابي الحواري عن ابي جعفر الرقي قال
ما فرح احد بغير الله الا بالغفلة عن الله عز وجل قال وحدثنا محمد عمن اخبره قال
رايت بالبصرة رجلا كثير الذنوب قليل الطعم جيد البدن فقلت له اراك كثير الذنوب
قليل الطعم جيد البدن قال ذلك من فرحي بحب الله عز وجل اذا ذكرت انه ربي وانا عبده
لم يمنع بدني ان يصلح وقال الفضل الرقاشي والله لو جمع للعباد جميع لذات الدنيا
بحذافيرها لكان امتهانهم انفسهم لله بطاعته الذ واحلى عندهم من ذلك كله وقال
ابراهيم ابن ادهم اعلا الدرجات ان يكون ذكر الله عندك احلى من العسل واشهى من
الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف وقال زهير البابي ان لله عبادا
ذكروه فخرجت نفوسهم له اعظاما واشتياقا وقوما ذكروه فوجلت قلوبهم فرقا وهيبة
له فلو احرقوا بالنار لم يجدوا مس النار وآخرون ذكروه في الشتاء وبرده فارفضوا عرقا
من خوفه وقوما ذكروه فحالت الوانهم غبرا وقوما ذكروه فجفت اعينهم سهرا وكان ابو
حفص النيسابوري اذا ذكر الله تغيرت عليه حاله حتى كان يرى ذلك منه جميع من حضره
ففعل ذلك مرة فلما رجع قال ما ابعد ذكرنا من ذكر المحققين فما اظن محققا يذكر الله من
غير غفلة ثم يبقى بعد ذلك حيا الا الانبياء فانهم ايدوا بقوة النبوة وخواص الاولياء

بقوة ولايتهم ومع هذا كله فلو كشف الغطا لتبين ان الامر اعظم واعظم فلهذا
يقول اهل الجنة اذا كشفت لهم الحجب ورأوه معاينة قالوا سبحانك ما عبدناك حق
عبادتك وفي حديث آخر ان لله ملائكة في السماء قياما الى يوم القيمة ترعد فرايصهم من
مخافته ما منهم ملك تقطر من عينيه دمعة الا وقعت على ملك يسبح ولله ملائكة سجودا
منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رؤسهم ولا يرفعونها الى يوم القيمة وصفوفا لم يتفرقوا
عن مقامهم الى يوم القيمة فاذا كان يوم القيمة تجلى لهم ربهم عز وجل فينظروا اليه تبارك
وتعالى فقالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك خرجه ابن ابي الدنيا والآجري مرفوعا و
روي نحوه من وجه آخر مرسلا وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا نحوه ايضا وفي
الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملائكة يطوفون في الطرق
يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم
قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء قال فيسألهم ربهم وهو اعلم بهم ما يقول عبادي قال يقولونا
يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل رأوني فيقولون لا والله ما رأوك
فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا اشد لك عبادة واشد تمجيدا وتحميدا
واكثر لك تسبيحا وذكر بقية الحديث واذا كان مخلوق يقول في مخلوق

وكنت ارى ان قد تناهى بي الهوى ۞ الى غاية ما فوقها لي مطلب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها ۞ تيقنت اني انما كنت العب

فكيف بالخالق الملك الحق العظيم الذي لا يقدر حق قدره ولا يحيط خلقه به علما ولا
يحصون ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه فصل ومن الاسباب الجالبة لمحبة الله عز و
جل معاملة الله بالصدق والاخلاص ومخالفة الهوى فان ذلك سبب لفضل الله على عبده
وان يمنحه محبته قال بشر الحافي قال فتح الموصلي من ادام النظر بقلبه ورثه ذلك
الفرح بالمحبوب ومن آثره على هواه ورثه ذلك حبه اياه ومن اشتاق اليه وزهد
فيما سواه ورعى حقه وخافه بالغيب ورثه ذلك النظر الى وجهه الكريم خرجه ابو
نعيم وغيره ويقال ان سري السقطي رحمه الله كان له دكان فاحترق السوق الذي فيه دكانه
ولم يحترق دكانه فاخبر بذلك فقال الحمد لله ثم تفكر في ذلك فرأى انه قد سر بعطب الناس
وسلامته فتصدق بما في دكانه فشكر الله له ذلك ورقاه الى درجة المحبة وسئل مرة
عن حاله فانشد ۞ من لم يبت والحب حشو فؤاده ۞ لم يدر كيف تفتت الاكباد
وبلغ من امره انه لما مرض رفع ماؤه الى الطبيب فلما رآه الطبيب قال هذا عاشق فصعق
حامل الماء وغشي عليه ونظروا الى جسده مرة وكان سقيما مضنيا فقال لو شئت ان
اقول هذا كله من محبته لقلت وسئل المرتعش بما تنال المحبة قال بموالاة اولياء الله
عز وجل ومعاداة اعدائه واصله الموافقة ومن اعظم ما يستجلب به المحبة كثرة الذكر
مع

مع الحضور وقال ذو النون من شغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق
اليه وقال ابرهيم بن الجنيد كان يقال من علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب
واللسان وقلما ولع المرء بذكر الله عز وجل الا افاد منه حب الله عز وجل ومما يستجلب
به المحبة تلاوة القرآن بالتدبر والتفكر ولا سيما الآيات المتضمنة للاسماء والصفات و
الافعال الباهرات ومحبة ذلك يستوجب به العبد محبة الله ومحبة الله له وفي الصحيحين
عن انس ان رجلا كان يصلي بهم ويختم قراءته بقل هو الله احد فامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يسئل عن ذلك فقال انها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اخبروه ان الله يحبه ومن اسباب المحبة تذكر ما ورد في الكتاب والسنة
من رؤية اهل الجنة لربهم وزيارتهم له واجتماعهم يوم المزيد فان ذلك يستجلب
به المحبة الخالصة وقد اشار الى ذلك الحسن قال لهم عن الحسن اوصيكم بتقوى الله
عز وجل وادمان التفكر فانه مفتاح خلال الخير كله وبه يخص الله كل موفق واعلموا ان
خير ما ظفر تم به من ركن من تفكر بخالصة الله وشرب بكأس حبه وان احباء الله
هم الذين ظفروا بطيب الحيوة وذاقوا لذة نعيمها بما وصلوا اليه من مناجات حبيبهم
وما وجدوا من حلاوة حبه في قلوبهم ولا سيما اذا خطر على بال احدهم ذكر مشافهته
وكشف ستور الحجب عنه في المقام الامين والسرور الدائم واراهم جلاله واسمعهم لذيذ منطقه
ورد عليهم جواب ما ناجوه به ايام حياتهم اذ قلوبهم به مشغوفة واذ مودتهم اليه
معطوفة واذهم له موثروه واليه منقطعون فليبشر المصغون له روذهم بالمنظر العجيب
بالحبيب فو الله ما اراه يحل العاقل ولا يجمل به ان يستوعبه سوى حب الله عز وجل خرجه
ابن ابي الدنيا وغيره الباب الرابع في علامات المحبة الصادقة من
التزام طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتباع
رسوله قال الله جل وعلا يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله
ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم وقال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم
فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة اوصاف احدها الذلة على المؤمنين والمراد
لين الجانب وخفض الجناح والرأفة والرحمة للمؤمنين كما قال تعالى لرسوله واخفض
جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ووصف اصحابه بمثل ذلك في قوله محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم وهذا يرجع الى ان المحبين لله يحبون
احباءه ويعودون عليهم بالعطف والرأفة والرحمة وقد سبق في الباب الاول بيان

ذالك الثاني العزة على الكافرين والمراد الشدة والغلظة عليهم كما قال تعالى يا ايها
النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا يرجع الى ان المحبين لله يبغضون
اعداءه وذالك من لوازم المحبة الصادقة كما سبق تقريره ايضا الثالث الجهاد
في سبيل الله وهو مجاهدة اعدائه باليد واللسان وذالك ايضا من تمام معادات اعدائه
الذي تستلزمه المحبة وايضا فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق الى الله وردهم الى
بابه بالقهر لهم والغلبة كما قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله الآية قال مجاهد وغيره يعني كنتم خير الناس للناس
فخير الناس للناس انفعهم لهم ولا نفع اعظم من الدعاء الى التوحيد والطاعة والنهي عن الشرك
والمعصية وسئل الحسن عن رجل لم يدام فاجرة فقال يقيدها فما وصلها بشيء اعظم من
ان يكفها عن معاصي الله تعالى قال ابراهيم ابن ادهم سمعت رجلين من الزهاد يقول احدهما
للآخر يا اخي ما ورث اهل المحبة من محبتهم قال فاجابه الآخر ورثوا النظر بنور الله والعطف
على اهل معاصي الله قال فقلت له كيف يعطف على قوم قد خالفوا امر محبوبهم فقال مقت
اعمالهم وعطف عليهم ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم واشفق على ابدانهم من النار لا
يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه الرابع انهم لا يخافون
لومة لائم والمراد انهم يجتهدون فيما يرضى به من الاعمال ولا يبالون بلوم من لامهم
في شيء منه اذا كان فيه رضى ربهم وهذا من علامات المحبة الصادقة ان المحب يشتغل بما
يرضى به حبيبه ومولاه ويستوي عنده من حمده في ذالك او لامه وفي هذا المعنى يقول
بعضهم

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ... متاخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة ... حبا لذكرك فليلمني اللوم

الخامس متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو طاعته واتباعه في امره ونهيه قال
مبارك ابن فضالة عن الحسن كان ناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يقولون يا رسول الله
انا نحب ربنا حبا شديدا فاحب الله ان يجعل لحبه علما فانزل الله تبارك وتعالى قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وقد قرن
الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره وكذالك ورد في السنة في احاديث كثيرة جدا قد سبق ذكر بعضها و
المراد ان الله تعالى لا توصل اليه الا من طريق رسوله صلى الله عليه وسلم باتباعه وطاعته
كما قال الجنيد وغيره من العارفين الطرق الى الله مسدودة الا من اقتفى اثر الرسول
صلى الله عليه وسلم وكلام ائمة العارفين في هذا الباب كثير جدا قال ابراهيم ابن الجنيد
يقال علامة المحب على صدق الحب ست خصال احدها دوام الذكر بقلبه بالسرور بمولاه

والثانية

ايثاره

والثانية ايثاره محبة سيده على محبة نفسه ومحبة الخلائق يبدا بمحبة مولاه
قبل محبة نفسه ومحبة الخلائق والثالثة الانس به والاستثقال لكل
قاطع يقطع عنه او شاغل يشغله عنه والرابعة الشوق الى لقائه والنظر
الى وجهه والخامسة الرضى عنه في كل شديدة وضر ينزل به والسادسة
اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين
احداهما فرض وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول من عند الله وتلقيه بالمحبة
والرضى والتعظيم والتسليم وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ثم حسن
الاتباع له فيما بلغه عن ربه من تصديقه في كل ما اخبر به وطاعته فيما امر به من
الواجبات والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه
بحسب القدرة فهذا القدر لابد منه ولا يتم الايمان بدونه والدرجة الثانية
وهي المحبة التي تقتضي حسن التاسي به وتحقيق الاقتداء بسنته في اخلاقه وآدابه
ونوافله وتطوعاته واكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لازواجه وغير
ذالك من آدابه الكاملة واخلاقه الطاهرة والاعتناء بمعرفة سيرته وايامه واهتزاز
القلب عند ذكره وكثرة الصلاة عليه لما سكن في القلب من محبته وتعظيمه وتوقيره و
محبة استماع كلامه وايثاره على كلام غيره من المخلوقين ومن اعظم ذالك الاقتداء به
في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها ورغبته في الآخرة قال سهل التستري
من علامات حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله
عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
ومن علامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا ياخذ منها الا زادا
يبلغه الى الآخرة فصل وقد ذكرنا في الباب الاول ان محبة الله عز وجل الواجبة
تقتضي محبة ما اوجب من الطاعات وامتثالها وكراهة ما كرهه من المحرمات واجتنابها
وان محبته المستحبة تقتضي محبة التقرب اليه بالنوافل والورع عن دقائق المكروهات
والمحبة الواجبة تقتضي ايضا مخالفة الهوى وايثار ما يحبه ويرضاه على ما تشتهيه
النفس وتهواه فاذا تمكنت المحبة في القلب وامتلأ القلب منها اخرجت من القلب
محبة كل ما يكرهه الله فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه فلم تنبعث
الجوارح الا الى الطاعات التي تقتضي التقرب الى الله وصارت النفس حينئذ مطمئنة
والى هذا الاشارة في الحديث الالهي فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقد سبق ذكره
وروى ابراهيم ابن الجنيد باسناده عن فرقد السبخي قال قرأت في بعض الكتب من
احب الله تعالى لم يكن شيء عنده آثر من هواه ومن احب الدنيا لم يكن شيء عنده آثر

من هوى نفسه والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ولم يسأم المحبون من طول اجتهادهم
لله عز وجل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه الى خلقه ويمشون بين عباده بالنصائح
ويخافون عليهم من اعمالهم يوم تبدو الفضائح اولئك اولياء الله واحباؤه واهل
صفوته اولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه وعن ثور بن يزيد قال نظر الله عز وجل
الى داود عليه السلام وهو وحداني منتبذ فقال ما لك وحدانيا قال عاديت الخلق فيك
قال اوما علمت ان من محبتي ان تعطف على عبادي وتأخذ عليهم بالفضل هنالك اكتبك
من اوليائي ومن احبائي فاذا كنت كذلك كتبتك في ديوان اهل المحبة وعن عبيد الله
ابن محمد التيمي قال سمعتهم يذكرون عن بعض اولئك القدام انه قال ان العمل على المخافة
قد يغيره الرجاء والعمل على المحبة لا يدخله الفتور وعن عبد الله بن ابي نوح قال سمعت
رجلا من العباد يقول في كلامه اذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من
مناجاتك وذكرك وعن ابي جعفر المحبوبي قال ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه
ولا يسأم من خدمته فاذا اعرض اعرض عنه واذا اقبل الى الله اقبل عليه برأفته
ورحمته وعن مسلم ابي عبد الله قال من احب الله عز وجل آثر هوى الله عز وجل
على هوى محبة نفسه ومن خشي الله تعالى خرج من الدنيا بحسرات والمؤمن
من الله عز وجل بمنزلة كل خير بين خوف وشفقة وطاعة ومحبة وعن الفضيل ابن
عياض قال الحب افضل من الخوف الا ترى اذا كان لك عبدان احدهما يحبك والآخر
يخافك فالذي يحبك منهما ينصحك شاهدا كنت او غائبا لحبه اياك والذي يخافك عسى
ان ينصحك اذا شهدت لما يخاف ويغشك اذا غبت ولم ينصحك وعن سعيد ابن
عمران بن زرارة قال سمعت كلاب ابن جري يقول لرجل من الطفاوة وهو يوصيه
بطرائق البر فقال له فيما يقول * وكن لربك ذا بر لتخدمه * ان المحبين للاحباب خدام
قال فصاح الطفاوي صيحة فخر مغشيا عليه وعن ابي عبد الرحمن المغازلي قال
لا يعطى طريق المحبة غافل ولا ساه المحب لله عز وجل طائر القلب كثير الذكر متسبب
الى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دوبا دوبا وشوقا شوقا
وعن محمد بن النضر الحارثي قال ما يكاد يمل القربة الى الله عز وجل محب لله عز وجل ولا
يكاد يسأم من ذلك وقال محمد بن نعيم الموصلي ان القلب الذي يحب الله يحب التعب
والنصب لله انه لن ينال حب الله بالراحة وذكر ابن ابي الدنيا باسناده ان رجلا قال
لبعض العارفين اوصني قال افتش فعل الخيرات وتوصل الى الله بالحسنات فاني لم
ار شيئا قط ارضى للسيد مما يحب فبادر في محبته يسرع في محبتك ثم بكى فقال له
زدني رحمك الله قال الصبر على محبة الله وارادته رأس كل بر او قال كل خير واجتمع
احمد

احمد ابن ابي الحواري وقاسم الجوعي وجماعة من الصالحين بعد صلاة العتمة
وقد خرجوا من المسجد الى بيت رجل قد دعاهم الى طعام صنعه لهم فانشدهم رجل قبل
دخول الباب * علامة صدق المستخصين بالحب * بلوغهم المجهود في طاعة الرب *
* وتحصيل طيب القوت من مجتنائه * وان كان ذاك القوت في مرتقى صعب *
فلم يزل يردده وهم قيام حتى اذن مؤذن الفجر ورجعوا الى المسجد وقد رويت بيتان
آخران مع هذين البيتين وهما وليس
* وامساك سوء اللفظ عن وله جنسهم * وان ظلموا فالعفو من ذاك بالخطب *
* اولئك بالرحمن قرت عيونهم * وحلوا من الاخلاص بالمنزل الرحب *
وقال بشر اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم ابو عبد الله فقال رجل من الازد
* ما للمحب سوى ارادة حبه * ان المحب بكل بر يضرع * (لعله يصدع)
قال فبكى مسلم حتى خشيت والله ان يموت خرجه ابن ابي الدنيا

الباب الخامس في استلذاذ المحبين بكلام محبوبهم وانه غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم

خرج ابن ماجة والترمذي من رواية موسى بن عبيدة عن سعيد المقبري عن
الادرع السلمي قال كان رجل يقرأ قراءة عالية فمات بالمدينة فحملوا نعشه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارفقوا به رفق الله به انه كان يحب الله ورسوله قال وحضر
حفرته فقال اوسعوا له وسع الله عليه فقال بعض الصحابة يا رسول الله لقد حزنت
عليه قال اجل انه كان يحب الله ورسوله وروى ابو اسحاق عن عبد الرحمن ابن يزيد
عن ابن مسعود قال لا يسأل احد عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فانه
يحب الله ورسوله ورواه الحر بن مالك عن شعبة عن ابي اسحق عن ابي الاحوص
عن عبد الله مرفوعا من سره ان يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف والموقوف اصح و
رويناه من طريق سلمة بن كهيل عن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود قال من كان
يحب ان يعلم انه يحب الله عز وجل فليعرض نفسه على القرآن فمن احب القرآن فهو يحب
الله عز وجل فانما القرآن كلام الله عز وجل فمن احب القرآن فهو يحب الله عز وجل
وقال احمد بن ابي الحواري سمعت ابن عيينة يقول لا تبلغون ذروة هذا الامر
حتى لا يكون شيء احب اليكم من الله عز وجل فمن احب القرآن فقد احب الله عز وجل
قال احمد بن ابي الحواري سمعت يحيى بن حفص يذكر عن عروة الرقي قال حب الله
عز وجل حب القرآن وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل بسنته وقال ابو سعيد
الخراز من احب الله عز وجل احب كلامه ولم يشبع من تلاوته وقال ابو طالب المكي

قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن قال وروينا عن ابي تراب النخشبي هذه الابيات

لا تخدعن فللحبيب دلائل ... ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه ... وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة ... والفقر اكرام وبر عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه ... طوع الحبيب وان الح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما ... والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما ... لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا ... متحفظا في كل ما هو قائل

وقال ابو طالب حدثونا عن بعض المريدين قال وجدت حلاوة المناجاة في سر الارادات فادمت على قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقني فترة فانقطعت عن التلاوة فسمعت قائلا يقول في المنام ان كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي اما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي الاولى

الباب السادس في انس المحبين بالله وانه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه

ثبت في الصحيحين والسنن والمسانيد من غير وجه ان جبريل سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال بعض العارفين من السلف من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص فهنا مقامان احدهما الاخلاص وهو ان يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله اياه واطلاعه عليه وقربه منه فاذا استحضر العبد ذلك في عمله وعمل على هذا المقام فهو مخلص لله لان استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات الى غير الله وارادته بالعمل والثاني المعرفة التي تستلزم المحبة الخاصة وهو ان يعمل العبد على مشاهدة الله بقلبه وهو ان يتنور قلبه بنور الايمان وتنفذ بصيرته في العرفان حتى يصير الغيب عنده كالعيان وهذا هو مقام الاحسان المشار اليه في حديث جبريل عليه السلام ويتفاوت اهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر وقد فسر طائفة من العلماء المثل الاعلى المذكور في قوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض بهذا ومثله قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية وقد فسرها ابي بن كعب وغيره من السلف بان المراد مثل نور الله في قلب المؤمن ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله

الايمان

الايمان في قلبه وهذا الحديث روي مرسلا وروي مسندا متصلا لكن من وجوه ضعيفة وخطب عروة الى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه بشيء ثم رآه بعد ذلك فاعتذر اليه وقال كنا في الطواف نتخايل الله بين اعيننا اخرجه ابو نعيم وغيره ويتولد من هذين المقامين للعارفين مقام الحيا من الله عز وجل وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سئل عن كشف العورة خاليا فقال الله احق ان يستحيى منه وقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم الى دوام استحضار معية الله وقربه وروي الحيا منه بذلك في غير حديث كما دل عليه قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم الآية وقوله تعالى وما تكون في شان وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه الآية وخرج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضري ان رجلا قال يا رسول الله ما تزكية المرء نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيث كان وخرج الطبراني من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث كنت وباسناد فيه نظر من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله رجل حيث توجه علم ان الله معه ومن حديث سعيد بن يزيد الازدي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال اوصيك ان تستحيي من الله كما تستحيي رجلا صالحا من صالحي قومك ورويناه باسناد فيه ضعف من حديث ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استحي من الله استحياءك من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك وفي هذا المعنى يقول بعضهم

كان رقيبا منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني
فما ابصرت عيناي بعدك منظرا ... لغيرك الا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من فيّ بعدك لفظة ... لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة ... على القلب الا عرجا بعناني
اذا ما تسلى القاعدون عن الهوى ... بذكر فلان او كلام فلان
وجدت الذي يسلي سواي يشوقني ... الى قربكم حتى امل مكاني
واخوان صدق قد سئمت لقاءهم ... وغضضت طرفي عنهم ولساني
وما البغض اسلى عنهم غير انني ... اراك على كل الجهات تراني

ويتولد من ذلك ايضا الانس بالله والخلوة لمناجاته وذكره واستثقال ما يشغل عنه من مخالطة الناس والاشتغال بهم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

٢٠ قال ان احدكم اذا كان يصلي فانما يناجي ربه او ربه بينه وبين القبلة وانه قال ان الله قبل وجهه اذا صلى وفي حديث الحارث الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت وفي حديث ابي هريرة وابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه وصح من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وان اقترب الي شبرا اقتربت اليه ذراعا وان اقترب الي ذراعا اقتربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وروينا باسناد فيه نظر عن انس مرفوعا اذا احب احدكم ان يحدث ربه فليقرأ

وقال ثور بن يزيد قرأت في التوراة ان عيسى عليه السلام قال يا معشر الحواريين كلموا الله كثيرا وكلموا الناس قليلا قالوا كيف نكلم الله كثيرا قال اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه خرجه ابو نعيم والتوراة جنس للكتب المتقدمة كلها وتسمى ايضا انجيلا وقرآنا وخرج ايضا باسناد فيه ضعف عن رياح قال كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليلة الف ركعة حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعة فاذا صلى العصر احتبى فاستقبل القبلة ويقول عجبت للخليقة كيف انست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وروينا من حديث ابي اسامة قال دخلت على محمد بن النضر الحارثي فرأيته كانه ينقبض فقلت كأنك تكره ان تؤتى قال اجل قلت او ما تستوحش قال كيف استوحش وهو يقول انا جليس من ذكرني وقال بكر المزني من مثلك يا ابن آدم خلي بينك وبين المحراب والماء كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان خرجه عبد الله بن الامام احمد وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن شميط ابن عجلان قال ان الله وسم الدنيا بالوحشة ليكون انس المنقطعين به وعن حبيب ابي محمد انه كان يخلو في بيته ثم يقول من لم تقر عينه بك فلا قرت ومن لم يأنس بك فلا انس وعن زكريا بن عدي قال سمعت عابدا باليمن يقول سرور المؤمن ولذته في الخلوة بمناجاة سيده عز وجل وعن احمد بن ابي الحواري قال حدثني ابو عبد الرحمن الازدي قال مررت برجل ببيروت مد لي الرجلين في البحر يكبر فقلت يا شاب ما لك جالس وحدك قال اتق الله ولا تقل الا حقا ما كنت قط وحدي منذ ولدتني امي ان معي ربي عز وجل حيث ما كنت ومعي ملكان يحفظان علي وشيطان ما يفارقني فاذا عرضت لي حاجة الى ربي سألته اياها بقلبي فجاءني بها وعن ابراهيم ابن ادهم قال اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا

٢١ جانبا وعن عبد الواحد بن زيد قال كان اصحاب غزوان يقولون له ما يمنعك عن مجالسة اخوانك فيبكي ويقول اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي وعن مسلم بن يسار قال ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبي وكانت رابعة تسميه سيد العابدين انه قيل له ما بقي مما يتلذذ به قال سرداب اخلو بربي فيه وعن مسلم العابد قال لولا الجماعة يعني الصلاة في الجماعة ما خرجت من بابي ابدا حتى اموت وقال ما يجد المطيعون لله لذة في الدنيا احلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ولا احب لهم في الآخرة من عظيم الثواب اكبر في صدورهم والذ في قلوبهم من النظر الى الله ثم غشي عليه وعن شعيب بن حرب قال دخلت على مالك بن مغول وهو جالس في بيته وحده فقلت الا تستوحش قال او يستوحش مع الله احد وعن يحيى بن سعيد قال قال نصر ابن يحيى ابن ابي كثير وكان من الحكماء لم نجد شيئا ابلغ من الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في قلب العبد ومن ثبت ذلك في قلبه انسه بالوحدة فانس بها واستوحش من المخلوقين فاول ما يهيج من حب الخلوة طلب العبد الاخلاص والصدق في جميع قوله وفعله فيما بينه وبين ربه ويهيج منها الزهد في معرفة الناس والانس بالله تبارك وتعالى ويهيج منها الوحشة من الناس والاستثقال لكلامهم والانس بكلام رب العالمين ويروى عن ابراهيم بن ادهم قال اعلى الدرجات ان تنقطع الى ربك وتستأنس اليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك حتى لا ترجو الا ربك ولا تخاف الا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر شيئا عليه فاذا كنت كذلك لم تبال في بر كنت او في بحر او في سهل او في جبل وكان شوقك بلقاء الحبيب شوق الظمآن الى الماء البارد وشوق الجائع الى الطعام الطيب ويكون ذكر الله عز وجل عندك احلى من العسل واشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف وقال الفضيل طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله انيسه وقال ابو سليمان لا آنسني الله الا به ابدا وقال رجل لمعروف الكرخي اوصني قال توكل على الله حتى يكون جليسك وانيسك وموضع شكواك واكثر ذكر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره واعلم ان الشفاء لما نزل بك كتمانه وان الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك وقال سعيد بن عثمان سمعت ذا النون يقول من علامات المحب لله ترك كل ما يشغله عن الله حتى يكون الشغل بالله وحده ثم قال ان من علامات المحبين لله ان لا يأنسوا بسواه ولا يستوحشوا معه ثم قال اذا سكن حب الله القلب انس بالله لان الله اجل في صدور العارفين من ان يحبوا سواه وكانت رابعة العدوية تنشد هذين البيتين

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ۞ وابحت جسمي من اراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ۞ وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي ۞
وروي بعض العارفين يصلي في مكان وحده فلما سلم قيل له ما معك مؤنس
قال بلى قيل له اين هو قال امامي وخلفي ومعي وعن يميني وعن شمالي وفوقي قيل
له معك زاد قال نعم الاخلاص قيل له اما تستوحش في وحدتك قال ان الانس بالله
قطع عني كل وحشة حتى لو كنت بين السباع ما خفتها وقال بعض العارفين عجبت لمن
عرف الطريق الى الله كيف يعيش مع غيره والله تعالى يقول وانيبوا الى ربكم واسلموا له
ولو استقصينا ما في هذا الباب من الاخبار والآثار لطال الكتاب جدا ومن
الانس بالله عز وجل الانس بكلامه وذكره والانس بالعلم النافع الذي بلغه
رسوله عنه روى ابو نعيم باسناده عن ذي النون قال الانس بالله نور ساطع
والانس بالناس غم واقع قيل لذي النون ما الانس بالله قال العلم والقرآن ومن
كلام الفضيل ابن عياض كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله
صاحبا ودع الناس جانبا وقال من لم يستأنس بالقرآن فلا انس الله وحشته و
قد روي من حديث انس مرفوعا علامة حب الله حب ذكره وعلامة بغض الله بغض
ذكره من طريقين غير صحيحين وكان فتح الموصلي يقول المحب لله لا يجد مع حب الله
عز وجل لله نتا لذة ولا يغفل عن ذكر الله عز وجل طرفة عين خرج ابرهيم ابن الجنيد
وخرج ايضا باسناده عن الربيع ابن انس عن بعض اصحابه قال علامة حب الله كثرة
ذكره فانك لن تحب شيأ الا اكثرت ذكره وعلامة الدين الاخلاص لله عز وجل وعلامة
العلم خشية الله عز وجل وعلامة الشكر الرضى بقضاء الله عز وجل والتسليم للقدر و
مما ينشا من معرفة الله ومحبته الاكتفاء به والاستغناء به عن خلقه ومنه
قول احمد بن عاصم الانطاكي من عرف الله عز وجل اكتفى به ومن لم يعرفه اكتفى بخلقه
دونه فطال غمه وكثرت شكايته ومن احب الله لم يكن في قلبه فضلة لحب احد
ولو اراد لم يترك ومنه قول علي ابن الكاتب اذا انقطع العبد الى الله بالكلية فاول
ما يفيده الاستغناء به عمن سواه ومنه قول بعض العارفين من لزم الباب
اثبت في الخدم ومن استغنى بالله امن من العدم وفي بعض الاسرائيليات يقول
الله عز وجل ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك
فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء وانشد ابو الحسن ابن سيار الزاهد
تنقضي الدنيا وتفنى ۞ والفتى فيها معنا ۞ ليس في الدنيا نعيم ۞ لا ولا عيش ممكنا ۞
يا غنيا بالدنانير ۞ محب الله [illegible] اغنى ۞ ولبعضهم وكم
عنك اومنك

وكم كنت اخشى الفقر حتى وجدتكم ۞ فصرت اذل المفلسين عليكم ۞
فصل وهم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله والنظر الى
وجهه في دار كرامته والقرب منه وقد سبق قول مسلم العابد في ذلك وقال
عبد الواحد بن زيد عن الحسن لو علم العابدون انهم لا يرون ربهم يوم القيمة
لماتوا وفي رواية عنه قال لذابت انفسهم وقال ابرهيم الصائغ ما سرني ان لي نصف
الجنة بالرؤية ثم تلا كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وخرجه ابن ابي حاتم وروى
ابن منده باسناده عن عبد الله بن وهب قال لو خيرت بين دخول الجنة والنظر
الى ربي عز وعلا لاخترت النظر اليه سبحانه وتعالى وقال غزوان الرقاشي في قوله
ولدينا مزيد قال ما يسرني بحظي من المزيد الدنيا جميعها خرجه الامام احمد رضي الله
عنه وخرج ايضا باسناده عن حبيب ابي محمد قال لان اكون في صحراء ليس علي الا ظلمة
وانا جار لربي عز وجل احب الي من جنتكم هذه وقوله من جنتكم هذه توبيخ لمن تعلق
همته من العباد بانواع نعيم الجنة المتعلق بالمخلوقات فيها مقتصرا على ذلك و
لهذا كان ابو سليمان يقول الدنيا عند الله اقل من جناح بعوضة فما قيمة جناح
البعوضة حتى يزهد فيها انما الزهد في الجنة والحور العين وكل نعيم خلقه الله و
يخلقه حتى لا يرى الله في قلبك غيره وكان يقول اهل المعرفة دعاة وهم غير دعاء
الناس وهمهم من الآخرة غيرهم الناس وسئل عن اقرب ما يتقرب به العبد الى الله
عز وجل فبكى وقال مثلي يسال عن هذا افضل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل ان يطلع على
قلبك وانت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره وقال لو لم يكن لاهل المعرفة الا هذه
الآية الواحدة لاكتفوا بها وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقال اي شيء لا اي
ارادا اهل المعرفة ما ارادوا اكلهم الا ما سال موسى عليه السلام وذكر ابن ابي الدنيا باسناده
عن مسمع ابن عاصم قال اختلف العابدون عندنا في الولاية فتكلموا في ذلك كلاما كثيرا
واجتمعوا على ان ياتوا امراة من بني عدي يقال لها امة الجليل بنت عمرو وكانت
منقطعة جدا من طول الاجتهاد فاتوها فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا فقالت
ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة
ثم اقبلت على كلاب بن جري فقالت من حدثك او اخبرك ان وليه له همة غيره فلا تصدقه
قال مسمع فما كنت اسمع الا التصارخ من نواحي البيت وروى ابرهيم ابن الجنيد
عن محمد بن الحسين قال حدثني حكيم ابن جعفر قال قال ضيغم لكلاب ان حبه شغل قلوب
مريديه عن التلذذ بمحبة غيره فليس لهم مع حبه لذة تداني محبته ولا يكون في
الآخرة من كرامة الثواب اكبر عندهم من النظر الى وجهه قال فسقط كلاب عند
ذلك مغشيا عليه وروى باسناده عن عبد العزيز بن سليمان العابد انه كان يقول

في كلامه انت ايها المحب تزعم ان محبتك لله تحقيق اما والله لو كنت كذلك
لضاقت عليك الارض برحبها حتى تصل الى رضى حبيبك والى النظر الى وجهه في دار
كبريائه وعزه قال ولقد كان اذا اخذ في هذا النعت سمعت التصارخ من نواحي
المسجد وقال حبيب الفارسي ليزيد الرقاشي باي شي تقر عيون العابدين في
الدنيا وباي شي تقر عيونهم في الآخرة فقال اما الذي تقر عيونهم به في الدنيا
فما اعلم شيأ اقر لعيون العابدين من التهجد في ظلمة الليل واما الذي تقر
اعينهم به في الآخرة فما اعلم شيأ من نعيم الجنان وسرورها الذ عند العابدين
ولا اقر لعيونهم من النظر الى ذي الكبرياء العظيم اذا رفعت تلك الحجب وتجلى لهم
الكريم فصاح حبيب عند ذلك صيحة وخر مغشيا عليه وكان علي ابن
الموفق كثيرا ما يقول اللهم ان كنت تعلم اني اعبدك خوفا من نارك فعذبني
بها وان كنت اعبدك شوقا الى جنتك فاحرمنيها وان كنت تعلم اني انما
اعبدك حبا مني لك وشوقا الى وجهك الكريم فابحنيه واصنع بي ما شئت
وكانت رقية الموصلية تقول اني لاحب ربي حبا شديدا فلو امر بي الى النار
لما وجدت للنار حرا مع حبه ولو امر بي الى الجنة لما وجدت للجنة لذة مع حبه
لان حبه هو الغالب علي وكانت تقول الهي وسيدي ومولاي لو انك عذبتني
بعذابك كله لكان ما فاتني من قربك اعظم عندي من العذاب ولو نعمتني بنعيم
الجنة كله لكانت لذة حبك في قلبي اكثر ومن كلام ذي النون ما طابت الدنيا
الا بذكره ولا طابت الآخرة الا بعفوه ولا طابت الجنان الا برؤيته قال احمد
ابن ابي الحواري حدثنا محمد بن يحيى الموصلي قال سمعت نافعا وكان من عباد
الجزيرة يقول ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة مني اليه ثم يقول لي يا نافع كن
ترابا وفي هذا المعنى يقول القائل

وحرمة الود ما لي عنكم عوض ۞ وليس لي في سواكم سادتي غرض
وقد شرطت على قوم صحبتهم ۞ بان قلبي لكم من دونهم فرضوا
مالي ومن حديثي بكم قالوا به مرض ۞ فقلت لا زال عني ذلك المرض

وانشد بعض العارفين

يا حبيب القلوب من لي سواكا ۞ ارحم اليوم مذنبا قد اتاكا

أنت

أنت سؤلي ومنيتي وسروري ۞ قد ابى القلب أن يحب سواكا
يا مرادي وسيدي واعتمادي ۞ طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سؤلي من الجنان نعيم ۞ غير اني اريدها لاراكا

الباب السابع في سهر المحبين وخلوتهم بمناجات مولاهم ٧

الملك الحق المبين قال الله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفا وطمعا الآية واشرف الطمع طمع اهل الجنة في رؤية مولاهم وقربه
وجواره وروى ابو نعيم باسناده عن حسين بن زياد قال اخذ فضيل
ابن عياض بيدي فقال يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة الى
سماء الدنيا فيقول كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس
كل حبيب يحب خلوة حبيبه ها انا ذا مطلع على احبابي اذا جنهم الليل
مثلت نفسي بين اعينهم فخاطبوني على المشاهدة وكلموني على حضوري
غدا اقر اعيني احبابي في جناني وروي من وجه آخر وفيه جعلت ابصارهم
في قلوبهم ومثلت نفسي بين اعينهم وروى ابو نعيم باسناده عن احمد
ابن ابي الحواري قال دخلت على ابي سليمان فرايته يبكي فقلت ما يبكيك فقال
ويحك يا احمد اذا جن الليل وخلا كل حبيب بحبيبه افترش اهل المحبة
اقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم واشرف الجليل جل جلاله وقال بعيني
من تلذذ بكلامي واستروح الى مناجاتي واني مطلع عليهم في خلواتهم اسمع
انينهم وارى بكائهم وحنينهم يا جبريل ناد فيهم ما هذا الذي اراه منكم
وهل خبركم مخبر ان حبيبا يعذب احبابه بالنار بل كيف يجمل ان اعذب
قوما اذا جنهم الليل تملقوني فبي حلفت اذا وردوا القيمة علي ان اسفر لهم
عن وجهي وامنحهم رياض قدسي ورويت هذه القصة من وجه آخر
عن احمد ابن ابي الحواري عن ابي سليمان وفي اولها زيادة ان الله تعالى ينزل
في كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام
عني كيف ينام حبيب عن حبيبه وانا المطلع عليه اذا قاموا جعلت ابصارهم
في قلوبهم فكلموني على المخاطبة وذكر الباقي بمعنى ما تقدم مختصرا وروى
ابو نعيم ايضا باسناده عن ذي النون انه قال لو رايت احدهم وقد قام الى الصلاة

وقرآءته فلما وقف في محرابه واستفتح كلام سيده خطر على قلبه ان ذالك
المقام هو المقام الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين فانخلع قلبه وذهل عقله
فقلوبهم في ملكوت السموات معلقة وابدانهم بين يدي الخالق عارية وهمومهم
بالفكر دائمة وباسناده عن ذي النون ايضا انه قال في وصفهم يتلذذون
بكلام الرحمن ينوحون به على انفسهم نوح الحمام فرحين في خلواتهم لا تفتر لهم
جارحة في الخلوات ولا يستريح لهم قدم تحت سترر الظلمات ومن طريق الى
اسحاق السلولي قال حدثتني ام سعيد بن علقمة وكانت طائية قالت
كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير فكنت اسمع حنينه عامة الليل
لا يهدى ولربما سمعته يقول في جوف الليل اللهم همك عطل علي الهموم وحالف
بيني وبين السهاد وشوقي الى النظر اليك وضع مني اللذات والشهوات فانا في
سجنك ايها الكريم مطلوب قالت فربما ترنم في السحر بشيء من القرآن فارى ان جميع
نعيم الدنيا جمع في ترنمه تلك الساعة قالت وكان يكون في الدار وحده
وكان لا يصبح اي لا يسرج وروى الحافظ ابو الفرج باسناده عن الربيع قال
بت انا ومحمد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالابلة
فقامت الليل وهي تقول

قام المحب الى المؤمل قومة ٭ كاد الفؤاد من السرور يطير

فلما كان جوف الليل سمعتها تقول ايضا

لا تأنسن بمن توحشك نظرته ٭ فتمنعن من التذكار في الظلم
واجهد وكد وكن في الليل ذا شجن ٭ يسقيك كأس وداد العز والكرم

قال ثم نادت واحزناه واسلباه فقلت مم ذا قالت ذهب الظلام

ذهب الظلام بانسه وبالفه ٭ ليت الظلام بانسه يتجدد

وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن مطرف بن ابي بكر الهذلي قال كانت
عجوز في عبد القيس متعبدة فكانت اذا جاء الليل تحزمت ثم قامت الى المحراب
وكانت تقول المحب لا يسأم من خدمة حبيبه وسئل بعض العارفين عن حاله
فانشد

من لم يبت والحب حشو فؤاده ٭ لم يدر كيف تفتت الاكباد

وروينا من طريق الحسن ابن علي بن يحي ابن سلام قال قيل ليحي بن معاذ يروى عن رجل
من اهل الخير كان قد ادرك الاوزاعي وسفيان انه سئل متى تقع الفراسة على الغائب
قال اذا كان محبا لما احب الله مبغضا لما ابغض الله وقعت فراسته على الغائب فقال
يحي

يحي شعرا

كل محبوب سوى الله سرف ٭ وهموم وغموم واسف
كل محبوب فمنه لي خلف ٭ ماخلا الرحمن ما منه خلف

بياض

ان للحب ٭

ان للحب دلالات اذا ظهرت من صاحب الحب عرف ٭ صاحب الحب حزين قلبه ٭

مغموم دائم الغصة مهموم دنف ٭ همه في الله لا في غيره ٭ ذاهب العقل وبالله كلف ٭

الوجه اشعث الراس خميص بطنه ٭ اصفر الغرة والطرف ذرف ٭ دائم التذكير من حب الذي ٭

حبه غايته غايات الشرف ٭ فاذا امعن في الحب له ٭ وعلاه الشوق من ذا كشف ٭

باشر المحراب يشكو بثه ٭ وامام الله مولاه وقف ٭ قائم قدامه منتصبا ٭

لهجا يتلو بايات الصحف ٭ راكعا طورا وطورا ساجدا ٭ باكيا والدمع في الارض يكف ٭

الحب اورد القلب على حب الذي ٭ فيه حب الله حقا فعرف ٭ ثم حالت كفه في شجر ٭

بنيت الحب فسمى واقتطف ٭ ان ذا الحب لمن يعنى به ٭ لا ابدار ذات لهو وطرف ٭

لاولا الفردوس لا يالفها ٭ لاولا الحور من فوق غرف ٭ وروى ابو موسى المديني

او التذكار

باسناده عن ابي محمد عبد الله بن عروة قال انشدني بعض الناس

تشاغل قوم بدنياهم ٭ وقوم تخلوا لمولاهم ٭ فالزمهم باب مرضاته
وعن سائر الخلق اغناهم ٭ فما يعرفون سوى حبه ٭ وطاعته طول محياهم
يصفون بالليل اقدامهم ٭ وعين المهيمن ترعاهم ٭ فطورا يناجون بسجدا
ويبكون طورا خطاياهم ٭ اذا فكروا في الذي اسلفوا ٭ اذاب القلوب وابكاهم
وان يسكن الخوف لاذوا به ٭ وباحوا اليه بشكواهم ٭ واضحى اصياما على جهدهم
تبارك من هو قواهم ٭ هم القوم اعطوا مليك الملوك ٭ صدق القلوب فوالاهم
هم المجتبون بنيا تهم ٭ ارادوا رضاه فاعطاهم ٭ واسكنهم في فراديسه
واعلى المنازل بوأهم ٭ فنالوا المراد وفازوا به ٭ فطوبى لهم ثم طوبى لهم

قرأت بخط عبد الله ابن احمد بن صابر السلمي انشدنا ابو اسحاق ابراهيم بن محمد
ابن عقيل الشهرزوري لبعضهم

قليل الهجوع كثير الندم ٭ طويل التحيب على ما اجترم ٭ جرى دمعه فبكى جفنه
فصار البكا بدمع ودم ٭ يخاف البيات بهجم الممات ٭ وفقد الحبيبة بعض السقم
ويخفي محبة رب العلى ٭ فتظهر انفاسه ما اكتتم ٭ واسبل من طرفه عبرة
على الصحن من خده فانسجم ٭ وبات محارب محرابه ٭ ولما تزل قدم عن قدم
فلما تفتت احشاؤه ٭ من الشوق رقى عليه الالم ٭ وكم ليلة رام فيها المنام
فصاح به حبه لا تنم ٭ وناح على جسد ناحل ٭ اطال النحول به فانهدم
اناب الى الله مستغفرا ٭ فصار له من اعز الخدم ٭

الباب الثامن

في شوق المحبين الى لقاء رب العالمين **الشوق الى لقاء الله** درجة عالية رفيعة
تنشأ من قوة المحبة لله عز وجل وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسأل الله هذه الدرجة
خرجه الامام احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث عمار بن ياسر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يدعو بهذا الدعاء اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني ما كانت
الحياة لي خيرا وتوفني اذا علمت الوفاة خيرا لي اللهم اني اسئلك خشيتك في الغيب و
الشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى واسئلك نعيما لا ينفد
وقرة عين لا تنقطع واسئلك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت واسئلك لذة
النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا
بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين خرج الطبراني نحوه من حديث فضالة
ابن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم **وخرج الامام احمد** والحاكم عن زيد بن ثابت
ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء وامره ان يتعاهد به اهله كل يوم وفيه اللهم اني
اسئلك الرضى بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك والشوق
الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة وانما قال من غير ضراء مضرة ولا
فتنة مضلة والله اعلم لان محبة لقاء الله وهي محبة الموت تقصد غالبا اما عن ضراء مضرة
وهي ضراء الدنيا وقد نهي عن تمني الموت حينئذ واما عن فتنة مضلة وهي خشية
الفتنة في الدين وهو غير منهي عنه في هذا الحال والمسؤل هاهنا الشوق الى لقاء الله
الناشئ عن غير هذين الامرين بل عن محض المحبة وقد دل قوله تعالى في حق اليهود قل
ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين على ان من كان على حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله فانه يتمنى لقاءه
ويحبه وانه لا يكره ذلك الا من هو مريب في امره ولهذا قال ولن يتمنوه ابدا بما
قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين ثم قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة
ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر فذمهم على حرصهم على الحياة الدنيا **وفي مسند الامام احمد** عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يتمنين الموت الا من وثق بعمله وقد كان كثير من السلف الصالح
يتمنون الموت شوقا الى لقاء الله عز وجل فكان ابو الدرداء يقول احب الموت اشتياقا
الى ربي واحب الفقر تواضعا لربي واحب المرض تكفيرا لخطيئتي **وقال محمد** بن زياد
اجتمع رجال من الاخيار او قال من العلماء والعباد وذكروا الموت فقال بعضهم
لو اتاني آت او ملك الموت فقال ايكم سبق الى هذا العمود فوضع يده عليه لمات
لرجوت ان لا يسبقني اليه احد منكم شوقا الى لقاء الله جل وعلى **وقال عبد الله بن**
زكريا لو خيرت بين ان اعيش مائة سنة في طاعة الله او اقبض في يومي هذا
او في ساعتي هذه شوقا الى الله والى رسوله والى الصالحين من عباده **وكان ابو عبيد**

ربه الزاهد يقول لو انه قيل من مس هذا العمود لمات لسرني ان اقوم اليه شوقا
الى لقاء الله ورسوله **وقال ابو عتبة الخولاني** كان اخوانكم لقاء الله احب اليهم
من الشهد وقال سفين كان بالكوفة رجل متعبد من همدان فكان يقول لما
تطيب نفسي لنفسي بالموت الا اذا ذكرت لقاء الله فاني اجد نفسي عند ذلك تطيب
بالموت لما ترجو في لقاء الله عز وجل من البركة والسرور **قال فذكروا عنه** انه
كان يقول اذا ذكرت القدوم على الله كنت اشد اشتياقا الى الموت من الظمآن الشديد
ظماؤه في اليوم الحار الشديد حره الى الشراب البارد الشديد برده **وقال رباح**
القيسي اتيت الابرد ابن ضرار فقال لي يا رباح هل طالت بك الليالي والايام فقلت
له بم قال بالشوق الى لقاء الله فسكت **واتيت رابعة** فذكرت ذلك لها قال فسمعت
تخريق قميصها من وراء ثوبها وهي تقول لكني نعم وقال عبيد الله بن محمد التيمي
سمعت امرأة من المتعبدات تقول والله لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت
الموت يباع لاشتريته شوقا الى لقاء الله وحبا للقائه قال فقلت لها افعلى ثقة
انت من عملك قالت لا ولكن لحبي اياه وحسن ظني به افتراه يعذبني وانا احبه
وقال مسلمة العوصي اني لمشتاق الى ربي منذ اربعين سنة منذ فارقت الحسن
بن صالح قيل له ولم قال العلم يشتاق العامل الا الى لقاء الله عز وجل الكان ينبغي له
ان يشتاق **وكان ابو** عبد الله النباحي يقول في مناجاته انك لتعلم انك لو خيرتني
بين ان تكون لي الدنيا منذ خلقت اتنعم فيها حلالا ولا اسئل عنها يوم القيمة وبين
ان تخرج نفسي الساعة لاخترت ان تخرج نفسي الساعة ثم قال الا تحب انك تلقى من
تطيع **وصحب رجل فتح** بن شخرف ثلاثين سنة قال فلم اره رفع راسه الى السماء الا
مرة واحدة رفع راسه وفتح عينيه ونظر الى السماء ثم قال قد طال شوقي اليك
فعجل قدومي عليك **وقال فتح** الموصلي في يوم عيد اضحى قد تقرب المتقربون بقربانهم
وانا اتقرب اليك بطول حزني يا محبوب لم تتركني في ازقة الدنيا محزونا ثم غشي عليه
وحمل فدفن بعد ثلاث رحمه الله **فهذا حال** من غلب عليه الشوق والرجا
فاما من غلب عليه الخوف فانه بخلاف ذلك ولا يتمنى الموت بل يستعظمه حتى يكاد
يتصدع قلبه من ذكره **وقال المؤلف** رحمه الله وقد نازع ابو سليمان الداراني من
كان يتمنى الموت شوقا الى لقاء الله وخالفهم في ذلك وقال لو اعلم ان الامر كما تقولون
لاحببت ان نفسي تخرج الساعة ولكن كيف بانقطاع الطاعة والحبس في البرزخ و
انما نلقاه بعد البعث **وقال احمد بن ابي الحواري** فهو في الدنيا امر ان نلقاه
يعني بالذكر فابو سليمان وصاحبه احمد بن ابي الحواري رحمهما الله يقولان ما يجده

العارفون المحبون في الدنيا من حلاوة الطاعة ولذة المعاملة واستنارة القلوب
وتقربها من علام الغيوب اكمل مما يحصل لهم في البرزخ قبل البعث فانه لا يمكن
رؤية الله بالابصار الا في يوم القيمة وقد جاء في حديث ان يوم القيمة اول يوم
نظرت فيه عين الى الله عز وجل واما الاكثرون فانهم يخالفون في ذلك ويقولون قد
يحصل للمحبين في البرزخ اتصال وقرب من الله سبحانه ورؤيته للارواح فيكون ذلك
اكمل من الحاصل لهم في الدنيا بالعمل كما ان نعيم البرزخ بالمخلوقات من الجنة اكمل من
نعيم الدنيا ايضا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اعلموا انكم لن تروا ربكم حتى
تموتوا وهذا يدل بمفهومه على ان رؤية الله سبحانه تحصل بعد الموت وقد روي
في ذلك من المبشرات الاحلامية قديما وحديثا ما يطول ذكره وقد اتفق العارفون
كلهم على ان ما يحصل بعد البعث للعارفين المحبين اكمل مما يحصل لقلوبهم في الدنيا
فان غاية الحاصل للقلوب في الدنيا هو تجلي انوار الايمان في القلب وحتى يصير
الغيب كانه شهادة ومن قال ان الارواح والقلوب تكافح ذات الرب سبحانه في
الدنيا عيانا فهو غالط فان هذا لم يثبت لاحد الا للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
كما ذكره الصحابة رضي الله عنهم وصنف بعضهم مصنفا سماه تفضيل العبادات
على نعيم الجنات واشار الى ان العبادة حق الرب وان النعيم حظ النفس وكانه ظن
ان لا نعيم في الجنة الا التمتع بالمخلوقات فيها وهو غلط عظيم فان اعلى نعيم الجنة ما
يحصل فيها من معرفة الله ومشاهدته فان علم اليقين يصير هناك عين اليقين
ويتجدد معرفة عظيمة لم تكن موجودة قبل ذلك بل ولم تخطر على قلب بشر و
كذلك توحيد اهل الجنة ودوام ذكرهم هو من اكمل لذاتهم ولذلك يلهمون التسبيح
كما يلهمون النفس وقال ابن عيينة لا اله الا الله لاهل الجنة كالماء البارد لاهل
الدنيا وكذلك تزينهم بالقرآن وسماعهم له واعلاه سماعه من الله جل جلاله
وتقدست اسماؤه فاين هذا من تلاوة اهل الدنيا وذكرهم واما سائر العبادات
فما كان منها فيه مشقة على الابدان فان اهل الجنة قد اسقط ذلك عنهم وكذلك
ما فيه نوع ذل وخضوع كالسجود ونحوه واما ما في العبادات من النعيم الحاصل
بها لاهل المعرفة في الدنيا فانه يحصل في الجنة اضعافا مع راحة الجسد من
مشقة التكليف التي في الدنيا فتجمع لهم راحة القلب والبدن على اكمل الوجوه و
هذا مثل الصلاة فان العارفين في الدنيا انما يتنعمون بما فيها من المناجاة و
آثار القرب وما يرد عليهم من الواردات في تلاوة الكتاب ونحو ذلك من نعيم القلوب

وربما يستغرقون به عن الشعور بتعب الابدان فهذا القدر الذي حصل
لهم به التنعم في الدنيا يتزايد في الجنة بلا ريب لا سيما في اوقات الصلوات فان
اكملهم من ينظر الى وجه الله عز وجل كل يوم مرتين بكرة وعشيا في وقت صلاة
الصبح وصلاة العصر لما جاء في حديث ابن عمر مرفوعا وموقوفا والى ذلك اشار
النبي صلى الله عليه وسلم بالمحافظة على هاتين الصلاتين عقيب ذكره رؤية الرب
سبحانه في حديث جرير البجلي فالنعيم الحاصل لاهل الجنة بالرؤية والمخاطبة
في هذين الوقتين اكمل مما كان حاصلا في الدنيا وكذلك صلاة الجمعة فانهم
يجتمعون في وقتها في يوم المزيد ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرهم محاضرة و
كذلك في العيدين فهذا اكمل مما كان يحصل لهم في الدنيا في صلاتهم من
آثار القرب وحلاوة المناجاة مع راحة البدن ونعيمه ايضا فتبين بهذا
ان نعيم الجنة اكمل من نعيم الدنيا مطلقا وسواء في ذلك نعيم الابدان بالاكل والشرب
والجماع ونعيم القلوب والارواح بالمعارف والعلوم والقرب والاتصال والانس و
المشاهدة فظهر بهذا ان قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها هو على
ظاهره من غير حاجة الى تأويل ولا تكلف فان كثيرا من المفسرين فسروا الحسنة
بكلمة التوحيد والجزاء عليها بالجنة ثم استشكلوا تفضيل الجنة على التوحيد
وبما ذكرناه يزول الاشكال ويتبين ان التوحيد الذي في الجنة اكمل من التوحيد
الذي في الدنيا وهو جزاء له وكذلك المعرفة والمحبة والشوق ايضا فقد جاء
في بعض احاديث يوم المزيد انهم ليسوا الى شيء اشوق منهم الى يوم الجمعة
وسببه بهذا الغلط الذي اشرنا اليه من قول من قال ان العارفين لا
يشتاقون الى الله عز وجل في الدنيا لانهم يشهدونه تعلق بهم حاضرا وتباشر
قلوبهم انواره ويتجلى لها فيستانسون به ويطمئنون اليه وهذا وان كان نقل
عن بعض السلف المتقدمين فهو ايضا غلط ولعله صدر من قائله في حال استغراقه
في مشاهدة ما شاهده فظن انه ليس وراء ذلك مطلب وهذا كما قال بعضهم انه
تمر بي اوقات اقول ان كان اهل الجنة في مثل ما انا فيه انهم لفي عيش طيب
ومعلوم ان اهل الجنة في اضعاف اضعاف ما هو فيه من النعيم واللذة ولكنه
لما استعظم ما حصل له من النعيم ظن انه ليس وراءه شيء وعند التحقيق يتبين
ان ما حصل في الدنيا للقلوب من تجلي انوار الايمان يدل على عظمة ما يحصل في الجنة

لقد

وليس بينهما نسبة فيتزايد بذلك الشوق الى ما وراءه ولهذا كان النبي
صلى الله عليه وسلم يسال ربه الشوق الى لقايه مع انه اكمل الخلق مشاهدة
ومعرفة وكان يقول في الوصال اني لست كهيئتكم اني اظل عند ربي يطعمني و
يسقيني ويشير الى ما يتجلى لقلبه من آثار القرب والانس مما يقويه ويغذيه
ويغنيه عن الطعام والشراب كما قال القائل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ۞ عن الشراب وتلهيها عن الزاد ۞

ولم يزل ائمة العارفين يشتاقون الشوق ويخبرون به عن انفسهم وقال عبد
الواحد بن زيد يا اخوتاه الا تبكون شوقا الى الله عز وجل الا انه من بكى شوقا
الى سيده لم يحرمه النظر اليه وقال صالح المري بلغني عن كعب انه كان يقول
من بكى اشتياقا الى الله اباحه النظر اليه تبارك وتعالى قال حبيب بن عبيد
كان دليجة اذا مشى طاشت قدماه من العبادة فقيل له ما شانك قال الشوق
فقيل له ابشر فان الامير قد بعث الى سرح المسلمين ليأذن لهم فيقول ليس شوقي الى
شوقي الى من بعثها وقال عثمان بن صخر العتكي طوبى لمحبي الرب الذين
عبدوه بالفرح والسرور والانس والطمانينة فصاروا الصفوة من الخلق و
الخاصة من البرية يحنون اليه حنين الولهان ويشتاقون اليه شوق من لا صبر لهم
عنه قد كسروا بالخوف وروحوا بالظفر وكان ابو عبيدة الخواص يمشي في الاسواق
ويضرب على صدره ويقول واشوقاه الى من يراني ولا اراه وكانت امراة من المتعبدات
بمكة لا تزال تصرخ وتقول اوليس عجبا ان اكون حية بين اظهركم وفي قلبي من الاشتياق
الى ربي مثل شعل النار التي لا تطفى حتى اصير الى الطبيب الذي عنده برء دائي وشفائي بيده
وقال ذو النون ان المؤمن اذا آمن بالله واستحكم ايمانه خاف الله فاذا خاف الله
تولدت من الخوف هيبة الله فاذا سكنت درجة الهيبة دامت طاعته لربه فاذا اطاع
تولد من الطاعة الرجا فاذا سكنت درجة الرجا تولد من الرجا المحبة فاذا استكملت
معاني المحبة في قلبه سكن بعدها درجة الشوق فاذا اشتاق اداه الشوق الى الانس
بالله فاذا انس بالله اطمأن الى الله فاذا اطمأن الى الله كان ليله في نعيم ونهاره في نعيم
وسره في نعيم وعلانيته في نعيم انتهى ولا ريب ان الشوق يقتضي القلق لكن قد
يمنح الله بعض اهله ما يسكن قلقهم من الانس به والطمانينة اليه كما اشار اليه
ذو النون رحمه الله وعن ابراهيم بن ادهم قال قلت يوما اللهم ان كنت اعطيت احدا
من المحبين لك ما اسكنت به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فلقد اضر بي القلق قال فرايته
تبارك وتعالى في النوم فوقفني بين يديه وقال لي يا ابراهيم اما استحييت مني تسالني ان اعطيك
ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن قلب المشتاق الى غير حبيبه ام هل يستريح

المحب

المحب الى غير من اشتاق اليه قال فقلت يا رب بهت في حبك فلم ادر ما اقول وروى
ابو نعيم باسناده عن عبد العزيز بن محمد قال رايت في المنام قائلا يقول من يحضر
من يحضر فاتيته فقال لي اما ترى القائم الذي يخطب الناس ويخبرهم عن اعلا
مراتب الانبيا فادركه فلعلك تلحقه وتسمع كلامه قبل انصرافه فاتيته فاذا الناس
حوله وهو يقول ۞ ما نال عبد من الرحمن منزلة ۞ اعلا من الشوق ان الشوق محمود ۞
ثم سلم ونزل فقلت لرجل الى جانبي من هذا قال اما تعرفه قلت لا قال هذا داود الطائي فعجبت
في منامي منه فقال اتعجب مما رايت والله للذي عند الله من الزلفى لداود اكثر من هذا
واكثر ومما قيل في وصف المشتاقين

أئن من الشوق فلولا دمعه ۞ احرق ما بين العذيب والنقا ۞
واستعرت انفاسه وانما ۞ تلتهب الانفاس من حر الجوى ۞
مروا على وادي الغضى فقلبوا ۞ من الجوى قلبي على جمر الغضى ۞

الباب التاسع في رضى المحبين بمر الاقدار وتنعمهم ببلاء من

يخلق ما يشاء ويختار قد تقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم
اني اسألك الرضى بعد القضا وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك و
الشوق الى لقائك وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وروى
جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال نظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابوين
يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون خرجه الاسماعيلي
في مسند عمر وابو نعيم في الحلية وقد روي من وجه آخر مرسلا وروى حسين بن علي
الجعفي وفيه ضعف عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد
يحب الله ورسوله الا والفقر اسرع اليه من جرية السيل من راس الجبل على وجهه
والفقر اسرع الى من يحب الله ورسوله من جرية السيل على وجهه ومن احب الله و
رسوله فليعد للبلا تجفافا وانما يعني الصبر وقد روي معنى هذا الحديث من وجوه
متعددة ولكن ليس في اكثرها سوى ذكر حب الرسول صلى الله عليه وسلم قال موسى بن
وردان لما احتضر معاذ بن جبل وتغشاه الموت جعل يقول اخنق خنقك فوعزتك
اني احبك وقال شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم من حديث الحارث بن عميرة ان

معاذا انزع نزع عالم ينزعه احد فكان كلما أفاق من غمرته فتح طرفه ثم قال اخنقني خنقك فوعزتك انك تعلم ان قلبي يحبك قال صالح بن حسان ان حذيفة لما نزل به الموت قال هذه آخر ساعة من الدنيا اللهم انك تعلم اني احبك فبارك لي في لقايك و قال ابو علي الرازي صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة فما رايته ضاحكا ولا متبسما الا يوم مات ابنه علي فقلت له في ذلك فقال ان الله احب امرا فاحببت ما احب الله قال مردويه سمعت الفضيل يقول درجة الرضى عن الله درجة المقربين ليس بينهم وبين الله الا روح وريحان قال وسمعته يقول احق الناس بالرضى عن الله اهل المعرفة بالله وقال ابو عبيد الله الناجي سال رجل فضيل بن عياض فقال متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى فقال له الفضيل اذا كان عطاوه ومنعه اياك عندك سواء فقد بلغت الغاية من حب الله وذكر ابو القاسم الدمشقي الحافظ في تاريخه باسناده عن ابي شعيب قال سالت ابراهيم ابن ادهم الصحبة الى مكة قال لي على شريطة عليك انك لا تنظر الا لله وبالله فشرطت له ذلك على نفسي فخرجت معه فبينا نحن في الطواف فاذا انا بغلام قد افتتن الناس به لحسنه وجماله فجعل ابراهيم يديم النظر اليه فلما اطال ذلك قلت يا ابا اسحق اليس شرطت علي الا تنظر الا بالله ولله قال بلى قلت فاني اراك تديم النظر الى هذا الغلام قال ان هذا ابني وولدي وهولاء غلماني وخدمي الذين معه ولولا شيء لقبلته ولكن انطلق فسلم عليه مني قال فمضيت وسلمت عليه من والده فجاء الى والده فسلم عليه ثم صرفه مع الخدم فقال ارجع انتظر اي شيء يراد بك فانشا يقول

هجرت الخلق طرا في هواكا ۞ وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب اربا ۞ لما حن الفواد الى سواكا

وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن عبد الواحد بن زيد قال خرجت الى ناحية الحربية فاذا انسان اسود مجذوم قد تقطعت كل جارحة له بالجذام وعمي واقعد واذا صبيان يرمونه بالحجارة حتى دموا وجهه وراسه فرايته يحرك شفتيه فدنوت منه لاسمع ما يقول فاذا هو يقول يا سيدي انك لتعلم انك لو قرضت لحمي بالمقاريض ونشرت عظامي بالمناشير ما ازددت لك الا حبا فاصنع بي ما شئت وعن الاوزاعي قال حدثني بعض الحكماء قال رايت رجلا قد ذهبت يداه ورجلاه وهو يقول اللهم اني احمدك حمدا يوافي محامد خلقك كفضلك على ساير خلقك اذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا فقلت

له

له على اي نعمة تحمد فقال اليس قد ترى ما صنع بي قال قلت بلى قال فوالله لو ان الله صب علي من السماء نارا فاحرقتني وامر الجبال فدمرتني وامر البحار فغرقتني وامر الارض فخسفت بي ما ازددت له الا حبا ولا ازددت له الا شكرا وعن بكر بن حنيس قال مررت بمجذوم وهو يقول وعزتك وجلالك لو قطعتني بالبلى قطعا ما ازددت لك الا حبا وفي هذا المعنى يقول بعضهم

لو قطعني الغرام اربا اربا ۞ ما ازددت على الملام الا حبا
لا زلت بكم اسير وجد وصبا ۞ حتى اقضي على هواكم نحبا

وروى ابو العباس بن مسروق باسناده عن خلف البزار انه اوتي بمجذوم ذاهب اليدين والرجلين اعمى فجعله مع المجذومين وغفل عنه ثم ذكره فقال له يا هذا غفلت عنك فقال حبيبي ومن انا احبه فقد احاطت محبته باحشائي فلا اجد الما لما انا فيه من الالم مع محبته لا يغفل عني فقلت له اني نسيتك قال ان لي من يذكرني وكيف لا يذكر الحبيب حبيبه وهو بنصب عينه قائم العقل واللب وذكر ابو عبد الرحمن السلمي باسناده عن بنان الجمال قال ليس يتحقق في الحب حتى يتلذذ بالبلا في الحب كما يتلذذ الاغنيا باسباب النعم وكان عبد الصمد الزاهد يقول اوجدهم في تعذيبه عذوبة يشير الى صبرهم على الضر والفقر وقالت امراة من العارفات ما النعيم الا الانس بالله والموافقة لتدبيره وشكى رجل الى فضيل الفقر فقال الفضيل امدبرا غير الله تريد وقالت رابعة ان اولياء الله اذا قضي لهم شيا لم يسخطوه وقال يحيى بن معاذ لو احببت ربك ثم جوعك واعراك لكان يجب ان تحتمله وتكتمه عن الخلق فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الاذى فكيف وانت تشكوه فيما لم يصنعه بك وفي هذا المعنى يقول القايل

ويقبح من سواك الفعل عندي ۞ وتفعله فيحسن منك ذاكا

وقد تقدم ما انشده ابو تراب النخشبي

لا تخدعن فللمحب دلايل ۞ ولديه من تحف الحبيب وسايل
منها تنعمه بمر بلايه ۞ وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية معروفة ۞ والفقر اكرام وبر عاجل

وكان فتح الموصلي يجمع عياله في ليالي الشتا ويغطيهم بكسايه عليهم ثم يقول اللهم افقرتني وافقرت عيالي وجوعتني وجوعت عيالي واعريتني واعريت عيالي باي وسيلة توسلتها اليك وانما تفعل هذا باوليايك واحبابك فهل انا منهم حتى افرح ودخل ليلة الى اهله وهو صايم فلم يجد عندهم عشيا ولا ما يسرجون به فجلس يبكي من

الفرج ويقول الهي مثلي يترك بلا عشاء ولا سراج بأي يد كانت مني فما زال يبكي
الى الصباح رضي الله عنه وروي عن الفضيل بن عياض نحو هذا ايضا وكان
علي بن بابويه الصوفي في الطواف فهجمت القرامطة على الناس فقتلوهم فاخذته
السيوف فلما وقع تمثل بهذا البيت

ترى المحبين صرعى في ديارهم ❊ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

واستشهد لبعض السلف ولد في الجهاد فجاء الناس يعزونه به فبكى فقال ما ابكي
على موته انما ابكي كيف كان رضاه عن الله حين أخذته السيوف وفي هذا يقول
القائل ان كان سكان الغضا رضوا بقتلي فرضى ❊ والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد ان يتعرضا ❊

فصل ومما يستحليه المحبون لله اختيارهم الذل لهم على الشرف والخمول على الشهرة
قال مخلد بن الحسين ما احب الله عبدا فاحب ان يعرف الناس مكانه وقال احمد
ابن ابي الحواري من عبد الله على المحبة لا يحب ان يرى خدمته سوى محبوبه
قال ذو النون كل مطيع مستانس وكل عاص مستوحش وكل محب ذليل وكل
خائف هارب وكل راج طالب وكان بشر يقول في دعائه اللهم انك تعلم ان الذل
احب الي من العز وان الفقر احب الي من الغنى واني لا اوثر على حبك شيا فسمعه
رجل فاخذه البكاء فقال اللهم انت تعلم اني لو علمت ان هذا هاهنا لم اتكلم
وسئل يوسف بن الحسين قال ما بال المحبين يتلذذون بالذل في المحبة فانشا
يقول ❊ ذل الفتى في الحب مكرمة ❊ وخضوعه لحبيبه شرف ❊
وفي هذا المعنى يقول القائل

مساكين اهل الحب حتى قبورهم ❊ عليها تراب الذل بين المقابر

ويقول الاخر العز ذلي فلا تلمني ❊ ما تبتغي يا عذولي مني ❊

وقال جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال موسى عليه السلام الهي أين
ابتغيك فاوحى الله اليه يا موسى ابتغني عند المنكسرة قلوبهم فاني ادنو منهم
في كل يوم وليلة باعا ولولا ذلك لانهدموا قال جعفر فقلت لمالك كيف المنكسرة
قلوبهم فقال سالت الذي قرا في الكتب فقال سالت الذي سال عبد الله بن سلام
عن المنكسرة قلوبهم بحب الله جل جلاله عن حب غيره اخرجه ابراهيم بن الجنيد

الباب العاشر في ذكر خوف المحبين العارفين وفضله على خوف

سائر الخائفين قال الله تعالى في حق الفجار كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

كلا

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون فوصفهم بان كسبهم ران على قلوبهم والران هو ما يعلو على
القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها ثم ذكر جزاءهم على ذلك وهو ثلاثة
انواع الحجاب عن ربهم ثم صلي الجحيم ثم التوبيخ فاعظم عذاب اهل النار
حجابهم عن ربهم عز وجل ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية لا يصل
اليها شيء من نور الايمان وحقائق العرفان كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم
عن رؤية الرحمن قال بعض العارفين من عرف الله في الدنيا عرفه بقدر تعرفه اليه
وتجلى له في الآخرة بقدر معرفته اياه في الدنيا فرآه في الدنيا رؤية الاسرار و
يراه في الآخرة رؤية الابصار فمن لا يراه في الدنيا بسره لا يراه في الآخرة
بعينه انتهى فخوف العارفين في الدنيا من احتجابه عن بصائرهم وفي الآخرة من
احتجابه عن ابصارهم ونواظرهم وكتب الاوزاعي الى اخ له اما بعد فانه قد احيط
بك من كل جانب واعلم انه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه
وان يكون آخر عهدك به والسلام وكان عتبة الغلام يبكي بالليل ويقول
قطع ذكر العرض على الله اوصال المحبين ثم يحشرج البكاء حشرجة الموت ويقول
تراك مولاي تعذب محبك وانت الحي الكريم وبات ليلة بالساحل قائما يردد
هذه الكلمات لا يزيد عليها ويبكي حتى اصبح ان تعذبني فاني محب لك وان ترحمني
فاني محب لك وكان كهمس يقول في الليل اتراك تعذبني وانت قرة عيني
يا حبيب قلباه وكان ابو سليمان يبكي ويقول لئن طالبني بذنوبي لاطالبنه بعفوه
ولئن طالبني ببخلي لاطالبنه بجوده ولئن ادخلني النار لاخبرن اهل النار اني
كنت احبه واخذ هذا المعنى بعض الشعرا المتاخرين فقال

وحقك لو ادخلتني النار قلت ❊ للذين بها قد كنت ممن احبه
واية حب الصب ان يعذب الاسى ❊ اذا كان من يهوى عليه يعذبه

وكان بعض المحبين عند قوم يبكون من الخوف فانشد

كلهم يعبد من خوف نار ❊ ويرون النجاة فضلا جزيلا
او بان يسكنوا الجنان فيحظوا ❊ بروضة من رياضها سلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار رأي ❊ انا لا ابتغي بحبي بديلا

فقيل له لو طردك ما كنت تصنع فقال

انا ان لم احد من الحب وصلا ... رمت في النار منزلا ومقيلا
ثم ازعجت اهلها بندائي ... بكرة في عراصها واصيلا
معشر المشركين نوحوا على من ... يدعي انه يحب الجليلا
لم يكن في الذي ادعاه محقا ... فجزاه به العذاب الطويلا

وقد سبق قول رقية الموصلية الهي وسيدي ومولاي لو انك عذبتني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك اعظم عندي من العذاب وقال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي وكان الشبلي يهيج في داره وينشد

على بعدك لا يصبر من عادته القرب ... ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب
فان لم تركك العين ... فقد يبصرك القلب

فصل ومما يخافه العارفون فوات الرضى عنهم وان وجدوا العفو او ترك العقوبة فان الرضى احب اليهم من نعيم الجنة كله مع الاعراض وعدم التقريب والزلفى وقد قال سبحانه وتعالى ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر يعني اكبر من نعيم الجنة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول لاهل الجنة الا اعطيكم افضل من ذلك قالوا وما افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وكان مطرف يقول اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا وروي بعضهم في المنام فسئل عن حاله فقال غفر لي واعرض عني وعن جماعة من اهل العلم لم يعملوا بعلمهم فالمحبون العارفون يخافون من مثل هذه الحال وانما يسئلون الرضى من اول الامر وقال الفضيل من سئل الله رضوانه فقد سأله عظيما وقال لو اخبرت عن جبرئيل وميكائيل واسرافيل بشدة اجتهادهم ما عجبت وكان ذلك قليلا عند ما يطلبون الله رون اي شيء يطلبون واي شيء يريدون يريدون رضى ربهم عز وجل وقال جعفر بن سليمان قال مالك بن دينار وددت ان الله اذا جمع الخلايق يوم القيمة يقول لي يا مالك فاقول لبيك فيأذن لي ان اسجد بين يديه سجدة فاعرف انه قد رضي عني فيقول يا مالك كن اليوم ترابا وكان ابو عبيد الله التستري يقول ما غمتني ولا اشتفي الان يجعلني ممن عفي عنه فقيل له اليس الخلق على العفو يرجون فقال اجل ولكن اي شيء اقبح بشيخ مثلي يوقف غدا بين يدي الله عز وجل فيقال له يا شيخ سوء كنت اذهب فقد عفوت عنك انا املي في الله ان يهب لي كل من احبني ومما يشتد قلق العارفين منه الحيا من الله عز وجل عند الوقوف بين يديه قال بعضهم ما مر بي اشد من الحيا من الله عز وجل وقال الحسن لو لم نبك الا للحيا من ذلك المقام لكان ينبغي لنا ان نبكي فنطيل البكاء وكان الفضيل يقول

شيخ

يقول واسوأتاه منك وان عفوت قال احمد بن ابي الحواري سمعت محمد ابن حاتم ابا جعفر قال قال الفضيل بن عياض لو خيرت بين ان ابعث فـ ادخل الجنة وبين ان لا ابعث لاخترت ان لا ابعث قال فقلت لمحمد هذا من الحيا قال نعم وقال احمد بن ابي الحواري وسمعت مضى بن عيسى يقول كان بعض التابعين يقول لئن يعمرني من الجنة الى النار احب الي من ان اوقف بين يدي الله فيسالني ثم يامر بي الى الجنة قال فحدثت به ابا سليمان فقال بل نقف بالموقف فتقر به اعيننا والى قول ابي سليمان ذهب ابو يزيد وغيره من المحبين والى قول الفضيل ذهب حذيفة المرعشي فانه قال لو نزل علي ملك من السماء يخيرني ان لا اري النار يعني واني اصير الى الجنة الا اني اقف بين يدي ربي ثم اصير الى الجنة فقلت لا اريد الجنة ولا اقف ذلك الموقف وروي عن احمد ابن ابي الحواري معنى ذلك ايضا وروي ان الاسود بن يزيد لما احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع قال ما لي لا اجزع ومن احق بذلك مني والله لو اتيت بالمغفرة من الله عز وجل لاهمني الحيا منه مما قد صنعت ان الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيا منه قال ابن ابي الدنيا حدثني الحسين بن عبد العزيز قال كان عندنا شيخ على امور ثم اقلع عنها فلما احتضر اغمي عليه ثم افاق فقال اني رايت كاني مت وكأن آتيا اتاني فانطلق بي الى الله عز وجل حتى وقف بي دون الحجاب فكأنه ارادني على الدخول فتداخلني الحياء والخوف وكانه يعق لما هو الا الدخول عليه عز وجل او دخول النار قال فكأني اخترت دخول النار للذي اصابني من الحياء قال فانطلق بي ثم انه عرج بي وقيل له انطلق به الى الجنة وروي عن ابي حامد الخلقاني انه انشد الامام احمد هذين البيتين

اذا ما قال لي ربي ... اما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب من خلقي ... وبالعصيان تأتيني

فأمره احمد باعادتهما عليه فاعادهما عليه فدخل احمد داره وجعل يرددهما ويبكي وانشد بعضهم

يا حسرة العاصين عند معادهم ... هذا وان قدموا على الجنات
لو لم يكن الا الحيا من الذي ... ستر القبيح لكان اعظم الحسرات

الباب الحادي عشر في شرف اهل الحب وان لهم

عند الله اعلا منازل القرب في الصحيحين عن انس ان رجلا سال النبي صلى
الله عليه وسلم قال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت
لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت وفي رواية للبخاري فقلنا ونحن كذلك
قال نعم قال انس ففرحنا يومئذ فرحا شديدا وفي رواية لمسلم قال انس فما
فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد من قوله انت مع من احببت قال انس فانا
احب الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وابابكر وعمر وارجو ان اكون معهم
وان لم اعمل باعمالهم قال بعض العارفين يكفي للمحبين شرفا هذه المعية و
قد قدمنا في اول هذا الكتاب ان محبة الله الواجبة تستلزم امتثال طاعته
واجتناب معصيته وكذلك محبة الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين
لهم باحسان فالمحبة الصحيحة تقتضي مشاركتهم في اصل عملهم وان عجز
عن بلوغ غايته كما قال انس رضي الله عنه ولهذا قال السائل للنبي صلى الله
عليه وسلم ما اعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة فدل على
انه قد اتى من ذلك بما وجب عليه ولم يات بازيد من ذلك قال عبيد
ابن عمير جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يحب المصلين
ولا يصلي الا قليلا ويحب الصائمين ولا يصوم الا قليلا ويحب الذاكرين ولا
يذكر الا قليلا ويحب المتصدقين ولا يتصدق الا قليلا ويحب
المجاهدين ولا يجاهد الا قليلا وهو في ذلك يحب الله ورسوله قال
هو يوم القيمة مع من احب قال ابو سالم الجوشاني جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ارى الرجل الجواد فاحب الجود
وفي بخل وارى الرجل الحسن الخلق فاحب حسن الخلق وخلقي سيئ وارى
الرجل الجري فاحب الجراءة وفي جبن قال انت مع من احببت وقال
الحسن بن آدم لا تغتر بقول من يقول المرء مع من احب انه من احب
قوما اتبع آثارهم ولن تلحق بالابرار حتى تتبع آثارهم وتاخذ
بهديهم وتقتدي بسننهم وتصبح وتمسي وانت على منهاجهم حريصا

على

على ان تكون منهم فتسلك سبيلهم وتاخذ طريقهم وان كنت مقصرا في العمل
فانما ملاك الامر ان تكون على استقامة اما رايت اليهود والنصارى و
اهل الاهواء المردية يحبون انبيائهم وليسوا معهم لانهم خالفوهم في القول
والعمل وسلكوا غير طريقهم فصار مردهم النار نعوذ بالله من ذلك
وفي مسند البزار من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اني لاعرف ناسا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
بمنزلتهم عند الله يوم القيمة الذين يحبون الله ويحببونه الى خلقه
يامرونهم بطاعة الله فاذا اطاعوا الله احبهم الله وخرج ابراهيم
ابن الجنيد نحوه من حديث انس مرفوعا قال زيد بن اسلم لما وضع
عثمان بن مظعون في قبره قالت امراته هنيئا لك ابا السائب الجنة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علمك بذلك قالت كان يا رسول الله
يصوم النهار ويصلي الليل قال فحسبك لو قلت كان يحب الله ورسوله
وقال عتبة الغلام من عرف الله احبه ومن احب الله اطاعه ومن
اطاعه اكرمه ومن اكرمه الله اسكنه في جواره ومن اسكنه في جواره
فطوباه وطوباه فلم يزل يقول وطوباه وطوباه حتى خر ساقطا
مغشيا عليه قال فرقد السبخي قرأت في بعض الكتب المحب لله امير مؤمر
على الامراء زمرته اول الزمر يوم القيمة ومجلسه اقرب المجالس
فيما هنالك اخرجها ابراهيم ابن الجنيد وخرج ابن ابي الدنيا باسناده
عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال ارميا عليه السلام اي رب
اي عبادك احب اليك قال اكثرهم لي ذكرا الذين يشتغلون بذكري
عن ذكر الخلائق الذين لا يعرض لهم وساوس العباد ولا يحدثون
انفسهم بالبقاء الذين اذا عرض لهم عيش الدنيا قلوه واذا زوي
عنهم سروا بذلك فاولئك ابحت لهم محبتي واعطيتهم فوق غاياتهم
قال احمد بن ابي الحواري حدثنا رباح حدثنا عبد الله بن سليمان
حدثنا موسى ابن ابي الصباح في قوله تعالى ان الله لذو فضل

على الناس قال اذا كان يوم القيمة يؤتى باهل ولاية الله فيقفون بين
يدي الله عز وجل ثلاثة اصناف فيؤتى برجل من الصنف الاول فيقول
عبدي لماذا عملت فيقول يا رب خلقت الجنة واشجارها وثمارها وانهارها
وحورها ونعيمها وما اعددت لاهل طاعتك فيها فاسهرت ليلي واظمأت
نهاري شوقا اليها فيقول الله تعالى عبدي انما عملت للجنة هذه الجنة
فادخلها ومن فضلي عليك ان اعتقتك من النار قال فيدخل هو ومن معه
الجنة قال ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني فيقول عبدي لماذا عملت فيقول
يا رب خلقت نارا وخلقت سلاسلها واغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها
وما اعددت لاعدائك فيها واهل معصيتك فاسهرت ليلي واظمأت نهاري
خوفا منها فيقول الله عبدي انما عملت ذلك خوفا من النار فاني اعتقتك
من النار ومن فضلي عليك ان ادخلك الجنة فيدخل هو ومن معه الجنة ثم يؤتى
برجل من الصنف الثالث فيقول عبدي لماذا عملت فيقول عملت حبا لك
وشوقا اليك وعزتك وجلالك لقد اسهرت ليلي واظمأت نهاري شوقا وحبا
اليك فيقول تبارك وتعالى عبدي انما عملت شوقا الي وحبا الي فيتجلى
له الرب عز وجل فيقول ها انا ذا انظر الي ثم يقول من فضلي عليك اني اعتقتك
من النار وابيحك الجنة وازيرك ملائكتي واسلم عليك بنفسي فيدخل هو
ومن معه الجنة خرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وخرج ابن ابي الدنيا
في كتاب الجوع من طريق اسحاق بن نوح بن عبد الله الشامي عن ابيه عن جده
قال قال عبد الله بن سلام يكون في آخر الزمان اقوام خلت انفسهم
من لذة الدنيا وشهواتها تكاد انوارهم تلحق بانوار الانبياء يوم القيمة
كلما نظر اليهم اهل ذلك الموقف والجمع العظيم كادت ابصارهم تذهب من
النور الذي بوجوههم قيل بم بلغوا ذلك قال بحبهم لله واتباع مسرته
جوعوا انفسهم ليغنيها من الجوع يوم الجوع الاكبر واظمؤا لله انفسهم
لينالوا حلاوة الري من فضله يوم العطش الاكبر واهملوا له العيون
رجاء ان ينير لهم غدا في ظلم القيمة وزكوا ابدانهم بترك المطعم و
المشرب

المشرب شوقا الى النظر الى وجهه الكريم اولئك الآمنون يوم تعنو الوجوه
للحي القيوم ومن طريق اسحاق بن نوح عن رجل من النساك عن عبد الله بن
ضمرة عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يكونون في هذه الامة بمنزلة الرهبانية
قلوبهم نور وافواههم نور تنطق السنتهم بنور الحكمة تعجب الملائكة من اتصالهم
واجتهادهم بمحبة الله عز وجل وروينا من رواية احمد ابن الفتح قال رأيت بشر
ابن الحارث في منامي فقلت له ما فعل معروف الكرخي فحرك راسه ثم قال هيهات
حالت بيننا وبينه الحجب ان معروفا لم يعبد الله شوقا الى جنته ولا خوفا
من ناره وانما عبده شوقا اليه فرفعه الله تعالى الى الرفيق الاعلى وقال
الحافظ ابو نعيم حدثت عن المحلبي قال الانصاري رايت معروفا الكرخي في النوم
كانه تحت العرش فيقول الله ملائكتي من هذا فقالت الملائكة انت اعلم هذا معروف
الكرخي قد سكر من حبك لا يفيق الا بلقائك وفي الباب حديث مرفوع طويل
وهو حسن المتن الا انه لا يصح تركنا ذكره لذلك وقال ابراهيم بن بشار الخراساني
سمعت ابراهيم بن ادهم يقول بؤسا لاهل النار لو نظروا الى زوار الرحمن وقد حملوا على
النجائب يزفون الى الله زفا وحشروا وفدا قد نصبت لهم المنابر ووضعت لهم الكراسي
وقد اقبل عليهم الجليل جل جلاله بوجهه ليسرهم وهو يقول لهم الي عبادي الي اوليائي
المطيعين الي احبابي المشتاقين الي اصفيائي المحزونين ها انا ذا فاعرفوني من كان
منكم مشتاقا ومحبا متملقا فليستمتع بالنظر الى وجهي الكريم فوعزتي وجلالي
لافرحنكم بجواري ولاسرنكم بقربي ولابيحنكم كرامتي من الغرفات تشرفون و
تتكؤن على الاسرة فتتملكون تقيمون في دار المقامة ابدا لا تظعنون وتامنون
فلا تخافون تصحون فلا تسقمون تنعمون في رغد العيش لا تموتون وتعانقون
الحسان فلا تملون ولا تسأمون كلوا واشربوا هنيئا وتنعموا كثيرا بما اخلتم
وانهكتم الاجساد ولزمتم الصيام وسهرتم بالليل والناس نيام قال وسمعته
يقول لا تنال جنته الا بطاعته ولا تنال ولايته الا بمحبته ولا تنال مرضاته الا بترك
معصيته والله قد اعد المغفرة للاوابين واعد الرحمة للتوابين واعد الجنة

للخائفين واعد رؤيته للمشتاقين واعد الحور للمطيعين **الباب**
الثاني عشر في نبذ من كلام اهل المحبة وتحقيقهم تقوى به القلوب
على سلوك طريقهم قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى الودود
قال يقول الحبيب خرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وفي حديث ابي جعفر الرازي
عن الربيع بن انس عن ابي العالية او غيره عن ابي هريرة في قصة الاسرى الطويلة
في ذكر سدرة المنتهى قال فغشاها نور الخالق وغشيتها الملائكة مثل
الغربان حين يقعن على الشجرة من حب الله جل ثناؤه قال الجوزجاني حدثنا
ابو صالح ان معاوية حدثه عن يزيد ابن ميسرة انه سمع ابا ام الدردا
يقول لما اهبط الله آدم الى الارض قال له يا آدم احبني وحببني الى خلقي
ولا تستطيع ذلك الا بي ولكني اذا رأيتك حريصا على ذلك اعنتك عليه
فاذا فعلت ذلك فخذ به اللذة والنظرة وقرة العين والطمانينة قال خليل
العصري يا اخوتاه هل منكم من احد لا يحب ان يلقى حبيبه الا فاحبوا ربكم عز
وجل وسيروا اليه سيرا كريما خرجه الامام احمد وخرجه ابو نعيم وفي رواية
له فاحبوا الله وسيروا اليه سيرا جميلا لا مصعدا ولا مميلا وخرج ابن ابي
الدنيا من طريق بن لهيعة حدثني عبد الحميد بن عبد الله ابن ابراهيم القرشي
عن ابيه قال لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه عبد الله اني موصيك
بحب الله وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته وانك اذا كنت كذلك
لم تكره الموت متى اتاك قال احمد بن ابي الحواري حدثنا ابو صالح الخراساني
قال حدثنا اسحاق بن نجيح عن اسماعيل الكندي قال جاء رجل من البصرة
الى طاووس ليسمع منه فوافاه مريضا فجلس عند راسه يبكي فقال ما يبكيك
قال والله ما ابكي على قرابة بيني وبينك ولا على دنيا جئت اطلبها منك ولكن
على العلم الذي جئت اطلبه منك يفوتني قال له طاووس اني موصيك بثلاث كلمات
ان حفظتهن علمت علم الاولين والآخرين وعلم ما كان وعلم ما يكون خف الله حتى لا يكون
عندك شيء اخوف منه وارج الله حتى لا يكون عندك شيء ارجا منه واحب الله
حتى لا يكون شيء احب اليك منه فاذا فعلت ذلك علمت علم الاولين والآخرين
وعلم

وعلم ما كان وعلم ما يكون فقال لا جرم لا سالت احدا بعدك عن شيء ما بقيت
وعن ابراهيم بن الاشعث قال سمعت الفضيل بن عياض يقول مر عيسى
عليه السلام بثلاثة من الناس نحلت اجسامهم وتغيرت الوانهم فقال ما الذي
بلغ بكم ما ارى قالوا الخوف من النيران قال مخلوقا خفتم وحق على الله ان يؤمن الخائف
ثم جاوزهم الى ثلاثة اخر فاذا هم اشد تغيرا وانحل اجساما فقال ما الذي بلغ بكم
ما ارى قالوا الشوق الى الجنة قال مخلوقا اشتقتم وحق على الله ان يعطيكم ما رجوتم
ثم جاوزهم الى ثلاثة اخر فاذا هم اشد تغيرا وانحل اجساما كان على وجوههم المرايا
من النور فقال ما الذي بلغ بكم ما ارى قالوا احب الله قال انتم المقربون انتم المقربون
انتم المقربون وروى ابراهيم بن الجنيد باسناده عن كعب قال اوحى الله الى موسى
عليه السلام ان ابراهيم عليه السلام لم يحبني احد من خلقي كحبه اياي وعن ابي حازم
القيساري قال مكتوب في الانجيل يا عيسى الحق والحق اقول اني احب الى عبدي
من نفسه التي بين جنبيه وعن ابن عيينة عن رجل عن يحيى بن ابي كثير اليمامي
قال نظرنا فلم نجد شيئا يتلذذ به المتلذذون افضل من حب الله عز وجل وطلب
مرضاته وعن سعيد بن عامر عن محمد بن ليث عن بعض اصحابه قال كان حكيم
ابن حزام يطوف بالبيت ويقول لا اله الا الله نعم الرب ونعم الاله احبه و
اخشاه وعن بكر المزني قال ما فاق ابو بكر اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بصوم
ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه قال ابراهيم بلغني عن ابن علية انه قال في عقيب
هذا الحديث الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل والنصيحة في خلقه قال ابن ابي
الدنيا حدثنا هارون بن سفيان حدثنا عبد الله بن صالح اخبرني بعض اهل البصرة
قال لما استقضي سوار بالبصرة كتب اليه اخ له كان يطلب العلم معه وكان
ببعض الثغور اما بعد اوصيك بتقوى الله الذي جعل التقوى عوضا من كل
فائت من الدنيا ولم يجعل شيئا من الدنيا يكون عوضا من التقوى فان التقوى
عقدة كل عاقل مستبصر اليها يستروح وبها يستعين ولم يظفر احد في عاجل
هذه الدنيا وآجل الآخرة بمثل ما ظفر به اولياء الله الذين شربوا بكاس حبه

فكانت قرة اعينهم فيه ولكنهم اعملوا انفسهم في جسيم الادب وراضوها
رياضة الاصحاب الصادقين فطلقوها عن فضول الشهوات والزموها القوت
المقلق وجعلوا الجوع والعطش شعارا لها برهة من الزمان حتى انقادت و
اذعنت وعزفت لهم عن فضول الحطام فلما ظعن حب فضول الدنيا من قلوبهم
وزايلتها اهواهم وانقطعت امانيهم وصارت الآخرة نصب اعينهم ومنتهى
املهم ورث الله قلوبهم نور الحكمة وقلدها قلائد العصمة وجعلهم دعاة
لمعالم الدين يلمون منه الشعث ويشعبون منه الصدع لم يلبثوا الا يسيرا
حتى جاءهم من الله موعد صادق اختص به العاملين له والعاملين به دون من
سواهم فاذا سرك ان تسمع صفة الابرار الاتقيا فصفة هؤلاء فاستمع وعلى شمائلهم
الطيبة فاتبع واياك يا سوار وبنيات الطريق والسلام وخرج ابو نعيم
باسناده عن الربيع بن برة عن الحسن في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة
قال النفس المؤمنة اطمانت الى الله واطمان اليها واحبت لقاء الله واحب لقاءها
ورضيت عن الله ورضي عنها فامر بقبض روحها فغفر لها وادخلها الجنة و
جعلها من عباده الصالحين وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن مسمع بن عاصم
عن نعيم بن صبيح السعدي قال هم الابرار متصلة بمحبة الرحمن وقلوبهم تنظر
الى مواضع العز من الآخرة بنور ابصارهم وقال مسمع سمعت عابدا من
اهل البحرين يقول في جوف الليل قرة عيني وسرور قلبي ما الذي اسقطني
من عينك يا مانح العصم ثم صرخ وبكى ثم نادى طوبى لقلوب ملأتها خشيتك
واستولت عليها محبتك فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك و
الاجتهاد في خدمتك وخشيتك قاطعة لها عن سبيل كل معصية خوفا
لحلول سخطك ثم بكى وقال يا اخوتاه ابكوا على فوت خير الآخرة حيث لا
رجعة ولا حيلة وباسناده عن ايوب بن حوط عن قتادة قال كان في جمرة
عتت شيخ يقال له مسعود بن محمد كان لا يقدر ان يسمع القرآن من شدة
خوفه وكان يقول سيد الاعمال التقوى ثم البذل ثم بعد البذل الشكر ثم
بعد الشكر الرضى ثم بعد الرضى التعظيم ثم بعد التعظيم الحب لله والاجلال له و
معنى

ومعنى هذا ان درجة الحب المستحبة التي ذكرناها في اول الكتاب
متأخرة عن درجة الشكر والرضى والتعظيم والبذل فاما الواجبة
فانها تدخل في التقوى كما سبق بيانه وكذلك كان السلف يقدمون
درجة الخوف على الشوق كما روى ابن ابي الدنيا باسناده عن واقد العابد
مولى ام البنين قال قال لي رجل من العباد فما رايت القلوب جليت بشيء قلما
انقى من جلائها بالخوف قلت فالشوق قال قد يشتاق وصدى الرين على قلبه
قال والرين يعني الذنب على الذنب وكذلك كانت حال العلماء الربانيين
كالحسن وسفيان واحمد وغيرهم يظهر عليهم الخوف ولوازمه ويكثر كلامهم
فيه ويقل كلامهم في المحبة وظهور آثارها عليهم ايضا حتى حذر طوائف من
العلماء ممن يكثر دعوى الشوق والمحبة بغير خوف لما ظهر منهم من الشطح
والدعاوي بل والاباحة والحلول وغير ذلك من المفاسد والله سبحانه اعلم
ولهذا كان ابو عبد الله بن الجلاد وهو من كبار العارفين اذا سئل عن المحبة
قال انا ما لي وللكلام في المحبة وانا اريد ان اتعلم التوبة ويقال ان اول من
اظهر الكلام في المحبة والشوق وجمع الهمة وصفي الفكر وتكلم به على رؤس
الناس ابو حمزة الصوفي وكان من اعيان العارفين ايضا وكان يجتمع بالامام
احمد كثيرا وكان احمد يسأله ويقول له ما تقول يا صوفي رضي الله عنهم اجمعين
وكان عباد البصرة بعد طبقة الحسن واصحابه كعبد الواحد بن زيد واكابر
اصحابه كعتبة وضيغم وغيرهما ظهر منهم المحبة كثيرا مع شدة الخوف ايضا و
كذلك رابعة وكذلك الفضيل وداود الطائي وغيرهما وقال ابراهيم بن
الجنيد حدثني عبد الرحمن بن يحيى الرملي حدثني عثمان بن عمارة قال قال عتبة
من سكن حبه قلبه لم يجد حرا ولا بردا قال عبد الرحيم يعني من سكن حب الله
قلبه شغله حتى لا يعرف الحر من البرد ولا الحلو من الحامض ولا الحار من البارد
وقال عبد الواحد بن زيد كان عتبة يجيء الى المسجد يوم الجمعة وقد اخذ
الناس الظل فيقوم على الحصى ويسجد السجدة الطويلة قال عبد الواحد ما
اراه يعقل بجره وسمع عتبة قائلا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي عناء

قال عتبة صدقت والله وغشي عليه وقال ضيغم يوما لمولى له منعني والله حب الله من الاشتغال بحب غيره ثم سقط مغشيا عليه وكان كلاب بن جري العابد يقول في سجوده وعزتك لقد خالط قلبي من محبتك امر يكل لساني عما اجد منه في نفسي وقدمت شعوانة العابدة وزوجها مكة فجعلا يطوفان ويصليان فا[illegible] كلّا واعييا جلس وجلست خلفه فيقول في جلوسه انا العطشان من حبك ولا اروى وتقول هي بالفارسية ياسيدي انبتّ لكل داء دواءً في الجبال ودواء المحبين في الجبال لم ينبت ودخل على عابد بالبصرة وهو يجود بنفسه وهو يقول انا عطشان من حب ربي وجائع لم اشبع من حب ربي قال المعافى بن عمران كلمت فتحا الموصلي في شيء فقال لم تترك المحبة لله في قلوب اوليائه موضعا لمحبة غيره وقال ابو عمر نظرت رابعة يوما الى رباح القيسي وهو يقبل صبيا صغيرا من اهله فقالت اتحبه يا رباح قال نعم قالت ما كنت احسب ان في قلبك موضعا فارغا لمحبة سواه فخر رباح مغشيا عليه ثم افاق وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يقول رحمة جعلها الله في قلوب عباده للاطفال وقال حذيفة المرعشي رايت رجلا بالرقة وبين يديه صبيان يلعبان ويقتتلان وهو متشاغل بهما يزجرهما وينهاهما فقلت له اني احسبك تحبهما قال لا والله ما احبهما ولكن ارحمهما وما احد احب الي من الله عز وجل ثم اتسع الكلام في المحبة في زمن ابي سليمان الداراني واصحابه بالشام كاحمد بن ابي الحواري وقاسم الجوعي وكان قاسم يقول شبع الاولياء بالمحبة عن الجوع وفقدوا لذاذة الطعام والشراب والشهوات ولذات الدنيا لانهم تلذذوا بلذة ليس فوقها لذة فقطعتهم عن كل لذة وبالعراق في زمن السري واصحابه كالجنيد واصحابه وكمصر في زمن ذي النون واقرانه وكان بعض من يذكر المحبة ربما حصل له وسوسة ونوع تغير عقل كسعدون وسمنون وكان سمنون منشد بيد المحبة ربما حصل له نوع وسوسة ويقال انه تكلم يوما في المحبة فاصطفقت قناديل المسجد حتى تكسرت وانه تكلم يوما فيها فجاء طائر يضرب بمنقاره الارض حتى مات وكذلك ربما حصل للشبلي نوع تغير وما ينسب من الشعر الى بعض هذه الطبقة

هجرت الورى في حب من جاد بالنعم ۞ وعفت الكرى شوقا اليه فلم انم

وموهت

وموهت دهري بالجنون عن الورى ۞ لاكتم ما بي من هواه فما انكتم
فلما رايت الشوق والحب بايحا ۞ كشفت قناعي ثم قلت نعم نعم
فان قيل مجنون فقل جنني الهوى ۞ وان قيل مسقام فما بي من سقم
وحق الهوى والحب والعهد بيننا ۞ وحرمة روح الانس في حندس الظلم
لقد لامني الواشون فيك جهالة ۞ فقلت لطرفي اوضح العذر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلم ۞ واخبرهم ان الهوى يورث السقم
فبالحلم ياذا المن لا تبعدنني ۞ وقرب مزاري منك يا بارئ النسم

وكان بعض هؤلاء يقول اذا لم اجن بك ياحبيبي فبمن ومن هؤلاء من كان يسمى مجنونا كسعدون وغيره ويسمون عقلا المجانين وكانت اقوالهم وافعالهم محفوظة غالبا ف يصدر منهم من الكلام الحسن شيء كثير وقد غلط طوائف من المتاخرين في امرهم فظنوا ان حالهم هو غاية الكمال وان العقلا كلهم من العلما بالله والعمال لله مقصرون عن درجتهم وهذا خطأ قبيح جدا ثم ادخلوا في طبقتهم من ليس منهم من المجانين الذين لا حكمة لديهم ولا ظهر شيء من الاحوال الصحيحة عليهم وانما يظهر منهم مخالفة الشريعة بالاعمال والاقوال الشنيعة ولكن احسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الاخبار بالمغيبات في بعض الاحيان مما قد ظهر اكثر منه من الرهبان والكهان ونشا بهذا السبب اعتقاد ان الاوليا لهم طريقة غير طريقة الانبيا وانهم واقفون مع الحقيقة ولا يتقيدون بالشريعة الى غير ذلك من انواع الضلال والبدع الفضيعة ووجد بعض من كان في صدره النفاق كامنا من انواع الحلولية والاباحية سبيلا الى اظهار ما في نفوسهم فعظم الخطب بذلك واشرأب النفاق ولو سمع بذلك ايمة الطريق العارفون بالله كالجنيد ومن قبله فجاهدوا في الله حق جهاده في انكار هذه العظائم ولن تخلو الارض من قائم لله بحجه ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله لقوي عزيز وقد ورد حديث ان اكثر اهل الجنة البله وله طريقان ضعيفان احدهما مسند من حديث انس والاخر مرسل من [illegible] عمر بن عبد العزيز وقد رواه احمد بن ابي الحواري باسناده الى عمر مرسلا ثم قال مفسرا له البله عن الشر واعلى عليين لاولي الالباب يشير الى ان درجة العقلا اكمل و اعلى من درجة هؤلاء وبين ان المراد البله عن الشر الذين لا يعرفونه من شدة سلامة صدورهم وانما يعرفون الخير فقط وكذلك روى تفسيره عن الاوزاعي قال اسحاق بن راهويه

في مسنده حدثنا بقية بن الوليد حدثنا الاوزاعي عن ابي يزيد الغنوي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكثر امتي دخولا الجنة البله قال سالت الاوزاعي عن البله قال الذين يعرفون
الخير ولا يعرفون الشر وهذا مرسل ايضا وروى ابن اخي ابن وهب عن عمه عبد الله بن
وهب قال سالت مالكا عن تفسير قول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله فقال الا
بله مثل عبد الله بن عمر كان ابله في معاصي الله فطنا فيما يرضي الله مسارعا الى ما يرضي الله
بطيئا عن محارم الله لا تاخذه في الله لومة لائم رواه الحسن بن حبيب الدمشقي عن عبد الله بن
عبد الحميد عن ابن اخي ابن وهب

فصل

ولنختم الكتاب بكلمات جوامع
من امر المحبة وابيات رقائق متضمنة لها روى الامام احمد في كتاب الزهد باسناده
عن عطا بن يسار قال قال موسى عليه السلام يا رب من اهلك الذين هم اهلك الذين تظلهم في
ظل عرشك قال هم البرية ايديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين اذا ذكرت ذكروا بي
واذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء في المكاره وينيبون الى ذكري كما تنيب النسور
الى وكورها ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويغضبون لمحارمي اذا استحلت كما
يغضب النمر اذا حرب

وفي كتاب المحبة لابراهيم ابن الجنيد عن احمد بن مخلد الخراساني قال
قال الله عز وجل الا قد طال شوق الابرار الى لقائي وانا اليهم اشد شوقا وما شوق
المشتاقين الي الا بفضل شوقي اليهم الا من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ومن ذا
الذي اقبل الي فلم اقبل اليه ومن ذا الذي توكل علي فلم اكفه ومن ذا الذي دعاني فلم اجبه ومن
ذا الذي سالني فلم اعطه

قال احمد بن ابي الحواري حدثنا عمرو بن سلمة السراج عن
ابي جعفر السراج عن ابي جعفر المصري قال قال الله جل جلاله يا معشر المتوجهين الي
ما ضركم ما فاتكم من الدنيا اذا كنت لكم حظا وما ضركم من عاداكم اذا كنت لكم سلما وفي
هذا المعنى يقول القائل

بيان الحاشيه

هنيئا لمن اضحى وانت حبيبه ❊ ولو ان لوعات الغرام تذيبه
وطوبى لصب انت ساكن سره ❊ ولو بان عنه الفه وقريبه
وما ضر صبا ان يبيت وما له ❊ نصيب من الدنيا وانت نصيبه
ومن تك راض عنه في طي غيبه ❊ فما ضره في الناس من يستغيبه
فيا علة في الصدر انت شفاؤها ❊ ويا مرضا في القلب انت طبيبه
عبيدك في باب الرجا متضرع ❊ اذا لم تجبه انت من ذا يجيبه

بعيد

بعيد عن الاوطان يبكي بذلة ❊ وهل ذاق طعم الذل الا غريبه
تصدق على من ضاع منه زمانه ❊ ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرا فالعار يلفيه والعنا ❊ وقد آن من ضوء النهار مغيبه

ومما انشده احمد بن زيد البحراني من المتقدمين رحمة الله عليه

محب نفى ما التذ من غمضه الفكر ❊ فاعقبه ضرا انهكه الضر
وبات يراعي انجما بعد انجم ❊ ويرعد من خوف الى ان بدا الفجر
ويخدم مولاه بالطف خدمة ❊ ويسعده في حسن خدمته الصبر
به ومن ساواه في الزهد والتقى ❊ اذا الجدب عم الارض يستنزل القطر
محب خلا بالحب خلوة واجد ❊ خلا بحبيب والظلام له ستر
يقول بذلت الحب يا منتهى المنى ❊ ويا نور قلبي انت لي سيدي ذخر
فلا تخزني يا رب وارحم تضرعي ❊ فقد وعظيم العفو اثقلني الوزر
وقد خفت من يوم المعاد مخافة ❊ تيقنت اني ليس لي فيهما عذر
بفضلك زدني منك قربا وادنني ❊ اليك دنوا لا يغيره الدهر
شفائي مقامي في الهوى وهو قاتلي ❊ وبين سقامي والشفا ينفد العمر
وفي كبدي مما اقاسي من الهوى ❊ ومن زفرات الحب يا واحدي جمر
غزا الحب قلبي قاصدا بجيوشه ❊ ليأسره قسرا فاذهله الاسر
وحقك لا انساك ما دمت باقيا ❊ وهل يتسلى من محبته فخر

وانشدت بعض العارفات

احبك حبين حب الوداد ❊ وحب لانك اهل لذاكا
فاما الذي هو حب الوداد ❊ فحب شغلت به عمن سواكا
واما الذي انت اهل له ❊ فكشفك للحجب حتى اراكا
فما الحمد في ذا ولا ذاك لي ❊ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

وانشدت اخرى منهن

حبيب ليس يعدله حبيب ❊ ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي ❊ ولكن عن فؤادي لا يغيب

وانشد بعض المحبين

اعميت عيني عن الدنيا وزينتها ❊ فانت والروح مني غير مفترق

اذا ذكرتك وافى مقلتي ارق ٭ من اول الليل حتى مطلع الفلق
وما تطابقت الاجفان عن سنة ٭ الا رايتك بين الجفن والحدق
ارحم حشاشة نفس فيك قد تلفت ٭ قبل الفراق فهذا آخر الرمق
ولو مضى الكل مني لم يكن عجبا ٭ وانما عجبي في البعض كيف بقي

وانشد بعضهم

والله ما طلعت شمس ولا غربت ٭ الا وانت حديثي بين جلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطش ٭ الا رايت خيالا منك في الكاسي
ساكن في القلب يعمره ٭ لست انساه فاذكره
غاب عن سمعي وعن بصري ٭ فسويدا القلب يبصره

وانشد آخر

من عامل الله بتقواه ٭ وكان في الخلوة يرعاه
سقاه كأسا من صفو حبه ٭ يسليه عن لذة دنياه
فابعد الخلق واقصاهم ٭ وانفرد العبد بمولاه

بعضهم ايضا

انت تدري يا حبيبي ٭ من حبيبي انت تدري
ونحول الجسم والدمع ٭ يبوحان بسري
يا عزيزي قد كتمت الحب ٭ حتى ضاق صدري

وانشد بعضهم

ابا الحب ان يخفى وكم قد كتمته ٭ فاصبح عندي قد اناخ وطنبا
اذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره ٭ وان رمت قربا من حبيبي تقربا
ويبدو فافنى ثم احيى بقربه ٭ فيسعدني حتى الذ واطربا

وسئل ابراهيم القصاب هل يبدي المحب حبه او هل ينطق به او هل كتمانه فتمثل بهذين البيتين

ظفرتم بكتمان اللسان فمن لكم ٭ بكتمان عين دمعها الدهر يذرف
حملت جبال الحب فوقي وانني ٭ لاعجز عن حمل القميص واضعف

تم بحمد الله وعونه واحسانه وطوله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم وذلك بقلم عبده عبد الله ابن ابراهيم الربيعي في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة ١٣٣٢

كتاب المحجة في سير الدلجة تاليف الشيخ الامام العالم العلامه الحبر البحر الفهامه زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى ورضي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرجه ايضا في مواضع اخر في كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احد بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بمغفرة ورحمة وخرج ايضا من حديثها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا واعلموا انه لا يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان قل اشتملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السير والسلوك الى الله تعالى في طريقه الموصل

اليه اما الاصل فان عمل الانسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة
وان ذالك كله انما يحصل بمغفرة الله ورحمته وقد دل القرآن العزيز
على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى فالذين هاجروا واخرجوا
من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الايه وقوله يبشرهم
ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم الآيه وقوله
تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
ذالكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار فقرن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة
فدل على انه لا ينال شيء من ذالك بدون مغفرة الله ورحمته قال بعض
السلف الآخرة اما عفو الله او النار والدنيا اما عصمة الله او الهلكة
وكان محمد بن واسع يودع اصحابه عند موته ويقول عليكم السلام
الى النار او يعفو الله فاما قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخاليه فقد اختلف العلماء في معنى ذالك على قولين احدهما ان دخول
الجنة برحمته ولكن انقسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة كانوا
يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقتسام المنازل
بالاعمال والثاني ان الباء المثبتة في قوله تعالى بما كنتم تعملون
وقوله بما اسلفتم في الايام الخاليه باء السببية وقد جعل الله العمل
سببا لدخول الجنة والباء في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد
الجنة بعمله باء المقابله والمعاوضه والتقدير لن يستحق احد دخول
الجنة بعمل بعمله فازال بذالك توهم من يتوهم ثمن الاعمال وان صاحب
العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها
تسليم

تسليم سلعته فنفى بذلك هذا التوهم وبين ان العمل وان كان
سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله ورحمته فصار الدخول
مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لانه هو المتفضل بالسبب
والمسبب المرتب عليه ولم يبق الدخول مرتبا على العمل نفسه وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول للجنة
انتي رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي وفي هذا قيل

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع
ان عذبوا فبعدله او نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

فان قيل روى حبيب بن الشهيد عن الحسن انه قال الحمد لله ثمن كل نعمه
ولا اله الا الله ثمن الجنه وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث ابي ذر
وانس وغيرهما وان كان في اسانيدهما ضعف ويشهد لذلك قوله
عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في
التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذالك هو الفوز العظيم فجعل الجنة ثمنا للنفوس
والاموال فالجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله وكرمه ومنه
وطوله خاطب عباده بما ندبهم اليه من طاعته على حسب ما يتعارفونه
بينهم في تصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل نفسه مشتريا منهم
ومستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين له ليكون ذالك ادعى الى
استجلابهم لدعوته ومبادرتهم الى طاعته والا ففي الحقيقة الكل
له ملك ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها
ملك له كما امرنا ان نقول عند المصائب انا لله وانا اليه راجعون

ومع هذا فقد مدح من بذل نفسه وماله وجعله بايعا له
ومقرضا كالذي له ملك يبيعه ويقرضه لغيره من لا يملكه عليه
لكن ذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد مدح عليها
ونسبها الى عاملها وجعلها شكرا منهم لنعمه ومكافات لها
وقد روى بن ماجة من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد
نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطي افضل مما اخذ وكذا قال عمر
ابن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف واشكل ذلك على كثير
من العلما قديما وحديثا وعلى ما قررناه معناه ظاهر فان المراد
بالنعم النعم الدنيوية والحمد من النعم الدينية والنعم الدينية
افضل من النعم الدنيوية ولكن لما كان الحمد منسوبا الى العبد لفعله
له وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم النعمتين مكافيا بها النعمة
الاخرى ولهذا جاء في الاثر الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويدافع نقمه
ويكافي مزيده فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق
النظر فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين
ولهذا يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي هدانا لهذا و
ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق
فلما اعترفوا بنعمته عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوا
الله على ذلك كله جوزوا بان نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما
كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا عليه ونظير هذا ما قاله
بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يا رب انت قضيت علي
قال له ربه انت اذنبت وانت عصيت فان قال العبد يا رب انا اخطات
وانا

وانا اذنبت وانا اسأت قال الله تعالى انا قضيت عليك وقدرت
وانا اغفر لك ومما يتحقق به قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل
احد الجنة بعمله اولن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما
هي من فضل الله عز وجل واحسانه حيث جازا بالحسنة عشرا ثم
ضاعفها الى سبع مئة ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه
عز وجل ولو جازا بالحسنة مثلها كالسيات لم تقو الحسنات على احباط
السيآت فكان يهلك صاحب العمل لا محالة كما قال بن مسعود في
صفة الحسنات ان كان وليا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله
له حتى يدخله بها الجنة وان كان شقيا قال الملك يا رب فنيت حسناته
وبقي له طالبون كثير قال خذوا من سيآتهم فاضيفوها الى سيآته
ثم صكوا له صكا الى النار فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته
ضاعف الله له الحسنات حتى يستوفي منها الغرماء ويبقى له مثقال
ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته
ومن اراد شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن
اراد الله سعادته بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها
كلها وتبقى لهم عليه مظالم فيطرح عليه من سياتهم فيدخل بها
النار فهذا عدله وذلك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا
بسط فضله لم يبق لاحد سيئة واذا جاء عدله لم يبق لاحد
حسنة وايضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش
الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم وخرج ابو نعيم من
حديث علي مرفوعا اوحى الله الى نبي من الانبياء انبياء بني اسرائيل
قل لاهل طاعتي من امتك لا يتكلوا على اعمالهم فاني لا اناقش عبدا

الحساب يوم القيمة ان شئت اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي
من امتك لا يلقوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال
عبد العزيز بن ابي رواد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر
المذنبين وانذر المصدقين فكانه عجب فقال يا رب ابشر المذنبين وانذر
المصدقين قال نعم بشر المذنبين انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر المصدقين
اني لا اضع عدلي وحسابي على عبد الا هلك وقال ابن عيينة المناقشة
سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيء وقال ابن زيد الحساب الشديد
الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه وتتقبل
حسناته فتبين بهذا ان لا نجاة للعبد بدون المغفرة والعفو والرحمة
والتجاوز وانه متى اقيم العدل المحض على عبد هلك ومما يبين ذالك
ايضا قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس
يسئلون عن النعيم في الدنيا هل قاموا بشكره ام لا فمن طولب بالشكر على
كل نعمة من عافية وستر وصحة جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصي
على ذالك لم تف اعماله كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى ساير النعم غير
مقابلة بشكر فيستحق صاحبها العذاب بذالك وخرج الخرايطي في كتاب
الشكر من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا يؤتى بعبد يوم القيمة فيوقف
بين يدي الله عز وجل فيقول الله للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمي
عليه فينظرون فيقولون ولا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول
انظروا في عمله سيئه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافا فيقول عبدي
قد قبلت حسناتك وغفرت لك سياتك وقد وهبت لك نعمي فيما بين
ذالك وخرج الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعا ان الرجل ياتي يوم القيمة
بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتقدم النعمة من نعم الله فتكاد ان
تستنفد ذالك الا ان يتطاول الله برحمته وخرج ابن ابي الدنيا من حديث
انس

انس مرفوعا يؤتى بالنعم يوم القيمة ويؤتى بالحسنات والسيات
فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له
حسنة الا ذهبت بها وباسناده عن وهب بن منبه قال عبد
عابد خمسين سنة فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك قال يا رب
وما لا تغفر لي ولم اذنب فاذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه
فلم ينم ولم يصل ثم سكن ونام واتاه ملك فشكا اليه ما لقي من
ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين
سنة تعدل سكون ذالك العرق وفي صحيح الحاكم عن جابر مرفوعا
عن جبرئيل عليه السلام ان عابدا عبد الله تعالى على راس جبل
في البحر خمسمئة سنة ثم سال ربه ان يقبضه ساجدا قال
جبرئيل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجد في العلم انه
يبعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله
عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد بعملي يا رب
يفعل ذالك ثلاث مرات ثم يقول الله تعالى للملائكة قايسوا
عبدي بنعمي عليه وبعمله فيجدون نعمة البصر قد احاطت بعبادة
خمسمئة سنة وبقيت نعمة الجسد له فيقول ادخلوا عبدي
النار فيجر الى النار فينادي برحمتك يا رب ادخلني الجنة فيدخله
الجنة قال جبرئيل انما الاشياء برحمة الله يا محمد فمن حقق معرفة
هذه الامور عرف ان العمل وان عظم فانه لا يستقل بنجاة العبد
ولا يستحق به على الله دخول الجنة ولا النجاة من النار وحينئذ
فيفلس العبد من عمله وييئس من الاتكال عليه ومن النظر اليه
وان كثر العمل وحسن فكيف بمن ليس له عمل كثير وليس له عمل حسن

فان هذا ينبغي ان يشغله الفكر في التقصير في عمله ويشتغل
بالتوبة من تقصيره والاستغفار منه فاما من حسن عمله و
كثر فانه ينبغي له ان يشتغل بالشكر عليه فان ذالك من اعظم
نعم الله على عبده فيجب مقابلته بالشكر عليه وبروية التقصير
في القيام بشكره كما كان وهيب بن الورد اذا سئل عن اجر عمل من
الاعمال يقول لا تسئلون عن اجره ولكن سلوا عن ما يجب على من هدي
له من الشكر عليه وكان ابو سليمان يقول كيف يعجب عاقل بعمله
وانما يعدل العمل نعمة من نعم الله عز وجل انما ينبغي له ان يشكره
ويتواضع انما يعجب بعمله القدرية الذين لا يرون اعمال العباد
مخلوقة لله عز وجل وما احسن ما قال ابو بكر النهشلي يوم مات
داود الطائي وقام ابن السماك بعد دفنه يثني عليه بصالح عمله
ويبكي والناس يبكون ويصدقون مقالته ويشهدون بما يثني به
عليه فقام ابو بكر النهشلي فقال اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله
الى عمله وفي سنن ابي داود عن زيد بن ثابت مرفوعا لو عذب الله
اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم
لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم وفي صحيح الحاكم عن جابر رضي الله
عنه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال واذنوباه
واذنوباه قالها مرتين اوثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى عندي من عملي
فقالها ثم قال عد فعاد فقال قم فقد غفر الله لك وقيل في هذا المعنى

ذنوبي اذا فكرت فيها كثيرة ❊ ورحمة ربي من ذنوبي اوسع
وما طمعي في صالح قد عملته ❊ ولكنني في رحمة الله اطمع

فاذا تقرر ذالك اي هذا الاصل العظيم وعلم ان العمل بنفسه لا يوجب
النجاة

النجاة من النار ولا دخول الجنة فضلا عن ان يوجب بنفسه الوصول
الى اعلى ما في الجنة من منازل المقربين والنظر الى وجه رب العالمين و
انما ذالك كله برحمة الله وفضله ومغفرته فذالك يوجب على المومن
ان يقطع نظره عن عمله بالكلية وان لا ينظر الا الى فضل الله ومنته
عليه كما سئل بعض العارفين اي الاعمال افضل قال روية فضل الله
عز وجل وانشد ❊ ان المقادير اذا ساعدت ❊ الحقت العاجز بالحازم ❊
فيتعين ح على العبد المومن الطالب للنجاة من النار ولدخول الجنة و
للقرب من مولاه والنظر اليه في دار كرامته ان يطلب ذالك بالاسباب
الموصلة الى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته فبها ينال
ما عند الله من الكرامة اذ الله سبحانه وتعالى قد جعل للوصول الى
ذالك اسبابا من الاعمال الصالحة التي جعلها موصلة اليها وليس ذالك
موجودا الا فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله واخبر عنه
رسوله صلى الله عليه وسلم انه يقرب الى الله ويوجب رضوانه ومغفرته
وانه مما يحبه الله وانه احب الاعمال الى الله عز وجل قال تعالى ان رحمة
الله قريب من المحسنين وقال ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين
يتقون فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الاحسان
التي شرعها الله في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم و
التقرب بذالك الى الله عز وجل فانه لا طريق للعبد يوصله الى رضى
مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذالك وقد اشار النبي صلى
الله عليه وسلم في هذه الاحاديث المشار اليها في اول الجزء من رواية
عائشة رضي الله عنها وابي هريرة رضي الله عنه الى ان احب الاعمال الى الله
شيآن احدهما ما داوم عليه صاحبه وان كان قليلا وهكذا كان عمل
النبي صلى الله عليه وسلم وعمل آله وازواجه من بعده وكان ينهى عن
قطع العمل وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل

فتركه اي قيام الليل وقال يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول لقد
دعوت فلم ار يستجب لي فيستحسر عند ذالك ويدع الدعا قال
الحسن اذا نظر اليك الشيطان فرآك مداوما على طاعة الله عز وجل
فبغاك وبغاك فرآك مداوما ملك ورفضك واذا رآك مرة هكذا
ومرة هكذا طمع فيك الثاني ان احب الاعمال الى الله ما كان على
وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف
والاجتهاد والتعسير كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسروا ولا تعسروا انما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا معسرين وفي المسند عن ابن عباس رضي الله
عنهما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاديان احب الى الله
عز وجل قال الحنيفية السمحة وفيه ايضا عن محجن بن الادرع ان
النبي صلى الله عليه وسلم دخل الى المسجد فرأى رجلا قائما يصلي
فقال اتراه صادقا فقيل يا نبي الله هذا فلان هذا من احسن اهل
المدينة او من اكثر اهل المدينة صلاة فقال لا تسمعه فتهلكه مرتين
او ثلاثا انكم امة اريد بكم اليسر وفي رواية اخرى له انكم لن تنالوا
هذا الامر بالمغالبة وخرج حميد بن زنجويه وزاد فيه فقال واكلفوا
من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الغدوة والروحه وشيء
من الدلجة وفي المسند عن بريدة قال خرجت فاذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمشي فلحقته فاذا نحن بين يدي رجل يصلي يكثر الركوع و
السجود قال اتراه يرائي قلت الله ورسوله اعلم قال ثم [illegible] يده من يدي
فجعل يصوب بهما ويقول عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم
هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه آخر
مرسل

[illegible] وفي رواية اخرى [illegible]

مرسل وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا آخذ بالعسر
ولم ياخذ باليسر ثم دفع في صدره فخرج من المسجد ولم ير فيه
بعد ذالك وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على
التبتل والاختصا وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة
كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم
وقال ولكني اصوم وافطر واقوم وانام واتزوج النساء فمن رغب
عن سنتي فليس مني وانتهى بعبد الله بن عمرو ان يقرأ القرآن في كل
سبع وفي رواية انه انتهى الى قراءته في ثلاث وقال لا يفقه من
قرأه في اقل من ثلاث وانتهى به في الصيام الى صيام داود وقال لا
افضل من ذالك وفي القيام الى قيام داود عليه السلام فقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة وعايشة سددوا وقاربوا
المراد بالتسديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط في العبادة فلا
يقصر فيما امر به ولا يتحمل منها ما لا يطيقه وقال النضر بن شميل السداد
القصد في الدين والسبيل وكذلك المقاربة المراد بها التوسط بين
التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد او متقارب وهو المراد
بقوله في الرواية الاخرى وعليكم هديا قاصدا فقوله وابشروا يعني
ان من مشى في طاعة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فانه يصل
ويسبق الدائب المجتهد في الاعمال فان طريقة الاقتصاد والمقاربة
افضل من غيرها فمن سلكها فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في
سنة خير من الاجتهاد وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله من غيره وليست الفضائل
بكثرة الاعمال البدنية لكن بكونها خالصة لله صوابا على متابعة

الكلام تمام لعله زيد بعده

السنة وبكثرة معارف القلوب واعمالها فمن كان بالله اعرف و
بدينه واحكامه وشرائعه وله اخوف واحب وارجى فهو افضل
ممن ليس كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح والى هذا المعنى الاشارة
في حديث عائشة رضي الله عنها في قوله صلى الله عليه وسلم سددوا
وقاربوا واعلموا انه لن يدخل الجنة احدا منكم عمله وان احب الاعمال
الى الله ادومها وان قل فامر بالاقتصاد في العمل وان يضم الى ذلك العلم
بان احب الاعمال الى الله تعالى وبان العمل وحده لا يدخله الجنة ولهذا
قال بعض السلف ما سبقهم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن في شيء
وقر في صدره وقال بعضهم الذي في صدر ابي بكر رضي الله عنه المحبة
لله ولرسوله والنصيحة لعباده وقال طائفة من العارفين ما بلغ
من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة الانفس وسلامة الصدور
والنصيحة للامه زاد بعضهم وبذم نفوسهم وقال آخر منهم انما
تفاوتوا بالارادات ولم يتفاوتوا بكثرة الصيام والصلاة وذكر
لابي سليمان طول اعمار بني اسرائيل وشدة اجتهادهم في الاعمال
وان من الناس من غبطهم بذلك فقال انما يريد الله منكم صدق
النيه فيما عنده او كما قال قال ابو يزيد رايت رب العزة في
المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك و
تعال ما اعطيت امة من الامم ما اعطيت هذه الامه ببركة
متابعة نبيها صلى الله عليه وسلم حيث كان افضل الخلق و
هديه افضل الهدي مع ما يسر الله على هديه من دينه ووضع
به من الاصار والاغلال عن امته فمن اطاعه فقد اطاع الله
واحب الله واهتدي بهدى الله فمن جملة ما حصل لامته ببركته
وتيسير

وتيسير شريعته ان من صلى منهم العشاء في جماعة فكانما قام
نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله فيكتب
له قيام ليلته وهو نائم على فراشه لا سيما ان نام على طهر وذكر
الله حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل
شهر فقد صام الشهر كله فهو صائم لبقية الشهر في مضاعفة
الله ومفطر له في رخصة الله والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر
ومن نوى ان يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له ما نوى
وكان نومه عليه صدقة وقال ابو الدردا يا حبذا نوم
الاكياس وفطرهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب قائم حظه
من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقال
بعضهم كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر و
قلبه فاجر وهذا ساكت وقلبه ذاكر وقال ابن مسعود لاصحابه
انتم اكثر صوما وصلاة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و
هم خير منكم قالوا بماذا لك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب
في الاخره يشير الى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقوا على
من بعدهم بشدة تعلق قلوبهم في الاخرة ورغبتهم فيها واعراضهم
عن الدنيا وتصغيرها واحتقارها وان كانت في ايديهم فكانت قلوبهم
منها فارغة وبالاخرة ممتلئة وهذه الحال ورثوها من نبيهم
صلى الله عليه وسلم فانه اشد الخلق بقلبه فراغا من الدنيا وتعلقا
بالله وبالدار الاخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء
النبوة وسياسة الدين وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده وكذلك

اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان
في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه الى ما
وصلت اليه قلوبهم من ارتحالها عن الدنيا وتوطنها للآخرة فافضل
الناس من سلك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وخواص اصحابه
في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال القلبية
فان سفر الآخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان جاء رجل الى
بعض العارفين فقال له قطعت اليك المسافة قال ليس هذا الامر
بقطع المسافة فارق نفسك بخطوة فاذا انت قد حصل لك مطلوبك
وقال بعضهم ليس الشان فيمن يقوم الليل انما الشان فيمن ينام الليل
على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب وفي ذلك قيل شعرا

من لي بمثل سيرك المدلل ✤ تمشي رويدا وتجي في الاول ✤

وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة
يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات
وهي آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله سبحانه وتعالى
هذه الاوقات في قوله واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل
فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك
ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
ومن الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله سبحانه وتعالى في طرفي
النهار مواضع كثيرة في كتابه كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال واستغفر لذنبك وسبح
بحمد

بحمد ربك بالعشي والابكار في ذكر زكريا عليه السلام وقال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال فاوحى
اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقال وسبح بالعشي والابكار فهذه
الاوقات الثلاثة منها وقتان وهما اول النهار وآخره يجتمع
في كل هذين الوقتين عملان عمل واجب وعمل تطوع فاما الواجب
فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس وهما
البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما
انها الصلاة الوسطى واما التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح
حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس وقد ورد في
فضله نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار
الصباح والمسا وفي فضل من ذكر الله حين يمسي وحين يصبح وقد روي
من حديث ابن عمر مرفوعا ابن آدم اذكرني ساعة من اول النهار و
ساعة من آخره اغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر او تتوب منها وكان
السلف الصالح لآخر النهار اشد تعظيما من اوله قال ابن المبارك
بلغنا انه من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كتب نهاره كله ذكرا
وقال ابو الجلد بلغنا ان الله ينزل مساء كل يوم الى السماء الدنيا
ينظر الى اعمال بني آدم ورأى بعض السلف ابا جعفر القاري في المنام
فقال له قل لابي حازم يعني الاعرج الزاهد الكيس ان الله وملائكته
يتراءون مجلسك بالعشيات والظاهر ان ابا حازم كان يقص على
الناس آخر النهار وقد جاء في الحديث ان الذكر بعد الصبح افضل
من اربع رقاب وبعد العصر احب من ثمان رقاب وايضا فيوم

الجمعة آخره افضل من اوله لانه وقت الوقوف وكذلك آخر
الليل افضل من اوله كذا قاله السلف واستدلوا بحديث النزول
الآلهي وهذا كله مما يرجح به قول من قال ان صلاة العصر هي
الوسطى واما الوقت الثالث فهو الدلجه والادلاج سير آخر
الليل والمراد به ههنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما
قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون
وهو آخر اوقات النزول الآلهي المتضمن لاستعراض الحوائج اي حوائج
السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين وسط الليل للمحبين
للخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون لذنوبهم من عجز
عن مشاركة المحبين في الجري معهم في ذلك المضمار فلا اقل من
مشاركة المذنبين في الاعتذار ورد في بعض الآثار ان العرش
يهتز من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان احدا ينام في السحر
وفي الحديث الذي اخرجه الترمذي من خاف ادلج ومن ادلج بلغ
المنزل سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخره ولهذا
في الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض
تطوى بالليل قال بعض الفضلا شعرا

اصبر على مضض الادلاج بالسحر ۞ وفي الرواح على الطاعات والبكري
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ۞ فالهم يتلف بين الياس والضجري
اني رايت وفي الايام تجربة ۞ للصبر عاقبة محمودة الاثري
وقل من جد في امر يؤمله ۞ واستصحب الصبر الا فاز بالظفري

وقد روي ان الاشتر دخل على علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعد هداة

[في الهامش: للبرجي في آخره من ساعة الاجابة ويوم عرفة آخره افضل من اوله]

من الليل وهو قائم يصلي فقال يا امير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل
وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته قال سفر الآخرة طويل فيحتاج الى
قطعه بسير الليل وهو الادلاج كانت امرأة حبيب ابي محمد الفارسي توقظه
بالليل وتقول قم يا حبيب فان الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين
قد سارت من بين ايدينا ونحن قد بقينا شعرا

يا نائم بالليل كم ترقد ۞ قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل واوقاته ۞ وردا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله ۞ لم يبلغ المنزل او يجهد

[في الهامش: يا نائما]

وقوله صلى الله عليه وسلم القصد القصد تبلغوا حث على الاقتصاد
في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذلك كرره مرة بعد
مرة وفي مسند البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه مرفوعا ما احسن
القصد في الفقر وما احسن القصد في الغنى وما احسن القصد في العبادة
وكان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابنا قد اجتهد في العبادة فقال له
ابوه خير الامور اوسطها الحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قال
ابو عبيد يعني ان الغلو في العبادة سيئة والتقصير سيئة والاقتصاد
بينهما حسنة قال والحقحقة ان يلح في شدة السير حتى تقوم عليه
راحلته وتعطب فيبقى منقطع به سفره انتهى ويشهد لهذا المعنى الحديث
المروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق و
لا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا سفرا قطع ولا ظهرا ابقى فاعمل
عمل امرئ يظن انه لن يموت الا هرما واحذر حذر امرئ يحذر ان يموت غدا اخرجه
حميد بن زنجويه وغيره وفي تكرير امره بالقصد اشارة على المداومة
عليه فان شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة والانقطاع والقصد
اقرب الى الدوام ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ كما قال من ادلج بلغ
المنزل فالمؤمن في الدنيا يسير الى ربه حتى يبلغ اليه كما قال تعالى يا ايها

الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين قال الحسن يا قوم المداومة المداومة فان الله لم
يجعل لعمل المؤمن اجلا دون الموت ثم تلى هذه الآية وقال ايضا نفوسكم
مطاياكم فاصلحوا مطاياكم تبلغكم الى ربكم عز وجل والمراد باصلاح المطايا
الرفق بها وتعاهدها بما يصلحها من قوتها والرفق بها في سيرها فاذا
احس منها بتوقف بالسير تعاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف
حتى تسير قال بعض السلف الرجاء قائد والخوف سائق والنفس بينهما
كالدابة الحرون فاذا فتر قائدها وقصر سائقها وقفت فتحتاج الى الرفق
بها والحدو لها حتى يطيب لها السير كما قال حادي الابل بالبوادي

❊ بشرها دليلها وقالا ❊ غدا ترين الطلح والجبالا ❊

مثال رجز محذوف منه سبب خفيف

ولما كان الخوف كالسوط فمتى الح بالضرب بالسوط على الدابة تلفت فلا
بد لها مع الضرب من حادي الرجا يطيب لها السير بحدائه حتى تقطع
قال ابو يزيد مازلت اقود نفسي الى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي
تضحك كما قيل

❊ اذا شكت من كلال السير اوعدها ❊ روح القدوم فتحيى عند ميعادي ❊

قال خليد العصري ان كل حبيب يلقى حبيبه فاحبوا ربكم وسيروا اليه
سيرا جميلا لا مصعدا ولا مميلا فغاية السير يوصل المؤمن الى ربه
ومن لا يعرف الطريق الى الله لا يسلك اليه فيه فهو والبهيمة سواء
قال ذو النون السفلة من لا يعرف الطريق الى الله ولا يتعرفه والطريق الى
الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم
وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه قال ابن مسعود رضي الله عنه
الصراط المستقيم تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في ادناه وطرفه الجنة
وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن
اخذ

اخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن اخذ على الصراط انتهى به الى
الجنة ثم قرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق
بكم عن سبيله خرجه ابن جرير وغيره فالطريق الموصل الى الله واحد وهو
صراطه المستقيم وبقية السبل كلها سبل الشيطان من سلكها قطعت به عن
الله واوصلته الى دار سخطه وغضبه وعقابه فربما سلك الانسان في
اول امره على الصراط المستقيم ثم ينحرف عنه آخر عمره فيسلك بعض سبل
الشيطان فينقطع عن الله ويهلك ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى
ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار و
ربما سلك الرجل اولا بعض سبل الشيطان فتدركه السعادة فيسلك
الصراط المستقيم في آخر عمره فيصل به الى الله والشان كل الشان في الاستقامة
على الصراط المستقيم من اول السير الى الله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ما اكثر من يرجع
من اثناء الطريق او ينقطع فان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة

❊ خليلي قطاع الطريق اليكما ❊ كثير واما الواصلون قليل ❊

وفي الحديث الصحيح الالهي يقول الله عز وجل من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة
وفي المسند زيادة والله اعلى واجل والله اعلى واجل والله اعلى واجل وفيه
ايضا يقول الله يا ابن آدم قم الي امش اليك وامش الي اهرول اليك من
اقبل الينا تلقيناه من بعيد ❊ ومن اراد مرادنا اردنا ما يريد ❊ ومن
سالنا اعطيناه فوق المزيد ❊ ومن عمل بقوتنا النا له الحديد ❊ يا هذا
لو قصدت باب والي الشرطة لما اقبل اليك ولا تلقاك وربما حجبك عن
الوصول اليه واقصاك وملك الملوك يقول من اتاني يمشي اتيته هرولة
وانت عنه معرض وعلى غيره مقبل لقد خسرت اكبر خسران

والله ما جئتكم زائرا ✻ الا وجدت الارض تطوي لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم ✻ الا تعثرت باذيالي

يامعشر المريدين قد وضح الطريق فما هذا التاخر عن السلوك والتعويق

لقد وضح الطريق اليك حقا ✻ فما خلق اراد ك يستدل

افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به

يانفس ويحك قد اتاك هداك ✻ اجيبي فداعي الله قد ناداك
كم قد دعيت الى الرشاد فتعرضي ✻ واجبت داعي الغي حين دعاك

الوصول الى الله نوعان احدهما في الدنيا والثاني في الآخرة فاما الوصول الدنيوي فالمراد به ان القلوب تصل الى معرفته فاذا عرفته احبته وانست به فوجدته قريبا ولدعائها مجيبا كما في بعض الآثار ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك فاتك كل شيء كان ذو النون يخرج بالليل ويمد نظره في السماء ويردد هذه الابيات حتى يصبح وهي هذه

اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا ✻ قد وجدت سكنا ليس في هواه عنا
ان بعدت قربني ✻ او قربت منه دنا

واما الوصول الاخروي فالدخول الى الجنة التي هي دار كرامته لاوليائه ولكنهم في درجاتها متفاوتون في القرب بحسب تفاوت قلوبهم في الدنيا في القرب والمشاهدة قال تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة و السابقون

والسابقون السابقون اولئك المقربون كان الشبلي يهيج في داره وينشد يقول

على بعدكم لاصبر ✻ على من عادته القرب
ولا يقوى على حجبك ✻ من تيمه الحب
فان لم تره العين ✻ ابصره القلب

الصراط المستقيم في الدنيا يشتمل على ثلاث درجات درجة الاسلام ودرجة الايمان ودرجة الاحسان فمن سلك درجة الاسلام الى ان يموت عليها منعته من الخلود في النار ولم يكن له بد من دخول الجنة وان اصابه قبل ذلك ما اصابه ومن سلك درجة الايمان الى ان يموت عليها منعته من دخول النار بالكلية فان نور الايمان يطفي لهب جهنم حتى تقول يامؤمن جز فقد اطفى نورك لهبي وفي المسند عن جابر مرفوعا لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم بردا وسلاما حتى ان للنار ضجيجا من بردها هذا ميراث ورثه المحبون من حال ابيهم ابراهيم

ففي فؤاد المحب نار جوى ✻ احر نار الجحيم ابردها

ومن سلك على درجة الاحسان الى ان يموت عليها وصل بعد الموت الى الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفي الحديث الصحيح اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا الم يثقل موازيننا الم يدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيأ هو احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه وهي الزيادة ثم تلى للذين احسنوا الحسنى وزيادة كل اهل الجنة يشتركون في الرؤية و لكن يتفاوتون في القرب في حال الرؤية وفي اوقات الرؤية عموم اهل الجنة يرونه يوم المزيد وهو يوم الجمعة وخواصهم يرون وجهه في كل يوم بكرة وعشيا العارفون لا يسليهم عن محبوبهم قصر ولا يرويهم دونه نهر كان بعضهم يقول اذا جعت فذكره زادي واذا عطشت فمشاهدته سؤلي

ومرادي رؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حال
رجلين من العلماء فقال تركتهما الآن بين يدي الله عز وجل يأكلان
ويشربان ويتنعمان قيل له فانت قال علم قلة رغبتي في الطعام والشراب
فاباحني النظر اليه

شعرا

انت ريي اذا ظمئت الى الما ۞ وقوتي اذا اردت الطعاما ۞

وفي المسند عن ابن عمر مرفوعا ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه
الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر الى ازواجه من الحور العين
وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين
وخرجه الترمذي ولفظه ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى ازواجه
ونعيمه وخدمه وسروره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر
الى وجهه غدوة وعشيا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه
يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح عن جرير بن عبد الله البجلي انكم لترون ربكم يوم القيمة كما
ترون هذا القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته قال فان استطعتم ان
لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا فسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لما كان هذان الوقتان في الجنة
وقتان الرؤية في حق خواص اهل الجنة حض صلى الله عليه وسلم على المحافظة
على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا فمن حافظ على هاتين الصلاتين
في الدنيا وصلاهما على اكمل وجوههما وخشوعهما وحضورهما وآدابهما
فانه يرجى له ان يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين لاسيما ان حافظ
بعدهما على الذكر وانواع العبادات حتى تطلع الشمس او تغرب فان وصل
العبد ذلك بدلجة آخر الليل فقد اجتمع له السير في الاوقات الثلاثة
وهي الدلجة والغدوة والروحة فيوشك ان يعقبه الصدق في هذا
السير الوصول الاعظم الى ما يطلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر
من لزم الصدق في طلبه اداه الصدق الى مقعد الصدق وبشر الذين آمنوا

ان

ان لهم قدم صدق المحب لا يقطع السؤال عن من يحب ويتجسس الاخبار
ويشتم الرياح ويستدل بالآثار لسلوك الطريق الى محبوبه

۞ اسائلكم عنها فهل من مخبر ۞ فما لي بنعمى بعد مكتنا علم ۞
۞ فلو كنت ادري اين خيم اهلها ۞ واي بلاد الله اذ ظعنوا أمّوا ۞
۞ اذا لسلكنا مسلك الريح خلفها ۞ ولو اصبحت نعمى ومن دونها النجم ۞

لقد كبرت همة الله مطلوبها وشرفت نفوس الله محبوبها ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

۞ ما للمحب سوى ارادة حبه ۞ ان المحب بكل بر يضرع ۞

قيمة كل امرئ ما يطلب فمن كان يطلب الله فلا قيمة له من طلب الله
فهو اجل من ان يقوم ومن طلب غيره فهو اخس من ان يكون له قيمة
قال الشبلي من ركن الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه
الرياح ومن ركن الى الآخرة احرقته بنورها فصار سبيكة ذهب
ينتفع به ومن ركن الى الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا
لا قيمة له ۞ لهم همم لا منتهى لكبارها ۞ وهمتهم الصغرى اجل من الدهر ۞
سئل الشبلي هل يقنع المحب بشيء من حبيبه قبل مشاهدته فانشد

۞ والله لو انك توجتني ۞ بتاج كسرى ملك المشرق ۞
۞ ولو باموال الورى جدت لي ۞ اموال من باد ومن قد بقي ۞
۞ وقلت لا نلتقي ساعة ۞ اخترت يا مولاي ان نلتقي ۞

من كبرت همته لم يرض بشيء سوى الله سبحانه وتعالى شعرا

۞ كل غدوي ورواحي ۞ في مسائي وصباحي ۞
۞ وكذلك ذكرك روحي ۞ في ثم ريحاني وراحي ۞
۞ انت سؤلي ونصيبي ۞ ومرادي ونجاحي ۞
۞ يا غياثي وملاذي ۞ لرشادي وصلاحي ۞

فصل في قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

هذه الآية كانت تشتد على الخائفين من العارفين فانها تقتضي
ان من العباد من يبدو له عند لقاء الله مالم يكن يحتسب مثل ان
يكون غافلا عن ما بين يديه معرضا عنه غير ملتزم مولا يحتسب له
فاذا كشف الغطاء عاين تلك الاهوال العظيمه فبدا له مالم يكن في
حسابه ولهذا قال عمر رضي الله عنه لو ان لي ملأ الارض ذهبا لافتديت
به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد
وان من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة قال بعض
حكما السلف كم من موقف خزي يوم القيمة لم يخطر على بالك قط ونظير
هذا قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد ويشتمل على ما هو اعم من ذلك وهو ان يكون له اعمال
يرجو بها الخير فتصير هباء منثورا وتبدل سيات وقد قال تعالى
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية وقال وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الفضيل في هذه الآية وبدا لهم من
الله مالم يكونوا يحتسبون قال عملوا اعمالا فحسبوا انها حسنات فاذا
هي سيات وقريبا من هذا ان يعمل الانسان ذنبا يحتقره ويستهون
به وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم لتعملون اعمالا هي ادق
في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الموبقات واصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه حسنا قال
تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة
الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا قال ابن عيينة لما حضرت
محمد بن المنكدر الوفات جزع فدعوا له ابا حازم فجاء فقال له
ابن المنكدر ان الله يقول وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون فاخاف
ان يبدو لي من الله مالم اكن احتسب فجعلا يبكيان جميعا خرجه ابن
ابي حاتم وزاد ابن ابي الدنيا فقالوا له دعونا لتخفف عليه فزدته
وقال

بياض ملتزمه

وقال الفضيل اخبرت عن سليمان التيمي انه قيل له انت انت ومن مثلك
فقال مه لا تقولوا هذا لا ادري ما يبدو لي من الله سمعت الله يقول
وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وكان سفيان الثوري عند
هذه الآية يقول ويل لاهل الريا من هذه الآية وهذا كما في حديث
الثلاثة الذين اول من تسعر بهم النار العالم والمتصدق والمجاهد
وكذلك من عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن ان اعماله
تنجيه فيبدو له من الله مالم يكن يحتسب فيقتسم الغرماء اعماله
كلها ثم يفضل لهم فضل فيطرح من سياتهم عليه ثم يطرح في النار
وقد يناقش الحساب فيطلب منه شكر النعم فاصغرها تستوعب
اعماله كلها وتبقى بقية النعم فيطالب بشكرها فيعذب ولهذا قال
عليه الصلاة والسلام من نوقش الحساب عذب او هلك وقد يكون
له سيات تحبط بعض اعماله واعمال جوارحه سوى التوحيد فيدخل
النار وفي سنن ابن ماجة من رواية ثوبان مرفوعا ان من امتي من يجي
باعمال امثال الجبال فيجعلها الله هباء منثورا وفيه هم قوم
من جلدتكم ويتكلمون بالسنتكم وياخذون من الليل كما تاخذون و
لكنهم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها وخرج يعقوب بن شيبة وابن
ابي الدنيا من حديث سالم مولى حذيفة مرفوعا ليجيئن يوم القيمة
اقوام معهم من الحسنات مثل جبال تهامة حتى اذا جيئ بهم جعل
الله اعمالهم هباء ثم اكبهم في النار قال سالم خشيت ان اكون منهم قال
اما انهم كانوا يصومون ويصلون وياخذون هنيئة من الليل لعلهم
كانوا اذا عرض لهم شيئ من الحرام اخذوه فادحض الله اعمالهم وقد
يحبط الله العمل بآفة من رياء خفي وعجب به ونحو ذلك ولا يشعر به
صاحبه قال ضيغم العابد ان لم تات الاخرة المؤمن بالسرور لقد
اجتمع عليه همان هم الدنيا وشقى الآخرة فقيل له كيف تاتيه الاخرة

بالسرور وهو يتعب في دار الدنيا ويدأب فالكيّس بالقبول كيف بالسلامة
كم من رجل يرى انه قد اصلح همته يجمع ذالك كله يوم القيمة ثم يضرب
به وجهه ومن هنا كان عامر بن عبد قيس وغيره يقلقون من هذه
الآية انما يتقبل الله من المتقين وقال بن عون لا تثق بكثرة العمل
فانك لا تدري ايقبل منك ام لا ولا تأمن ذنوبك فانك لا تدري هل كفرت
عنك ام لا ان عملك مغيب عنك كله لا تدري ما الله صانع به وبكى
النخعي عند الموت وقال انتظر رسول ربي ما ادري ايبشرني بالجنة
ام بالنار وجزع غيره عند الموت فقيل له تجزع قال انما هي ساعة
ولا ادري اين يسلك بي وجزع بعض الصحابة عند موته فسئل عن حاله
فقال ان الله قبض خلقه قبضتين قبضة للجنة وقبضة للنار ولست
ادري في اي القبضتين انا ومن تامل هذا حق التامل اوجب له القلق
فان ابن آدم متعرض لاهوال عظيمة من الموت واهوال القبر والبرزخ
واهوال الموقف والصراط والميزان واعظم من ذالك الوقوف بين يدي
الله عز وجل ودخول النار ويخشى على نفسه الخلود فيها بان يسلب
ايمانه عند الموت ولم يامن المؤمن شيا من هذه الامور ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون فتحقيق هذا يمنع ابن آدم القرار رأى بعضهم قائلا
يقول له ❊ وكيف تنام العين وهي قريرة ❊ ولم تدر في اي المحلين تنزل ❊
وسئل بعض المتوكان عابدا مجتهدا عن حاله فانشد يقول

❊ وليس يعلم ما في القبر داخله ❊ الا الاله وساكنوا الاجداث ❊
غيره
❊ اما والله لو علم الانام ❊ لما خلقوا لما غفلوا وناموا ❊
❊ لقد خلقوا لما لو ابصرته ❊ عيون قلوبهم تاهوا وهاموا ❊
❊ ممات ثم قبر ثم حشر ❊ وتوبيخ واهوال عظام ❊
❊ ليوم الحشر قد عملت رجال ❊ فصلوا من مخافته وصاموا ❊

ونحن

ونحن اذا امرنا او نهينا ❊ كاهل الكهف ايقاظ نيام
آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه
اجمعين ويتلوه ان شاء الله الكلام على كلمة الاخلاص للمؤلف المذكور

الكلام على كلمة الاخلاص وتحقيق معناها تاليف الشيخ الامام زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن رجب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن انس رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبا ومعاذ رديفه على الرحل
فقال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال ما من عبد
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه
الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس قال اذا يتكلوا
فاخبر بها معاذ عند موته تاثما وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم على النار من قال لا
اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه او ابي سعيد بالشك انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك فاصابتهم مجاعة فدعا النبي صلى الله عليه
وسلم بنطع فبسطه ثم دعى بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء
بكف تمر حتى اجتمع على النطع من ذالك شيء يسير فدعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في
اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا حتى
شبعوا وفضل فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد

ان لا آله الا الله وشهد اني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك
فيهما فيحجب عن الجنة وفي الصحيحين عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من عبد قال لا آله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان
زني وان سرق قال وان زني وان سرق قلت وان زني وان سرق قال وان
زني وان سرق قلت وان زني وان سرق قال وان زني وان سرق وقال في الرابعة
ثم زني وان سرق على رغم انف ابي ذر فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابي ذر وفي صحيح
مسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال عند موته سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد ان لا آله الا الله وحده لا
شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة
على ما كان من العمل وفي المعنى احاديث كثيرة يطول ذكرها واحاديث
هذا الباب نوعان احدهما ما فيه ان من اتى بالشهادتين دخل الجنة
ولم يحجب عنها وهذا ظاهر فان النار لا يخلد فيها احد من اهل التوحيد
الخالص وقد يدخل الجنة ولا يحجب عنها اذا طهر من ذنوبه بالنار وحديث
ابي ذر معناه ان الزنى والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد وفي
هذا حق لا مرية فيه ليس فيه انه لا يعذب عليهما مع التوحيد وفي
مسند البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من قال لا اله الا الله
نفعته يوما من دهره يصيبه قبل ذلك ما اصابه الثاني ما
فيه انه يحرم على النار وقد حمله بعضهم على الخلود فيها او على ما يخلد
فيها اهلها وهي ما عدا الدرك الاعلى فان الدرك الاعلى يدخله خلق
كثير من الموحدين من عصاتهم بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين
وبرحمة ارحم الراحمين وفي الصحيحين ان الله تعالى يقول وعزتي وجلالي
لاخرجن من النار من قال لا آله الا الله وقالت طائفة من العلما المراد
من هذه الاحاديث ان لا اله الا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار
و

[illegible]

ومقتضي لذلك ولكن المقتضي لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه
وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه
او لوجود مانع وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو اظهر وقال
الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته ما اعددت لهذا اليوم قال
شهادة ان لا اله الا الله منذ سبعين سنه قال الحسن نعم العدة
لكن ان للا آله الا الله شروطا فاياك وقذف المحصنات وقيل للحسن
ان ناسا يقولون من قال لا آله الا الله دخل الجنة فقال من قال لا
آله الا الله فادى حقها وفرضها دخل الجنة وقال وهب بن منبه
لمن ساله اليس مفتاح الجنة لا اله الا الله قال بلى ولكن ما من
مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا
لم يفتح لك وهذا الحديث ان مفتاح الجنة لا اله الا الله اخرجه
الامام احمد باسناد منقطع عن معاذ قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سألك اهل اليمن عن مفتاح الجنة فقل لا اله
الا الله ويدل على هذا كون النبي صلى الله عليه وسلم رتب دخول الجنة
على الاعمال الصالحة في كثير من النصوص كما في الصحيحين عن ابي ايوب.
ان رجلا قال يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة قال تعبد الله
لا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يا رسول الله
دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيا
وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان
فقال الرجل والذي نفسي بيده لا ازيد على هذا شيا ولا انقص منه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة
فلينظر الى هذا وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال اتيت النبي

صلى الله عليه وسلم لابايعه فاشترط علي شهادة ان لا آله الا الله و
ان محمدا رسول الله وان اقيم الصلاة وان اوتي الزكاة واحج حجة الاسلام
وان اصوم رمضان وان اجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما
اثنتين فوالله ما اطيقهما الجهاد والصدقة فقبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده ثم حركها وقال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة
اذا قلت ابايعك فبايعته عليهن كلهن ففي الحديث ان الجهاد والصدقة
شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج
ونظير هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى
يشهدوا ان لا آله الا الله وان محمدا رسول الله ففهم عمر وجماعة من الصحابة
ان من اتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذالك فتوقفوا في
قتال مانعي الزكاة وفهم الصديق رضي الله عنه انه لا يمتنع قتاله
الا باداء حقوقها لقوله صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذالك منعوا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال الزكاة حق
المال وهذا الذي فهمه الصديق رضي الله عنه قد رواه عن النبي صلى
الله عليه وسلم صريحا غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وانس وغيرهما
رضي الله عنهم فانه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا آله
الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فدل
على ذالك قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة الآية
لا تثبت الا باداء الفرائض مع التوحيد ولما قرر ابو بكر رضي الله عنه
هذا للصحابة رجعوا الى قوله وراوه صوابا فاذا علم ان عقوبة الدنيا
لا ترتفع عمن ادى الشهادتين مطلقا بل يعاقب باخلاله بحق من حقوق
الاسلام فكذالك عقوبة الآخرة وقد ذهب طائفة الى ان هذه الاحاديث
المذكورة اولا وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود ومنهم
الزهري والثوري وغيرهما وهذا بعيد جدا فان كثيرا منها كانت بالمدينة
بعد نزول الفرائض والحدود وفي بعضها انه كان في غزوة تبوك وهو في آخر
حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء منهم من يقول هذه الاحاديث
منسوخة

منسوخة ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم اليها شرائط ويلتفت
هذا الى ان زيادة النص هل هي نسخ ام لا والخلاف في ذالك بين الاصوليين
مشهور وقد صرح الثوري بانها منسوخة وانه نسختها الفرائض و
الحدود وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والايضاح فان السلف كانوا يطلقون
النسخ على مثل ذالك كثيرا او يكون مرادهم ان آيات الفرائض والحدود تبين
بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم
فصارت النصوص منسوخة اي مبينة مفسرة ونصوص الحدود و
الفرائض ناسخة اي مفسرة لمعنى تلك موضحة لها وقالت طائفة تلك
النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في احاديث اخر ففي بعضها من قال
لا آله الا الله مخلصا وفي بعضها مستيقنا وفي بعضها مصدقا بها قلبه
ولسانه وفي بعضها يقولها من قلبه وفي بعضها قد ذل بها لسانه و
اطمان بها قلبه وهذا كله اشارة الى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين
فتحققه بمعنى شهادة ان لا آله الا الله ان لا يأله قلبه غير الله حبا
ورجاء وخوفا وطمعا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلبا و
تحققه بان محمدا رسول الله ان لا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من قال لا آله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل ما اخلاصها
يا رسول الله قال ان تحجزك عن ما حرم الله عليك وهذا يروى من حديث
انس بن مالك وزيد بن ارقم ولكن اسنادهما لا يصح وجاء ايضا من
مراسيل الحسن نحوه وتحقيق هذا المعنى وايضاحه ان قول العبد
لا آله الا الله يقتضي ان لا آله غير الله والاله الذي يطاع ولا يعصى
هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه
ودعاء له ولا يصلح ذالك كله لغير الله عز وجل فمن اشرك مخلوقا
في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية كان ذالك قدحا
في اخلاصه في قوله لا اله الا الله ونقصا في توحيده وكان فيه
من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذالك وهذا كله من فروع الشرك

ولهذا ورد اطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة
غير الله او خوفه او رجائه او التوكل عليه او العمل لاجله كما ورد اطلاق
الشرك على الريا وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه
وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل ان يقول ما شاء الله
وشاء فلان وكذا قوله مالي الا الله وانت وكذلك ما يقدح في التوحيد
وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقا المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم
بما يقولون وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد
وكماله ولهذا اطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشاها من هوى
النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حايضا او امراة في دبرها
ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وان كان ذلك لا يخرجه من الملة بالكلية
ولهذا قال السلف كفر دون كفر وشرك دون شرك وقد ورد اطلاق الاله
على الهوى المتبع قال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه قال الحسن
هو الذي لا يهوى شيا الا ركبه وقال قتادة هو الذي كلما هوى شيا
ركبه وكلما اشتهى شيا اتاه لا يحجزه عن ذلك ورع وروي من
حديث ابي امامة مرفوعا باسناد ضعيف ما تحت ظل السما اله يعبد
اعظم عند الله من هوى متبع وفي حديث آخر لا تزال لا اله الا
الله تدفع عن اصحابها حتى يوثروا دنياهم على دينهم فاذا فعلوا
ذلك ردت عليهم ويقال لهم كذبتم ويشهد لهذا الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم
تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش فدل هذا على ان من احب شيا واطاعه وكان من غاية
قصده ومطلوبه ووالى لاجله وعادى لاجله فهو عبده وكان ذلك
الشي معبوده والهه ويدل عليه ايضا ان الله تعالى سمى طاعة الشيطان
في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم
ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وقال حاكيا عن خليله
ابراهيم

ابراهيم عليه السلام لابيه يا ابت لا تعبد الشيطان الآية فمن لم يتحقق
عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته ولم يخلص من
عبادة الشيطان الا من اخلص عبودية الرحمن وهم الذين قال فيهم
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله
واخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا الى غير الله محبة
ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا وهم الذين صدقوا في قول لا اله الا
الله وهم عباد الله حقا فاما من قال لا اله الا الله بلسانه ثم اطاع
الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله فعله
ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان
والهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله فيا هذا كن عبد الله لا عبد الهوى فان
الهوى يهوي بصاحبه في النار ءارباب متفرقون خير ام الله
الواحد القهار تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار والله لا ينجو
غدا من عذاب الله الا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه
الى شيء من الاغيار من علم ان الهه ومعبوده فرد فليفرده
بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه احدا كان بعض العارفين يتكلم
على اصحابه على راس جبل فقال في كلامه لا ينال احد مراده حتى ينفرد
فردا بفرد فانزعج واضطرب حتى راى اصحابه ان الصخور قد تدكدكت
وبقي على ذلك ساعات فلما افاق فكانما نشر من قبر قول
لا اله الا الله يقتضي ان لا يحب سواه فان الاله هو الذي يطاع
فلا يعصى محبة له وخوفا ورجاء ومن تمام محبته محبة ما يحبه
وكراهة ما يكرهه فمن احب شيا مما يكرهه الله او كره شيا مما
يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه في قوله لا اله الا الله و
كان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما احبه الله وما احبه
مما يكرهه الله قال تعالى ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا

يشركون
رضوانه فاحبط اعمالهم قال الليث عن مجاهد في قوله تعالى لا
بي شيا قال لا يحبون غيري وفي صحيح الحاكم عن عايشة رضي الله عنها عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك في هذه الامة اخفى من دبيب الذرة
على الصفى في الليلة الظلما وادناه ان تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء
من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله وهذا نص في ان محبة ما يكرهه الله وبغض
ما يحبه الله متابعة للهوى والموالات على ذلك والمعادات عليه من الشرك
الخفي وقال الحسن اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته سئل ذو النون
المصري متى احب ربي قال اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر وقال
بشر ليس من اعلام المحبة ان تحب ما يبغض حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجوري
كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله في امره فدعواه باطلة وقال يحيى بن معاذ
ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده وقال رويم المحبة
الموافقة في جميع الاحوال وانشد يقول

ولو قال لي مت مت سمعا وطاعة ❊ وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا

ويشهد لهذا المعنى ايضا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال الحسن قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نحب
ربنا حبا شديدا فاحب الله ان يجعل لحبه علما فانزل هذه الاية و
من هنا يعلم انه لا تتم شهادة ان لا اله الا الله الا بشهادة ان محمدا
رسول الله فاذا علم انه لا تتم محبة الله الا بمحبة ما يحبه وكراهة ما
يكرهه فلا طريق الى معرفة ما يحبه ويكرهه الا باتباع ما امر به و
اجتناب ما نهى عنه فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسوله وتصديقه
ومتابعته ولهذا قرن الله محبته ومحبة رسوله في قوله قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم الى قوله احب اليكم من الله ورسوله
وجهاد في سبيله كما قرن طاعته وطاعة رسوله في مواضع كثيرة
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان ان
يكون

يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب الرجل لا يحبه الا لله
وان يكره ان يرجع الى الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يلقى
في النار هذه حال السحرة لما سكنت المحبة في قلوبهم سمحوا ببذل
نفوسهم فقالوا لفرعون اقض ما انت قاض ومتى تمكنت المحبة من
القلب لم تنبعث الجوارح الا الى طاعة الرب وهذا هو معنى الحديث
الالهي الذي خرجه البخاري في صحيحه وفيه لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر
به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي بعض الروايات
فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش والمعنى ان محبة الله اذا استغرق بها القلب واستولت
عليه لم تنبعث الجوارح الا الى رضى الرب وصارت النفس حينئذ
مطمئنة بارادة مولاها عن مرادها وهواها يا هذا اعبد الله لمراده
منك لا لمرادك منه فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبده على
حرف فان اصابه خير اطمئن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
خسر الدنيا والاخرة ومتى قويت المحبة والمعرفة لم يرد صاحبها الا
ما يريد مولاه وفي بعض الكتب السابقة من احب الله لم يكن شيا عنده
اثر من رضاه ومن احب الدنيا لم يكن شيا عنده اثر من هوى نفسه
وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن الحسن قال ما نظرت ببصري ولا نطقت
بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى انظر اعلى طاعة
الله او على معصيته فان كان على طاعة تقدمت وان كان على معصية
تاخرت هذا حال خواص المحبين الصادقين فافهموا رحمكم الله هذا فانه
من دقائق اسرار التوحيد الغامضة والى هذا المقام اشار النبي صلى
الله عليه وسلم في خطبته حين قدم المدينة حيث قال احبوا الله
من كل قلوبكم وقد ذكرها ابن اسحاق وغيره فمن امتلأ قلبه من محبة
الله لم يكن فيه فراغ لشيء من ارادات النفس والهوى والى ذلك اشار

القائل بقوله

اروح وقد ختمت على فؤادي ∴ بحبك ان يحل به سواكا
فلو اني استطعت غضضت طرفي ∴ فلم انظر به حتى اراكا
احبك لا ببعضي بل بكلي ∴ وان لم يبق حبك لي حراكا
وفي الاحباب مخصوص بوجد ∴ وآخر يدعي فيك اشتراكا
اذا اشتبكت دموع في خدود ∴ تبين من بكى ممن تباكا

متى بقي المحب حض من نفسه فما بيده من المحبة الا الدعوى انما المحب من يفنى عن هوى نفسه كله ويبقى بحبيبه فبي يسمع وبي يبصر القلب بيت الرب وفي الاسرائيليات يقول الله ما وسعني سمائي ولا ارضي ووسعني قلب عبدي المؤمن فمتى كان القلب فيه غير الله فالله اغنى الاغنيا عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة اصنام الهوى الحق غيور يغار على عبده المؤمن ان يسكن في قلبه سواه او يكون فيه شيء لا يرضاه

اردناكم صرفا فلما مزجتم ∴ بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ∴ فاسكنتم الاغيار ما انتم منا

لا ينجو غدا الا من اتى الله بقلب سليم ليس فيه سواه قال الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وهو الطاهر من ادناس المخالفات فاما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدس الا بعد ان يطهر بكير العذاب فاذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة ان الله طيب لا يقبل الا طيبا فاما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من اول الامر سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من لم يحرق اليوم قلبه بنار الاسف على ما سلف او بنار الشوق الى لقاء الحبيب فنار جهنم اشد حرا ما يحتاج الى التطهير بنار جهنم الا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام

بحقوقه

بحقوقه اول ما تسعر به النار من الموحدين المراؤن باعمالهم واولهم من العباد العالم والمتصدق والمجاهد للريا لان يسير الرياء شرك ما نظر المرائي الى الخلق بعمله الا بجهله بعظمة الخالق المرائي يزور التواقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل لنفسه ويوهمهم انه من خاصة الملك وهو ما يعرفا الملك بالكلية نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج والبهرج لا يجوز الا على غير الناقد وبعد اهل الريا يدخل النار اهل الشهوات وعبيد الهوى الذين اطاعوا هواهم وعصوا مولاهم فاما عبيد الله حقا فيقال لهم يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي جهنم تنطفي بنور ايمان الموحدين وفي الحديث تقول النار جز يا مؤمن فقد اطفى نورك لهبي وفي المسند عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم قال الجنيد رضي الله عنه قالت النار يا رب لو لم اطعك هل كنت تعذبني بشيء اشد مني قال اسلط عليك ناري الكبرى قالت وهل نار اعظم واشد مني قال نعم نار محبتي اسكنتها قلوب اوليائي المؤمنين

شعر
ففي فؤاد المحب نار جوى ∴ احر نار الجحيم ابردها
تعفا قليلا بها على فلا ∴ اقل من نظرة اردها

دموع المحبين تطفي بعض حرارة الوجد لاحترقوا كمدا

شعر
دموع يطفي بالدموع حرارة ∴ على كبد حرى دعوه دعوه
سلوا عاذليه يعذروه هنيئة ∴ فبالعذل دون الشوق قد قتلوه

كان بعض العارفين يقول اليس عجبا ان اكون بين اظهركم وفي قلبي من الاشتياق الى ربي مثل الشعل التي لا تنطفي ولم ار مثل نار الحب نارا تزيد ببعد موقدها اتقادا ما للعارفين شغل بغير مولاهم ولاهم في غيره وفي الحديث من اصبح وهمه غير الله فليس من الله قال بعضهم من اخبرك

ان

في الليل صح

ان وليه له هم في غيره فلا تصدقه وكان داود الطائي يقول الهي
عطل علي الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقي الى النظر اليك
اوبق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها
الكريم مطلوب * مالي شغل سواه مالي شغل مايصرف عن هواه قلبي
عذل * ما اصنع ان جفي وخاب الامل * مني بدل ومنه مالي بدل
اخواني اذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله صلى الله عليه وسلم
من شهد ان لا اله الا الله صادقا من قلبه حرمه الله على النار فاما من
دخل النار من اهل هذه الكلمة فلقلة صدقه بقولها فان هذه الكلمة
اذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ومتى بقي في القلب اثر لسوى
الله فمن قلة الصدق في قولها من صدق في قول لا اله الا الله لم يحب
سواه لم يرج الا اياه لم يخش احدا الا الله لم يتوكل الا على الله لم يبق له
بقية من اثار نفسه وهواه ومع هذا فلا تظنوا ان المحب مطالب بالعصمة
وانما هو مطالب كلما زل ان يتلافا تلك الزلة قال زيد بن اسلم ان الله
ليحب العبد حتى يبلغ من حبه ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك
وقال الشعبي اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب وتفسير هذا الكلام ان
الله عز وجل له عناية فيمن يحبه فكلما زلق العبد في هوة الهوى
اخذ بيده الى النجا ييسر له التوبة وينبهه على قبح الزلة فيفزع الى
الاعتذار فيبتليه بمصائب مكفرة لما جنى وفي بعض الاثار يقول
الله تعالى اهل ذكري اهل مجالستي واهل طاعتي اهل كرامتي واهل معصيتي
لا ايئسهم من رحمتي ان تابوا فانا حبيبهم وان لم يتوبوا فانا طبيبهم
ابتليهم بالمصائب لاطهرهم من المعائب وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الحمى تذهب الخطايا كما يذهب الكير خبث الحديد
وفي المسند وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن معقل ان رجلا لقي امراة بغيا في

بيان بقولها

الوصمة

الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط يده اليها فقالت مه فان الله قد
اذهب الشرك وجاء بالاسلام فتركها وولى فجعل يلتفت اليها حتى اصاب
وجهه فاتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بالامر فقال النبي صلى الله
عليه وسلم انت عبد اراد الله بك خيرا ثم قال ان الله اذا اراد بعبده
شرا امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة يا قوم قلوبكم على اصل
الطهارة وانما اصابها رشاش من نجاسة الذنوب فرشوا عليها قليلا من
دموع العيون وقد طهرت اعزموا على فطام النفوس من رضاع الهوى فالحمية
راس الدوا متى طالبتكم النفوس مالوفاتها فقولوا كما قالت تلك المراة
لذلك الرجل الذي دمي وجهه قد اذهب الله الشرك وجاء بالاسلام و
الاسلام يقتضي الاستسلام والانقياد و للطاعة ذكروها مدحة ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا لعلها تحن الى الاستقامة عرفوها اطلاع من
هو اقرب من حبل الوريد لعلها تستحي من قربه ونظره الم يعلم بان الله
يرى ان ربك لبالمرصاد راود رجل امراة في فلات ليلا فابت فقال لها
ما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها اكره رجل امراة على نفسها وامرها
بغلق الابواب فقال لها هل بقي باب لم تغلقيه قالت نعم الذي بيننا
وبين الله فتركها ولم يتعرض لها راى بعض الصالحين رجلا يكلم امراة
فقال ان الله يراكما سترنا الله واياكما سئل الجنيد رحمه الله تعالى بما
يستعان به على غض البصر قال بعلمك ان نظر الله اليك اسبق من
نظرك الى من تنظره وقال المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب كلما قويت
المعرفة بالله قوي الحيا اوصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ان يستحي من
الله كما يستحي من رجلين صالحين من عشيرته لا يفارقانه قال بعضهم استح
من الله على قدر قربه منك وخف من الله على قدر قدرته عليك كان بعضهم
يقول منذ اربعين سنة لم اخط خطوة لغير الله ولا نظرت الى شيء استحسنه
حياء من الله * كان رقيبا منك يرعى خواطري * واخر يرعى ناظري ولساني

الحائط صح

مطلب في مطالبة النفوس

فما ابصرت عيناي بعدك منظرا ⁂ لغيرك الا قلت قد رمقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظة ⁂ لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة ⁂ على القلب الا عرجا بعناني

فصل وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن

بلغ

ها هنا استقصاؤها فلنذكر بعض ما ورد فيها فهي كلمة التقوى
كما قال عمر وغيره وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق
وبراءة من الشرك ونجاة هذا الامر ولاجلها خلق الخلق كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون
وقال تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان
انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وهذه الآية اول ما عدد الله من النعم
في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ولهذا قال ابن عيينة ما انعم الله على
عبد من العباد نعمة افضل من ان عرفه لا اله الا الله وان لا اله الا
الله لاهل الجنة كالماء البارد لاهل الدنيا ولاجلها اعدت دار الثواب
ودار العقاب ولاجلها امرت الرسل بالجهاد فمن قالها عصمت ماله و
دمه ومن اباها فماله ودمه حلال وهي مفتاح الجنة ومفتاح دعوة
الرسل وبها كلم الله موسى كفاحا وفي مسند البزار وغيره عن عياض
الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لا اله الا الله كلمة حق على الله
كريمة ولها من الله مكان وهي كلمة جمعت وشركت فمن قالها صادقا ادخله
الله الجنة ومن قالها كاذبا احرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه
وهي ثمن الجنة قاله الحسن وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة ومن كانت
آخر كلامه دخل الجنة وهي نجاة من النار وسمع النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنا
يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال خرجت من النار خرجه مسلم وهي
توجب المغفرة وفي المسند عن شداد بن اوس وعبادة بن الصامت رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ارفعوا ايديكم و

قولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة فوضع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يده وقال الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها
ووعدتني الجنة وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم
وهي احسن الحسنات قال ابو ذر قلت يا رسول الله علمني عملا يقربني من
الجنة ويباعدني من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر
امثالها قلت يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات هي قال هي احسن الحسنات
وهي تمحو الذنوب والخطايا وفي سنن ابن ماجة عن ام هانئ عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل ورؤي بعض
السلف بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال ما ابقت لا اله الا
الله شيئا وهي تجدد ما درس من الايمان في القلب وفي المسند ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لاصحابه جددوا ايمانكم قالوا كيف نجدد ايماننا قال
قولوا لا اله الا الله وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن فلو وزنت بالسموات
والارض لرجحت بهن كما في المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان نوحا عليه السلام قال لابنه عند موته آمرك بلا اله الا الله
فان السموات السبع والارضين السبع لو وضعن في كفة ووضعت لا اله
الا الله في كفة لرجحت بهن ولو ان السموات السبع والارضين السبع كن
حلقة مبهمة فصمتهن لا اله الا الله وفيه ايضا عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيئا اذكرك و
ادعوك به قال يا موسى قل لا اله الا الله قال موسى يا رب كل عبادك يقولون
هذا قال يا موسى قل لا اله الا الله فقال لا اله الا الله انما اريد شيئا تخصني به
قال يا موسى لو ان السموات السبع والارضين السبع وعامرهن غيري في كفة
ولا اله الا الله في كفة مالت بهن لا اله الا الله وكذلك ترجح في صحائف الذنوب
كما في حديث السجلات والبطاقة وقد خرجه احمد والنسائي والترمذي
ايضا من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي تخرق الحجب

حتى تصل الى الله عز وجل وفي الترمذي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل اليه
وفيه ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد قال
لا اله الا الله مخلصا الا فتحت لها ابواب السماء حتى تفضي الى العرش ويروى
عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا ما من شيء الا بينه وبين الله حجاب الا قول
لا اله الا الله كما ان شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي
الى الله عز وجل وقال ابو امامة ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء
دون العرش وهي التي ينظر الله الى قائلها ويجيب دعائه اخرجه النسائي في
كتاب عمل اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير مخلصا بها قلبه مصدقا بها لسانه الا فتق الله له السما فتقا حتى
ينظر الى قائلها من اهل الارض وحق لعبد نظر الله اليه ان يعطيه سؤله
وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها كما اخرجه النسائي والترمذي وابن ماجه
من حديث ابي هريرة وابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد
لا اله الا الله والله اكبر صدقه ربه وقال لا اله الا انا وانا اكبر واذا قال لا
اله الا الله وحده لا شريك له قال الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي
واذا قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد قال الله
لا اله الا انا لي الملك ولي الحمد واذا قال العبد لا اله الا الله ولا حول ولا
قوة الا بالله قال الله لا اله الا انا ولا حول ولا قوة الا بي وكان يقول من
قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار وهي افضل ما قاله النبيون كما
ورد ذلك في دعاء يوم عرفة وهي افضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع
افضل الذكر لا اله الا الله وعن ابن عباس قال احب كلمة الى الله لا اله الا الله لا
يقبل الله عملا الا بها وهي افضل الاعمال واكثرها تضعيفا وتعدل عتق الرقاب
وتكون حرزا من الشيطان كما في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
الله

انه قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب و
كتب له مئة حسنة ومحي عنه مئة سيئة ولم يأت احد بافضل
مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وفيهما ايضا عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قالها عشر مرات كان كمن
اعتق اربعة انفس من ولد اسماعيل وفي الترمذي عن ابن عمر مرفوعا من قالها
اذا دخل السوق وزاد فيها يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو
على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحي عنه الف الف سيئة
ورفع له الف الف درجة وفي رواية بنى له بيت في الجنة ومن فضائلها انها
امان من وحشة القبر وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكاني باهل
لا اله الا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن وفي حديث مرسل من قال لا اله الا الله الملك الحق المبين
كل يوم مئة مرة كانت له امانا من الفقر وانسا من وحشة القبر واستجلب
به الغنى واستقرع به باب الجنة وهي شعار المؤمنين اذا قاموا من
قبورهم قال النظر ابن عربي بلغني ان الناس اذا قاموا من قبورهم كان شعارهم
لا اله الا الله وقد خرج الطبراني مرفوعا ان شعار هذه الامة على الصراط
لا اله الا انت ومن فضائلها انها تفتح لقائلها ابواب الجنة الثمانية يدخل
من ايها شا كما في حديث عمر ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيمن اتى بالشهادتين بعد الوضوء وقد خرجه مسلم وفي الصحيحين عن
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق وان الساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فتحت له ابواب الجنة

الثمانية يدخل من ايها شاء وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قصة منامه الطويل وفيه قال رايت رجلا من امتي انتهى
الى ابواب الجنة فاغلقت دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت
له الابواب وادخلته الجنة ومن فضائلها ان اهلها وان دخلوا النار
بتقصيرهم في حقوقها فانهم لابد ان يخرجوا منها وفي الصحيحين عن انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لاخرجن
منها من قال لا اله الا الله وخرج الطبراني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان اناسا من اهل لا اله الا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم
اهل اللات والعزى ما اغنى عنكم قول لا اله الا الله فيغضب الله لهم
فيخرجهم من النار ويدخلهم الجنة ومن في سخطه محسنا فكيف يكون اذا ما
رضي لا يستوي بين من وحد الله وان قصر في حقوق توحيده وبين من اشرك
به وقال بعض السلف كان ابراهيم عليه السلام يقول اللهم لا تشرك من
يشرك بك شيئا بمن لا يشرك بك شيئا كان بعض السلف يقول في دعائه
اللهم انك قلت عن اهل النار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله
من يموت اللهم لا تجمع بين اهل القسمين في دار واحدة وكان ابو سليمان
يقول ان طالبتني ببخلي طالبته بجوده وان طالبتني بذنوبي طالبته بعفوه
وان ادخلتني النار اخبرت اهل النار اني كنت احبه ما اطيب وصاله وما
اعذبه وما اثقل هجره وما اصعبه في السخط والرضى فما اهيبه القلب
يحبه وان عذبه كان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول ان تعذبني فاني
لك محب وان ترحمني فاني لك محب العارفون يخافون من الحجاب اكثر مما
يخافون من العذاب قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة
في بحر لجي كان بعضهم يقول الهي وسيدي ومولاي لو انك عذبتني بعذابك
كله كان ما فاتني من قربك اعظم عندي من العذاب قيل لبعضهم لو طردك
ما كنت تفعل فقال انا ان لم اجد من الحب وصلا ∴ رمت في النار منزلا ومقيلا

ثم ازعجت اهلها بنداء ∴ بكرة في عراصها واصيلا
معشر المشركين نوحوا على من ∴ يدعي انه يحب الخليلا
لم يكن في الذي ادعاه محقا ∴ فجزاه به العذاب الطويلا

اخواني اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد فانه لا ينجي من عذاب الله
الا اياه ما نطق الناطقون احسن من لا اله الا هو تبارك ذو الجلال (اذ نطقوا خ)
ومن اشهد ان لا اله الا هو من يحي ذنوبي ومن يمحصها غيرك يا
لا اله الا هو جنان خلده لمن يوحد اشهد ان لا اله الا هو نيرانه لا تحرق
من يشهد ان لا اله الا هو اقولها مخلصا بلا بخل اشهد ان لا اله الا
هو آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
ويتلوه ان شاء الله شرح حديث بدا الاسلام غريبا للمؤلف المذكور

هذا من بحر المنسرح

بلغ مقابلة وتصحيحا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا و
يرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على نبينا محمد
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا خرج مسلم في صحيحه من حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بدا الاسلام غريبا وسيعود
غريبا كما بدا فطوبى للغربا ومن حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا وخرجه الامام
احمد وابن ماجة من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره قيل يا رسول
الله ومن الغربا قال النزاع من القبائل وخرجه ابو بكر الآجري وعنده
قيل ومن هم يا رسول الله قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وخرجه
غيره وعنده قال الذين يفرون بدينهم من الفتن وخرجه الترمذي من
حديث كثير بن عبد الله المزني عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغربا الذين يصلحون ما افسد

الناس بعدي من سنتي وخرجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفي حديثه قيل من هم يا رسول الله قال الذين يصلحون
اذا فسد الناس وخرجه ايضا من حديث شريك بن سعد بن ابي
وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه فطوبى يومئذ للغربا
اذا فسد الناس وخرجه الامام والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طوبى للغربا قال قوم صالحون قليل
في ناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وروي عن عبد الله بن عمرو مرفوعا
وموقوفا في هذا الحديث قيل ومن الغربا قال الفرارون بدينهم يبعثهم الله
مع عيسى بن مريم عليه السلام فقوله صلى الله عليه وسلم بدا
الاسلام غريبا يريد ان الناس كانوا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
على ضلالة عامة كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار
الذي اخرجه مسلم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا
من اهل الكتاب فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعى الى الاسلام لم يستجب
له في اول الامر الا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له
خائفا من عشيرته وقبيلته يؤذى غاية الايذاء وينال منه وهو صابر
على ذلك في الله عز وجل وكان المسلمون اذ ذاك مستضعفين يطردون
ويشردون كل مشرد ويهربون بدينهم الى البلاد النائية كما هاجروا الى
الحبشة مرتين ثم هاجروا الى المدينة وكان منهم من يعذب في الله
ومنهم من يقتل فكان الداخلون في الاسلام غربا حينئذ ثم ظهر الاسلام
بعد الهجرة الى المدينة وعز وصار اهله ظاهرين كل الظهور ودخل الناس
بعد ذلك في دين الله افواجا واكمل الله لهم الدين واتم عليهم النعمة وتوفي
النبي صلى الله عليه وسلم والامر على ذلك واهل الاسلام على غاية من الاستقامة
في دينهم وهم متعاضدون متناصرون وكانوا على ذلك في زمن ابي بكر
وعمر رضي الله عنهما ثم اعمل الشيطان مكايده على المسلمين والقى بأسهم
بينهم وافشى بينهم فتنة الشهوات والشبهات ولم تزل هاتان الفتنتان
تتزايد

تتزايد شيئا فشيئا حتى استحكمت مكيدة الشيطان واطاعه اكثر الخلق فمنهم
من دخل في طاعته من فتنة الشبهات ومنهم من دخل في فتنة الشهوات
ومنهم من جمع بينهما وكل ذلك مما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوعه
فاما فتنة الشبهات فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من غير وجه ان
امته ستفترق على ازيد من سبعين فرقة على اختلاف الروايات في عدد
الزائد على السبعين وان جميع تلك الفرق في النار الا فرقة واحدة وهي ما
كان عليه هو واصحابه واما فتنة الشهوات ففي صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم اذا فتحت عليكم خزائن فارس
والروم اي قوم انتم قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما امرنا الله قال او غير
ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون وفي صحيح
البخاري عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله ما الفقر
اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم
فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وفي الصحيحين عن عقبة
ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه ايضا ولما فتحت كنوز كسرى
على عمر رضي الله عنه بكى فقال ان هذا لم يفتح على قوم قط الا جعل الله بأسهم
بينهم او كما قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخشى على امته هاتين الفتنتين
كما في مسند الامام احمد عن ابي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما اخشى
عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن وفي رواية ومضلات
الهوى فلما دخل اكثر الناس في هاتين الفتنتين او احدهما اصبحوا متقاطعين
متباغضين بعد ان كانوا اخوانا متحابين متواصلين فان فتنة الشهوات
عمت اكثر الخلق فافتتنوا بالدنيا وزهرتها وصارت غاية قصدهم لها
يطلبون وبها يرضون ولها يغضبون ولها يوالون وعليها يعادون فقطعوا
لذلك ارحامهم وسفكوا دماءهم وارتكبوا معاصي الله بسبب ذلك
واما فتنة الشبهات والاهواء المضلة فبسببها تفرق اهل القبلة
وصاروا شيعا وكفر بعضهم بعضا وصاروا اعداء وفرقا واحزابا بعد ان كانوا
اخوانا قلوبهم على قلب رجل واحد فلم ينج من هذه الفرق كلها الا الفرقة

الواحدة الناجية وهم المذكورون في قوله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم او خالفهم حتى ياتي امر الله وهم
على ذالك وهم في آخر الزمان الغربا المذكورون في هذه الاحاديث الذين يصلحون ما
افسد الناس من السنة وهم الذين يفرون من الفتن وهم النزاع من القبائل لانهم قلوا
فلا يوجد في كل قبيلة منهم الا الواحد او الاثنان وقد لا يوجد في بعض القبائل احد
منهم كما كان الداخلون في الاسلام في اول الامر كذلك وبهذا فسر الائمة هذا
الحديث قال الاوزاعي في قوله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا
اما انه لا يذهب الاسلام ولكن يذهب اهل السنة حتى لا يبقى في البلد منهم الا
رجل واحد ولهذا المعنى يوجد في كلام كثير مدح السنة ووصفها بالغربة وو
صف اهلها بالقلة وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لاصحابه يا اهل السنة ترفقوا
رحمكم الله فانكم من اقل الناس وقال يونس بن عبيد ليس شيء اغرب من السنة
واغرب منها من يعرفها وروي عنه انه قال اصبح من اذا عرف السنة فعرفها
غريبا واغرب منه من يعرفها وعن سفيان الثوري انه قال استوصوا باهل السنة
خيرا فانهم غرباء ومراد هؤلاء بالسنة طريقة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان
هو واصحابه عليها السالمة من الشبهات والشهوات ولهذا كان الفضيل بن
عياض يقول اهل السنة من عرف ما يدخل بطنه من حلال وذلك لان اكل الحلال
من اعظم خصال السنة التي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم صار
في عرف كثير من العلماء المتاخرين من اهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما
سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك مسائل القدر وفضائل الصحابة وصنفوا
في هذا العلم تصانيف سموها كتب السنة وانما خصوا هذا العلم باسم السنة
لان خطره عظيم والمخالف فيه على شفى هلكة فاما السنة الكاملة فهي الطريقة
السالمة من الشبهات والشهوات كما قال الحسن ويونس بن عبيد وسفيان
والفضيل وغيرهم ولهذا وصف اهلها بالغربة في آخر الزمان لقلتهم وغربتهم
فيه ولهذا ورد في بعض الروايات كما سبق في تفسير الغربا قوم صالحون في قوم سوء
كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وفي هذا اشارة الى قلة عددهم وقلة المستجيبين
لهم

لهم والقابلين منهم وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم ولهذا جاء في احاديث
متعددة مدح المتمسك بدينه في آخر الزمان وانه كالقابض على الجمر وان
للعامل منهم اجر خمسين ممن قبلهم لانهم لا يجدون اعوانا على الخير وهؤلاء
الغربا قسمان احدهما من يصلح بنفسه عند فساد الناس والثاني من يصلح
ما افسد الناس من السنة وهو اعلى القسمين وافضلهما وقد خرج الطبراني
وغيره باسناد فيه نظر من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
لكل شيء اقبالا وادبارا وان لهذا الدين اقبالا وادبارا وان من ادبار الدين ما
كنتم عليه من العمى والجهالة وما بعثني الله به وان من اقبال الدين ان تفقه
القبيلة حتى لا يوجد فيها الا الفاسق والفاسقان فهما مقهوران ذليلان
ان تكلما قمعا وقهرا واضطهدا الا وان من ادبار الدين ان تجفو القبيلة
باسرها حتى لا يوجد فيها الا الفقيه والفقيهان فهما مقهوران ذليلان ان
تكلما فامرا بالمعروف ونهيا عن المنكر قمعا وقهرا واضطهدا فهما مقهوران
ذليلان لا يجدان على ذلك اعوانا ولا انصارا فوصف في هذا الحديث
المؤمن العامل بالسنة الفقيه في الدين بانه يكون في آخر الزمان عند فساده
مقهورا ذليلا لا يجد اعوانا ولا انصارا وخرج الطبراني ايضا باسناد فيه
ضعف عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل فيه ضعف
في ذكر اشراط الساعة قال وان من اشراطها ان يكون المؤمن في القبيلة اذل
من النقد والنقد هي الغنم الصغار وفي مسند الامام احمد عن عبادة
ابن الصامت قال يوشك ان طالت بك حياة ان ترى الرجل قد قرا القرآن على
لسان محمد فاعاده وابداه فاحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله
لا يجوز الا كما يجوز الحمار الميت ومنه قول ابن مسعود سياتي على
الناس زمان يكون المؤمن فيه اذل من الامة وانما ذل المؤمن في آخر الزمان
لغربته بين اهل الفساد من اهل الشبهات والشهوات فكلهم يكرهه و
يؤذيه لمخالفة طريقه لطريقهم ومقصوده لمقصودهم ومباينته لهم فيما هم
عليه ولما مات داود الطائي قال ابن السماك ان داود نظر بقلبه الى ما

بين يديه فاغشي بصر قلبه بصر العيون فكانه لم ينظر الى ما انتم اليه تنظرون
وكانكم لاتنظرون الى ما اليه ينظر وانتم منه تعجبون وهو منكم يعجب استوحش
انه كان حيا وسط اموات ومنهم من كان يكرهه اهله وولده لاستنكار
حاله سمع عمر بن عبد العزيز امراته مرة تقول اراحنا الله منك فقال آمين وكان
السلف قديما يصفون المؤمن بالغربة في زمانهم كما سبق مثله عن الحسن و
الاوزاعي وسفيان وغيرهم ومن كلام احمد بن عاصم الانطاكي وكان من
كبار العارفين في زمان ابي سليمان الداراني اني ادركت من الازمنة زمانا عاد
فيه الاسلام غريبا كما بدا وعاد وصف الحق فيه غريبا كما بدا ان ترغبت فيه
الى عالم وجدته مفتونا بحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة وان ترغبت فيه
الى عابد وجدته جاهلا في عبادته مخدوعا صريع عدوه ابليس وقد
صعد به الى اعلى درجة العبادة وهو جاهل بادناها فكيف له باعلاها و
سائر ذالك من الرعاع قبيح اعوج وذئاب مختلسة وسباع ضارية و
ثعالب ضائلة هذا وصف عيوب اهل زمانك من حملة العلم والقرآن و
دعاة الحكمة خرجه ابو نعيم في الحلية فهذا وصف اهل زمانه فكيف بما
حدث بعده من العظائم والدواهي التي لم تخطر بباله ولم تدر في خياله و
خرج الطبراني من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك
بسنتي عند فساد امتي له اجر شهيد وخرج ابو الشيخ الاصبهاني باسناده
عن الحسن قال لو ان رجلا من الصدر الاول بعث اليوم ما عرف من الاسلام
شيا الا هذه الصلاة ثم قال اما والله لئن عاش على هذه المنكرات فراى صاحب
بدعة يدعو الى بدعته وصاحب دنيا يدعو الى دنياه فعصمه الله عز وجل
وقلبه يحن الى ذالك السلف الصالح فيتبع آثارهم ويتبع سبيلهم كان له
اجر عظيم وروى ابن المبارك بن فضالة عن الحسن انه ذكر الغني المترف الذي
له سلطان ياخذ المال ويدعي انه لاعقاب عليه وذكر المبتدع الضال الذي خرج
بسيفه على المسلمين وتاول ما انزل الله في الكفار على المسلمين ثم قال سنتكم و
الله الذي لا اله الا هو بينهما بين الغالي والجافي والمترف والجاهل فاصبروا عليها
فان اهل السنة كانوا اقل الناس الذين لم ياخذوا مع اهل الاتراف اترافهم ولا
مع

مع اهل البدع اهوائهم وصبروا على سنتهم حتى اتوا ربهم فكذالك ان شاء الله
فكونوا ثم قال والله ان رجلا ادرك هذه المنكرات يقول هذا هلم الي و
يقول هذا هلم الي فيقول لا اريد الا سنة محمد صلى الله عليه وسلم يطلبها
ويسئل عنها ان هذا ليعوض له اجر عظيم ومن هذا المعنى ما روى ابو
نعيم وغيره عن كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه انه قال الناس ثلاثة
فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع
كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق ثم ذكر كلاما في
فضل العلم الى ان قال آه ان ههنا واشار الى صدره علما لو اصبت له
حملة بل اصيبه لقنا غير مامون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر
بحجج الله على كتابه وبنعمته على عباده او منقادا لاهل الحق لا بصيرة
له في احيائه ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا ذا ولا ذا
او منهوما باللذات سلس الانقياد للشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار
وليسوا من دعاة الدين اقرب شبها بهم الانعام السارحة كذالك يموت
العلم بموت حامليه اللهم لن تخلو الارض من قائم لله بحجة لكيلا
تبطل حجج الله وبيناته اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا
بهم يدفع الله عن حججه حتى يؤدوها الى نظرائهم ويزرعوها في
قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فاستلانوا ما استوعر
منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة بالمنظر الاعلى اولئك خلفاء الله في بلاده ودعاته
الى دينه هاه هاه شوقا الى رؤيتهم فقسم امير المومنين رضي الله فائده
عنه حملة العلم الى ثلاثة اقسام قسم اهل الشبهات وهم من لا بصيرة له
من حملة العلم بل ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة فتاخذه
الشبهة فيقع في الحيرة والشكوك ويخرج من ذالك الى البدع والضلالات
وقسم هم اهل الشهوات وجعلهم نوعين احدهما من يطلب الدنيا بنفس
العلم فيجعل العلم آلة لكسب الدنيا والثاني من يطلب الدنيا بغير العلم

كلام علي رضي الله عنه

رعاع من همج

وهذا النوع ضربان احدهما من همه من الدنيا لذاتها وشهواتها فهو
منهوم بذلك سريع الانقياد اليه والثاني من همه جمع الدنيا واكتنازها
وادخارها وكل هؤلاء ليسوا من دعاة الدين وانما هم كالانعام ولهذا
شبه الله تعالى من حمل التوراة ثم لم يحملها بالحمار الذي يحمل اسفارا و
شبه عالم السوء الذي انسلخ من آيات الله واخلد الى الارض واتبع هواه
بالكلب والانعام واضل سبيلا والقسم الثالث من حملة العلم هم اهله
وحملته ورعاته والقائمون بحجج الله وبيناته وذكر انهم الاقلون عددا
الاعظمون عند الله قدرا اشارة الى قلة هذا القسم وعزته في حملة العلم و
غرابته بينهم وقد قسم الحسن رحمه الله حملة القرآن الى قريب من هذا
التقسيم الذي قسمه علي رضي الله عنه لحملة العلم قال الحسن قراء القرآن كلام الحسن
ثلاثة اصناف صنف اتخذوه صناعة ياكلون به وصنف اقاموا حروفه
وضيعوا حدوده واستطالوا به على اهل بلادهم وسدنوا به الولاة كثرة
هذا الضرب من حملة القرآن لاكثرهم الله وصنف عمدوا الى دواء القرآن
فوضعوه على داء قلوبهم فركدوا به في محاريبهم وحنوا به في برانسهم و
استشعروا الخوف وارتدوا الحزن فاولئك الذين يسقي الله بهم الغيث
وينصر بهم على الاعداء والله لهؤلاء الضرب من حملة القرآن اعز من
الكبريت الاحمر فاخبر ان هذا القسم وهم الذين قرأوا القرآن لله وجعلوه فائده
دواء لقلوبهم فاثر لهم الخوف والحزن اعز من الكبريت الاحمر بين قراء
القرآن ووصف امير المؤمنين علي رضي الله عنه هذا القسم من حملة العلم
بصفات منها انه هجم بهم العلم على حقيقة الامر ومعنى ذلك ان العلم
دلهم على المقصود الاعظم منه وهو معرفة الله تعالى فخافوه واحبوه وسهل
بذلك عليهم كلما عسر على غيرهم ممن لم يصل الى ما وصلوا اليه ممن و
قف على الدنيا وزهرتها واغتر بها ولم يباشر قلبه معرفة الله وعظمته
واجلاله وكذلك قال استلانوا ما استوعر منه المترفون فان المترف
الواقف مع شهوات الدنيا ولذاتها يصعب عليه ترك لذاتها وشهواتها لا
عوض له عنده من لذات الدنيا اذا تركها فهو لا يصبر على تركها وهؤلاء في
قلوبهم

قلوبهم العوض الاكبر مما وصلوا اليه من مناجات حبيبهم وبما وجدوا من
لذة حبه في قلوبهم في كلام يطول ذكره ههنا في هذا المعنى وانما انس
هؤلاء مما استوحش منه الجاهلون لان الجاهلين بالله يستوحشون من
ترك الدنيا وشهواتها لانهم لا يعرفون سواها فهي انسهم وهم لا يستوحشون
من ذلك ويستانسون بالله وبذكره ومعرفته ومحبته وتلاوة كتابه
والجاهلون بالله يستوحشون من ذلك ولا يجدون الانس به ومن صفاتهم
التي وصفهم بها امير المؤمنين علي رضي الله عنه انهم صحبوا الدنيا بابدان ارواحها
معلقة بالمنظر الاعلى وهذا اشارة الى انهم لم يتخذوا الدنيا وطنا ولا رضوا
بها اقامة وسكنا انما اتخذوها ممرا ولم يجعلوها مستقرا وجميع الكتب
والرسل اوصت بهذا وقد اخبر الله في كتابه عن مؤمن آل فرعون انه
قال لقومه في جملة وعظه لهم يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان
الآخرة هي دار القرار وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر كن في الدنيا كانك
غريب او عابر سبيل وفي رواية وعد نفسك من اهل القبور ومن وصايا
المسيح عليه السلام المروية عنه انه قال لاصحابه اعبروها ولا تعمروها
وعنه انه قال من ذا الذي يبني على موج البحر دارا تلك الدنيا فلا تتخذوها
قرارا فالمؤمن في الدنيا كالغريب المجتاز ببلدة غير مستوطن فيها
فهو يشتاق الى بلده وهمه الرجوع اليها والتزود بما يوصله في طريقه
الى وطنه ولا ينافس اهل ذلك البلد المستوطنين فيه في عزهم ولا يجزع
مما اصابه عندهم من الذل قال الفضيل ابن عياض المؤمن في الدنيا مهموم
حزين همه مرمة جهازه وقال الحسن المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع
من ذلها ولا ينافس في عزها له شأن وللناس شأن وفي الحقيقة فالمؤمن في
الدنيا غريب لان اباه انما كان في دار البقاء ثم اخرج منها فهمه الرجوع الى مسكنه
الاول فهو ابدا يحن الى وطنه الذي اخرج منه كما يقال حب الوطن من الايمان
وكما قيل ۞ وكم منزل للمرء يألفه الفتى ۞ وحنينه ابدا لاول منزل ۞
ولبعض شيوخنا في هذا المعنى
ولكننا سبي العدو فهل ترى ۞ نعود الى اوطاننا ونسلم ۞

فحي على جنات عدن فانها ❊ منازلك الاولى وفيها المخيم
وقد زعموا ان الغريب اذا نأى ❊ وشطت به اقدامه فهو مغرم
واي اغتراب فوق غربتنا التي ❊ لها اضحت الاعداء فينا تحكم

والمؤمنون في هذا اقسام منهم من قلبه معلق بالجنة ومنهم من قلبه معلق عند خالقه وهم العارفون ولعل امير المؤمنين انما اشار الى هذا القسم فالعارفون ابدانهم في الدنيا وقلوبهم عند المولى وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم يروي ذلك عن ربه تعالى قال علامة الطهر انه يكون قلب العبد عندي معلقا فاذا كان كذلك لم ينسني على حال واذا كان كذلك مننت عليه بالاشتغال بي كي لا ينساني فاذا نسيني حركت قلبه فان تكلم تكلم لي وان سكت سكت لي فذلك الذي تأتيه المعونة من عندي واهل هذا الشان هم غرباء الغربا وغربتهم اعز الغربة فان الغربة عند اهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة غربة اهل الصلاح بين الفساق وغربة الصادقين بين اهل الريا والنفاق وغربة العلما بين اهل الجهل وسوء الاخلاق وغربة علماء الاخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والاشفاق وغربة الزاهدين فان اولئك واقفون بين الراغبين في كل ما ينفد وليس بباق واما الغربة الباطنة فغربة الهمة وهي غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلما والعباد والزهاد فان اولئك واقفون مع علمهم وعباداتهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يعرجون بقلوبهم عنه كان تقول في وصفهم همتهم غير همة الناس وارادتهم من الاخرة غير ارادة الناس ودعائهم غير دعاء الناس وسئل ابو سليمان الداراني عن افضل الايمان فبكى وقال ان يطلع على قلبك فلا يرى ان تريد من الدنيا والاخرة غيره قال يحيى بن معاذ الزاهد غريب الدنيا والعارف غريب الاخرة يشير الى ان الزاهد غريب بين اهل الدنيا والعارف غريب بين اهل الاخرة لا يعرفه العباد ولا الزهاد وانما يعرفه من هو مثله وهمته كهمته وربما اجتمعت للعارف هذه الغربات او كثير منها او بعضها فلا تسئل عن غربته حينئذ فالعابدون ظاهرون لاهل الدنيا والاخرة والعارفون مستورون عن اهل الدنيا والاخرة قال يحيى بن معاذ الزاهد غريب بين اهل الدنيا والعارف غريب بين اهل الاخرة لا يعرفه العباد ولا الزهاد وربما يعرفه من هو مثله وهمته كهمته

العابد

العابد مشهور والعارف مستور وربما خفي حال العارف على نفسه لخفا حاله واسائته الظن بنفسه قال ابراهيم بن ادهم ما ارى هذا الامر الا في رجل لا يعرف ذالك من نفسه ولا يعرفه الناس وفي حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد الخفي التقي وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب من عبادة الاخفيا الاتقيا الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفقدوا اولئك ايمة الهدى ومصابيح العلم وعن علي قال طوبى لكل عبد نومة عرف الناس ولم يعرفه الناس وعرفه الله منه برضوان اولئك مصابيح الهدى تجلى عنهم كل فتنة مظلمة وقال ابن مسعود كونوا جدد القلوب خلقان الثياب مصابيح الظلام تخفون على اهل الارض وتعرفون في اهل السما فهؤلاء هم اخص اهل الغربة وهم الفرارون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبايل الذين يحشرون مع عيسى بن مريم عليه السلام وهم بين اهل الاخرة اعز من الكبريت الاحمر فكيف يكون حالهم بين اهل الدنيا وتخفى احوالهم غالبا على الفريقين كما قال القائل

تواريت عن دهري بظل جناحه ❊ فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسال الايام عن اسمي ما درت ❊ واين مكاني ما عرفت مكاني

ومن ظهر منهم للناس فهو بينهم ببدنه وقلبه معلق بالمنظر الاعلى كما قال امير المومنين في وصفهم وكما قيل

جسمي معي غير ان الروح عندكم ❊ فالجسم في غربة والروح في وطن

وكانت رابعة تنشد في هذا المعنى

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ❊ وابحت جسمي من اراد جلوسي
فالجسم مني للجليس موانس ❊ وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي

واكثرهم لا يقوى على مخالطة الخلق فهو يفر الى الخلوة بحبيبه ولهذا كان اكثرهم يطيل الوحدة قيل لبعضهم الا تستوحش قال كيف وهو يقول انا جليس من ذكرني وقال اخر وهل يستوحش مع الله احد وعن بعضهم قال من استوحش من وحدته فذلك لقلة انسه بربه كان يحيى ابن معاذ

كثير العزلة والانفراد فعاتبه اخوه فقال له ان كنت من الناس فلا بد لك
من الناس فقال يحيى ان كنت من الناس فلا بد لك من الله وقيل له اذا هجرت
الخلق مع من تعيش قال مع من هجرتهم له وانشد ابراهيم بن ادهم هذا المعنى في

هجرت الخلق طرا في رضاكا ❖ وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب اربا ❖ لما حن الفؤاد الى سواكا

وعوتب غزوان على خلوته فقال اصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي
ولغربتهم ربما نسب بعضهم الى الجنون لبعد حاله من احوال الناس كما كان اويس
يقال له ذلك **وكان ابو مسلم** الخولاني كثير اللهج بالذكر فقال رجل
لجلسائه امجنون صاحبكم قال ابو مسلم لا يا اخي ولكن هذا دواء الجنون وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون **وقال
الحسن** في صفتهم اذا نظر اليهم الجاهل حسبهم مرضى وما بالقوم من مرض و
يقولون قد خولطوا وقد خالط القوم امر عظيم هيهات والله مشغولون عن
دنياكم وفي هذا المعنى يقول القائل

وحرمة الود ما لي عنكم عوض ❖ وليس لي في سواكم سادتي غرض
ومن حديثي بكم قالوا به مرض ❖ فقلت لا زال عني ذلك المرض

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى رجلا فقال له استحي من الله كما
تستحي من رجلين من صالحي عشيرتك لا يفارقانك وفي حديث آخر انه صلى
الله عليه وسلم قال افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث كنت وفي حديث
آخر انه سئل صلى الله عليه وسلم ما تزكية المرء نفسه قال ان يعلم ان الله
معه حيث كان وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة في ظل
الله يوم لا ظل الا ظله فذكر منهم رجلا اينما توجه علم ان الله معه
وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل عن الاحسان فقال ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولابي عبادة البحتري في هذا
المعنى ابيات حسنة لكنه اساء بقولها في مخلوق وقد اصلحت منها
كلمات حتى استقامت على الطريقة وهي هذه

كأن

كأن رقيبا منك يرعى خواطري ❖ وآخر يرعى خاطري ولساني
فما ابصرت عيناي بعدك منظرا ❖ يسوءك الا قلت قد رمقاني
وما بدرت من في بعدك لفظة ❖ لغيرك الا قلت قد سمعاني
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة ❖ على القلب الا عرجا بعناني
اذا ما تسلى القاعدون عن الهوى ❖ بذكر فلان او بذكر فلان
وجدت الذي يسلي سواي يشوقني ❖ الى قربكم حتى امل مكاني
اخلاء صدق قد سئمت لقاهم ❖ وغضضت طرفي عنهم ولساني
وما البعض اسلى عنهم غير انني ❖ اراك على كل الجهات تراني

تم والحمد لله وحده وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم

ويليه شرح حديث من سلك طريقا يلتمس فيه
علما الى آخره في فضل العلم وطلبه للمؤلف
المذكور رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه من يهدي الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا **خرج الامام احمد** وابو داود والترمذي
وابن ماجة في كتبهم ان رجلا قدم من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق
فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدث به عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة قال لا قال اما قدمت لتجارة قال لا قال
ما جئت الا في طلب هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله له به طريقا
الى الجنة وان الملائكة تضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له
من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل

القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان
الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ
بحظ وافر وكان السلف الصالح رضي الله عنهم لقوة رغبتهم في العلم
والدين والخير يرتحل احدهم الى بلد بعيد لطلب حديث واحد يبلغه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رحل ابو ايوب الانصاري من
المدينة الى مصر للقاء رجل من الصحابة بلغه عنه حديث يحدثه عن
النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك فعل جابر بن عبد الله الانصاري مع كثرة ما
سمع من النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث وروايته عنه وكان احدهم يرحل الى
من دونه في الفضل والعلم لطلب شيء من العلم لا يجده عنده ويكفي في هذا المعنى
ما قص الله علينا من قصة موسى وارتحاله مع فتاه فلو استغنى احد عن الرحلة
في طلب العلم لاستغنى عنها موسى عليه السلام حيث كان الله قد كلمه واعطاه
التوراة التي كتب له فيها من كل شيء ومع هذا فلما اخبره الله عز وجل عن
الخضر ان عنده علما يختص به سأل السبيل الى لقيه ثم سار هو وفتاه
اليه كما قال تعالى واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او
امضي حقبا يعني سنين عديدة ثم اخبر انه لما لقيه قال له هل اتبعك على
ان تعلمني مما علمت رشدا وكان من امرهما ما قصه الله في كتابه ومن حديث
ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر مخرج في الصحيحين
وهو مشهور وكان بن مسعود يقول والله الذي لا اله الا هو ما انزلت
سورة من كتاب الله الا وانا اعلم اين انزلت ولا انزلت آية من كتاب الله
تعالى الا وانا اعلم فيما انزلت ولو اعلم احدا اعلم مني لكتاب الله تبلغه
الابل لركبت اليه وقال ابو الدردا لو اعيتني آية من كتاب الله فلم اجد احدا
يفتحها علي الا رجل ببرك الغماد لرحلت اليه وبرك الغماد اقصى اليمن و
خرج مسروق من الكوفة الى البصرة يسأل عن آية فلم يجد عنده فيها علما
فاخبر عن رجل من اهل الشام فرجع الى الكوفة ثم خرج الى الشام الى ذلك الرجل
في طلبها ورحل رجل من الكوفة الى الشام الى ابي الدردا يستفتيه في يمين
حلفها ورحل سعيد بن جبير من الكوفة الى ابن عباس يسأله عن تفسير آية
ورحل الحسن الى الكوفة الى كعب بن عجرة ليسأله عن قصة في فدية الاذى و
استقصا

استقصا هذا الباب يطول وحلف رجل بيمين فاشكلت على الفقهاء فدل
على بلد فاستبعده فقيل له ان ذلك البلد قريب على من اهمه دينه وفي هذا
اشارة الى ان من اهمه امر دينه كما اهمه امر دنياه اذا حدثت له حادثة في دينه
لا يجد من يسأله عنها الا في بلد بعيد فانه لا يتاخر عن السفر اليه ليستبري
لدينه كما انه لو عرض له هنالك كسب دنيوي لبادر السفر اليه وفي هذا
الحديث ان ابا الدردا بشر من اخبره انه رحل اليه لطلب الحديث بما سمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم في فضل العلم وطلبه وهذا ماخوذ من قوله
تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه
الرحمة وقد ازدحم الناس مرة على باب الحسن البصري لطلب العلم فاسمعهم
ابنه كلاما فقال الحسن مهلا يا بني ثم تلا هذه الآية وفي كتاب الترمذي
وابن ماجة عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم وصاهم بطلبة العلم
والمتفقهين في الدين ولما جاء زر بن حبيش الى صفوان بن عسال في طلب العلم
قال له بلغني ان الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم وفي رواية انه روى
له ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وازدحم الناس مرة على باب بن
المبارك فقال حق لهم من ولاية سرور الابد يغبطهم بازدحامهم على طلب
العلم لانه يؤدي الى الخلود في النعيم المقيم ولهذا تاسف معاذ عند موته وبكى على مفارقة
مجالس الذكر فقال انما ابكي على ظماء الهواجر وقيام ليل الشتا ومزاحمة العلماء
بالركب عند حلق الذكر وينبغي للعالم ان يرحب بطلبة العلم ويوصيهم بالعمل
كما قال الحسن لاصحابه وقد دخلوا عليه مرحبا بكم واهلا حياكم الله بالسلام
وادخلنا واياكم دار السلام هذه علانية حسنة ان صبرتم وصدقتم وايقنتم
لا يكونن حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تستمعوه بهذه الاذن فيخرج
من هذه الاذن فانه من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا لم
يضع لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا
النجا النجا على ما تعرجون ابيتم ورب الكعبة كانكم والامر معا ولنشرع
الان في شرح حديث ابي الدردا رضي الله عنه الذي رواه عن النبي صلى
الله عليه وسلم فقوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك
الله له به طريقا الى الجنة وفي رواية اخرى سهل الله له به طريقا الى الجنة وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلك طريقا يلتمس فيه

علما سهل الله له به طريقا الى الجنة سلوك الطريق للتماس العلم يحتمل
ان يراد به السلوك الحقيقي وهو المشي بالاقدام الى مجالس العلم ويحتمل ان يشمل
ما هو اعم من ذالك من سلوك الطريق المعنوية المؤدية الى حصول العلم مثل
حفظه ودراسته ومطالعته ومذاكرته والتفهم له والتفكر فيه ونحو ذالك
من الطرق التي يتوصل بها الى العلم واما قوله سهل الله له به طريقا الى الجنة
فانه يحتمل امورا منها ان يسهل الله لطالب العلم العلم الذي طلبه وسلوك
طريقه وييسره عليه فان العلم طريق موصل الى الجنة وهذا كقوله تعالى و
لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قال طائفة من السلف في هذه الاية
هل من طالب علم فيعان عليه ومنها ان ييسر الله لطالب العلم العمل بمقتضى
ذالك العلم اذا قصد بتعلمه وجه الله فيجعله الله سببا لهدايته و
الانتفاع به والعمل به وذالك من طرق الجنة الموصلة اليها ومنها
ان الله تعالى ييسر لطالب العلم الذي يطلبه للعمل به علوما [illegible] اخر ينتفع
بها فيكون ذالك طريقا موصلا الى الجنة وهذا كما قيل من عمل بما علم اورثه
الله علم ما لم يعلم وكما يقال ثواب الحسنة الحسنة بعدها والى هذا الاشارة
بقوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله تعالى والذين اهتدوا
زادهم هدى وآتاهم تقواهم فمن التمس العلم ليهتدي به زاده الله هدى
وعلوما نافعة توجب له اعمالا صالحة وكل هذه طرق موصلة الى الجنة
ومنها ان الله تعالى قد ييسر لطالب العلم الانتفاع به في الآخرة وسلوك
الطريق الحسي المفضي الى الجنة وهو الصراط وما بعده وما قبله من الاهوال
العظيمة والعقبات الشديدة الشاقة وسبب تيسير طريق الجنة
على طالب العلم اذا اراد به وجه الله عز وجل وطلب مرضاته ان العلم يدل
على الله من اقرب الطرق واسهلها فمن سلك طريقه ولم يعرج عنه
وصل الى الله والى الجنة من اقرب الطرق واسهلها فتسهلت عليه الطرق
فسهلت
الموصلة الى الجنة كلها في الدنيا وفي الآخرة ومن سلك طريقا يظنه طريق
الجنة بغير علم فقد سلك اعسر الطرق واشقها ولا يوصل الى المقصود
مع عسره ومشقته فلا طريق الى معرفة الله والى الوصول الى رضوانه
والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة الا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله
وانزل

وانزل به كتبه فهو الدليل عليه وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه
والشكوك وقد سمى الله كتابه نورا يهتدى به في الظلمات كما
قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم
الى صراط مستقيم وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل من حمل العلم
الذي جاء به بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات كما في المسند عن انس عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في
ظلمات البر والبحر فاذا طمست النجوم اوشك ان تضل الهداة وهذا
مثل في غاية المطابقة لان طريق التوحيد والعلم بالله تعالى واحكامه
وثوابه وعقابه لا يدرك بالحس انما يعرف بالدليل وقد بين ذالك كله في
كتابه وعلى لسان رسوله فالعلماء بما انزل الله على رسوله هم الادلاء الذين
يهتدى بهم في ظلمات الجهل والشبه والضلال فاذا فقدوا ضل السالك
وقد شبه العلماء بالنجوم والنجوم في السماء فيها ثلاث فوائد يهتدى
بها في الظلمات وهي زينة للسماء ورجوم للشياطين الذين يسترقون السمع
منها والعلماء في الارض يجتمع فيهم هذه الاوصاف الثلاثة بهم يهتدى
في الظلمات وهم زينة للارض وهم رجوم الشياطين الذين يخلطون الحق بالباطل
ويدخلون في الدين ما ليس منه من اهل الاهواء وما دام العلم باقيا في الارض فالناس
في هدى وبقاء العلم بقاء حملته فاذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس
في الضلال كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم
انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يذهب العلم بذهاب العلماء فاذا لم
يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا
وخرج الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدرداء قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم فقال هذا اوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه
على شيء فقال زياد بن لبيد كيف يختلس منا العلم وقد قرأنا القرآن فوالله
لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وابناءنا فقال ثكلتك امك يا زياد ان
كنت لاعدك من فقهاء المدينة هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى

فماذا تغني عنهم قال جبير بن نفير فلقيت عبادة بن الصامت فقلت الا
تسمع ما يقول ابو الدردا فاخبرته بالذي قال فقال صدق ابو الدردا
لو شئت لاخبرتك باول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك ان تدخل
المسجد الجامع فلا ترى فيه خاشعا وخرجه النسائي من حديث جبير بن مسجد
نفير عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي حديثه فذكر
صلى الله عليه وسلم ضلالة اليهود والنصارى على ما في ايديهم من كتاب الله
قال جبير فلقيت شداد بن اوس فحدثته بحديث عوف فقال صدق الا
اخبرك باول ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا وخرج الامام احمد بنحوه
من حديث زياد بن لبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر شيا فقال ذاك
عند اوان ذهاب العلم فذكر الحديث وفيه قال اوليس اليهود والنصارى يقرؤن
التوراة والانجيل لا يعملون بشيء مما فيهما ولم يذكر ما بعد هذا ففي هذه
الاحاديث ان ذهاب العلم بذهاب العمل به وان الصحابة فسروا ذلك بذهاب
العلم الباطن من القلوب وهو الخشوع وكذا روي عن حذيفة ان اول واوله
ما يرفع من العلم الخشوع فان العلم علمان كما قال الحسن العلم علمان علم
على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذاك العلم النافع
وروي عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن
ابن مسعود قال ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع
في القلب فرسخ فيه نفع فالعلم النافع هو ما باشر القلب فاوقر فيه
معرفة الله تعالى وعظمته وخشيته واجلاله وتعظيمه ومحبته ومتى
سكنت هذه الاشياء في القلب خشع فخشعت الجوارح كلها تبعا لخشوعه
وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اني اعوذ
بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع وهذا يدل على ان العلم الذي
لا يوجب الخشوع للقلب فهو علم غير نافع وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يسئل الله علما نافعا وفي حديث آخر قال سلوا الله علما نافعا
وتعوذوا بالله من علم لا ينفع واما العلم الذي على اللسان فهو حجة
الله

الله على ابن آدم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك او عليك
فاذا ذهب من الناس العلم الباطن بقي الظاهر على الالسنة حجة ثم يذهب
هذا العلم الذي هو حجة بذهاب حملته ولا يبقى من الدين الا رسمه فيبقى الا اسمه
القرآن في المصاحف ثم يسرى به في آخر الزمان فلا يبقى منه في المصاحف ولا
في القلوب شيء ومن هنا قسم من قسم من العلما العلم الى باطن وظاهر
فالباطن ما باشر القلوب فاثمر لها الخشية والخشوع والتعظيم والاجلال
والمحبة والانس والشوق والظاهر ما كان على اللسان فبه تقوم حجة
الله على عباده وكتب وهب بن منبه الى مكحول انك امرء قد اصبت
بما ظهر من علم الاسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام محبة وزلفى
وفي رواية اخرى انه كتب اليه انك قد بلغت بظاهر علمك عند الناس منزلة
وشرفا فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احدى المنزلتين
تمنع من الاخرى فاشار وهب بعلم الظاهر الى علم الفتاوى والاحكام و
الحلال والحرام والقصص والمواعظ وهو ما يظهر على اللسان وهذا
العلم يوجب لصاحبه محبة الناس له وتقدمه عندهم فحذره من
الوقوف عند ذلك والركون اليه والالتفات الى تعظيم الناس ومحبتهم
فان من وقف مع ذلك فقد انقطع عن الله وانحجب بنظره الى الخلق عن
الحق واشار بعلم الباطن الى العلم الذي يباشر القلوب فيحدث لها
الخشية والاجلال والتعظيم وامره ان يطلب بهذا المحبة من الله والقرب
منه والزلفى لديه وكان كثير من السلف كسفيان الثوري وغيره يقسمون
العلما الى ثلاثة اقسام يقولون عالم بالله عالم بامر الله ويشيرون بذلك
الى من جمع بين هذين العلمين المشار اليهما الظاهر والباطن وهؤلاء اشرف
العلما وهم الممدوحون في قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا
الى قوله ويزيدهم خشوعا وقال كثير من السلف ليس العلم كثرة الرواية
ولكن العلم الخشية وقال بعضهم كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله

جهلا ويقولون ايضا عالم بالله ليس بعالم بامر الله وهم اصحاب العلم
الباطن الذين يخشون الله وليس لهم اتساع في العلم الظاهر ويقولون
عالم بامر الله ليس بعالم بالله وهم اصحاب العلم الظاهر الذين لا نفاذ لهم
في العلم الباطن وليس لهم خشية ولا خشوع وهؤلاء مذمومون عند
السلف وكان بعضهم يقول هذا هو العالم الفاجر وهؤلاء الذين وقفوا
مع ظاهر العلم ولم يصل العلم النافع الى قلوبهم ولا شموا له رائحة غلبت
عليهم الغفلة والقسوة والاعراض عن الآخرة والتنافس في الدنيا ومحبة
العلو فيها والتقدم بين اهلها وقد منعوا احسان الظن بمن وصل العلم
النافع الى قلبه فلا يحبونهم ولا يجالسونهم وربما ذموهم وقالوا ليسوا
بعلماء وهذا من خداع الشيطان وغروره ليحرمهم الوصول الى العلم النافع
الذي مدحه الله ورسوله وسلف الامة وائمتها ولهذا كان علماء الدنيا
يبغضون علماء الآخرة ويسعون في اذاهم جهدهم كما سعوا في اذى سعيد
ابن المسيب والحسن وسفيان ومالك واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين
وذلك لان علماء الآخرة خلفاء الرسل وعلماء السوء فيهم شبه من اليهود
وهم اعداء الرسل وقتلة الانبياء ومن يأمر بالقسط من الناس واشد
الناس عداوة وحسد للمؤمنين ولشدة محبتهم للدنيا لا يعظمون علما
ولا دينا وانما يعظمون المال والجاه والتقدم عند الملوك كما قال بعض الوزراء
للحجاج بن ارطاة ان لك دينا وان لك فقها فقال الحجاج افلا تقول ان
لك شرفا وان لك قدرا فقال الوزير والله انك لتصغر ما عظم الله وتعظم
ما صغر الله وكثير ممن يدعي العلم الباطن ويتكلم فيه ويقتصر عليه
يذم العلم الظاهر الذي هو الشرائع والاحكام والحلال والحرام ويطعن
في اهله ويقول هم محجوبون واصحاب قشور وهذا يوجب القدح في
الشريعة والاعمال الصالحة التي جاءت الرسل بالحث عليها والاعتناء
بها وربما انحل بعضهم عن التكاليف وادعى انها للعامة واما من وصل
فلا حاجة له اليها وانها حجاب له وهؤلاء كما قال الجنيد وغيره من
العارفين

العارفين وصلوا ولكن الى سقر وهذا من اعظم خداع الشيطان وغروره
لهؤلاء لم يزل يتلاعب بهم حتى اخرجهم عن الاسلام ومنهم من يظن ان
هذا العلم الباطن لا يتلقى من مشكاة النبوة ولا من الكتاب والسنة وانما يتلقى من الخواطر
والالهامات والكشوفات فاساؤا الظن بالشريعة الكاملة حيث ظنوا انها لم تات
بهذا العلم النافع الذي يوجب صلاح القلوب وقربها من علام الغيوب واوجب لهم
الاعراض عما جاء به الرسول في هذا الباب بالكلية والتكلم فيه بمجرد الاراء والخواطر فضلوا
واضلوا فظهر بهذا ان اكمل العلماء وافضلهم العلماء بالله وبأمره الذين جمعوا بين العلمين
وتلقوهما معا من الوحيين اعني الكتاب والسنة وعرضوا كلام الناس في العلمين معا
على ما جاء في الكتاب والسنة فما وافق قبلوه وما خالف ردوه وهؤلاء خلاصة الخلق
وهم افضل الناس بعد الرسل هم خلفاء الرسل حقا وهؤلاء كثير في الصحابة كالخلفاء
الاربعة ومعاذ وابي الدردا وسلمان وابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم وكذلك
فيمن بعدهم كالحسن وسعيد بن المسيب وعطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير والنخعي
ويحيى بن ابي كثير وفيمن بعدهم كالثوري والاوزاعي واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين
وقد سماهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه العلماء الربانيين يشير الى انهم الربانيون
الممدوحون في غير موضع من كتاب الله عز وجل فقال الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم
على سبيل نجاة وهمج رعاع ثم ذكر كلاما طويلا وصف به علماء السوء والعلماء الربانيين
وقد شرحنا في غير هذا الموضع والمقصود ههنا ان التماس العلم سبب
موصل الى الجنة وفي الحديث المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر وكان ابن مسعود اذا ذكر هذا
الكلام يقول اما اني لا اعني القصاص ولكن حلق الفقه وروي عن انس معناه ايضا
وقال عطاء الخراساني مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام كيف تشتري وتبيع وتصلي
وتصوم وتنكح وتطلق وتحج واشباه هذا وقال يحيى بن ابي كثير درس
الفقه صلاة وكان ابو السوار العدوي في حلقة يتذاكرون العلم ومعهم فتى شاب
فقال لهم قولوا سبحان الله والحمد لله فغضب ابو السوار وقال ويحك في اي شيء
كنا اذا والمراد بهذا ان مجالس الذكر لا تختص بالمجالس التي يذكر فيها اسم
الله بالتسبيح والتكبير والتحميد ونحوه بل تشمل ما ذكر فيه امر الله ونهيه
وحلاله وحرامه وما يحبه ويرضاه فانه ربما كان هذا الذكر انفع من ذلك لان
معرفة الحلال والحرام واجبة في الجملة على كل مسلم بحسب ما يتعلق به في ذلك

واما ذكر الله باللسان فان اكثره يكون تطوعا وقد يكون واجبا كالذكر
في الصلوات المكتوبة واما معرفة ما امر الله به ونهى عنه وما يحبه
ويرضاه ويكرهه وينهى عنه فيجب على كل من احتاج الى شيء من ذلك ان يتعلمه
ولهذا روي طلب العلم فريضة على كل مسلم فانه يجب على كل مسلم معرفة ما يحتاج
اليه كالطهارة والصلاة والصيام ويجب على من له مال معرفة ما يجب عليه في ماله
من زكاة ونفقة وحج وجهاد وكذلك يجب على من يبيع ويشتري ان يتعلم ما يحل
ويحرم من البيوع كما قال عمر لا يبيع في سوقنا الا من قد فقه في الدين خرجه
الترمذي ويروى باسناد فيه ضعف عن علي قال الفقه قبل التجارة انه من اتجر
قبل التفقه ارتطم في الربى ثم ارتطم وسئل ابن المبارك ما الذي يجب على الناس
من تعلم العلم ثم فسره وقال لو ان رجلا لم يكن له مال لم يكن عليه واجبا ان يتعلم
الزكاة فاذا كان له مئتا درهم وجب عليه ان يتعلم كم يخرج ومتى يخرج و
اين يضع وسائر الاشيا على هذا وسئل الامام احمد رحمه الله عن الرجل ما
يجب عليه من طلب العلم فقال ما يقيم به الصلواة وامر دينه من الصوم و
الزكاة وذكر شرائع الاسلام وقال ينبغي له ان يتعلم ذلك وقال ايضا الذي
يجب على الانسان من العلم ما لا بد له منه في صلاته واقامة دينه واعلم
ان علم الحلال والحرام علم شريف ومنه ما تعلمه فرض عين ومنه ما هو فرض
كفاية وقد نص العلما ان تعلمه افضل من نوافل العبادات منهم احمد واسحق
وكان ائمة السلف يتوقون الكلام فيه تورعا لان المتكلم فيه مخبر عن
الله بامره ونهيه مبلغ عنه شرعه ودينه كان ابن سيرين اذا سئل عن
شيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كانه ليس بالذي كان وقال عطا
ابن السائب ادركت اقواما ان كان احدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم وانه
ليرعد وروي عن مالك انه كان اذا سئل عن مسئلة كانه بين الجنة
والنار وكان احمد شديد التورع في اطلاق لفظ الحرام والحلال او دعوى
النسخ ونحو ذلك مما يجسر عليه غيره كثيرا واكثر اجوبته ارجو واخشى
واحب الي ونحو ذلك وكان هو ومالك وغيرهما يقولون كثيرا لا ندري
وكان احمد يقول ذلك في مسئلة يذكر للسلف فيها اقوالا عديدة ويريد
بقوله لا ادري الراجح المفتى به من ذلك ومن مجالس الذكر ايضا مجالس العلم
التي

التي يذكر فيها تفسير كتاب الله او يروى فيها سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان كانت رواية الحديث مع تفسير معانيه فذلك اكمل وافضل من
مجرد رواية الفاظه ويدخل في الفقه في الدين كل علم مستنبط من كتاب الله
او سنة رسوله سوآء كان من علوم الاسلام التي هي الاعمال الظاهرة والاقوال
او من علوم الايمان التي هي الاعتقادات الباطنة وادلة ذلك وبراهينه التي
في الكتاب والسنة او من علوم الاحسان التي هي علوم المراقبة والمشاهدة
بالقلب ويدخل في ذلك علم الخشية والمحبة والرجا والانابة والصبر و
الرضا وغير ذلك من المقامات وكل ذلك قد سماه النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث سؤال جبرئيل له عنه دينا لنا فالفقه فيه من الفقه في الدين و
مجالسه من افضل مجالس الذكر التي هي من رياض الجنة وهي افضل من مجالس ذكر
اسم الله بالتسبيح والتحميد والتكبير لانها دائرة بين فرض عين او فرض
كفاية والذكر المجرد تطوع محض وقد دخل بعض السلف مسجد البصرة فرأى
فيه حلقتين في احدهما قاص وفي الاخرى فقيه يعلم الفقه فصلى ركعتين و
استخار الله في الجلوس الى احدهما فنعس فرأى في نومه قائلا يقول له او
قد سويت بينهما ان شئت اريناك مقعد جبرئيل عليه السلام من فلان يعني
الفقيه الذي يعلم العلم وسنذكر فيما بعد النصوص الدالة على فضل العلم
على انواع العبادات من الذكر وغيره ان شاء الله تعالى وكان زيد
ابن اسلم من اجلة علماء المدينة وكان له مجلس في المسجد يذكر فيه التفسير
والحديث والفقه وغير ذلك فجاء اليه رجل فقال اني رأيت بعض اهل
السما وهو يقول لاهل هذا المجلس هؤلاء في روضات الجنان آمنون
ثم اراه انزل على اهل المجلس حوتا طريا ووضعه بين ايديهم وجاء
اليه رجل فقال له اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر خرجوا من
هذا الباب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انطلقوا بنا الى زيد نجالسه و
نسمع من حديثه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس الى جنبك واخذ بيدك
فلم يلبث زيد بعد هذه الرؤيا الا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى و
مع ما ذكرنا من تفضيل العلم على القصص فالعالم لا يستغني احيانا عن موعظة
الناس والقصص عليهم وازالة القسوة عن قلوبهم بالتذكير بالله وايامه

فان القرآن يشتمل على ذلك كله والفقيه العالم حقا هو من فهم كتاب
الله واتبع ما فيه كما قال علي الفقيه حق الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة
الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولا يدع القرآن رغبة عنه الى غيره وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظة خشية السآمة عليهم
قوله صلى الله عليه وسلم وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما
يطلب وخرج بن ماجة من حديث زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال
فقال ما جاء بك فقلت اطلب العلم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم الا وضعت له الملائكة
اجنحتها رضى بما يصنع وخرجه الترمذي وغيره موقوفا على صفوان و
قد اختلف الناس في تاويل وضع الملائكة اجنحتها فمنهم من حمله على
ظاهره وان المراد فرش الاجنحة وبسطها لطلاب العلم لتحملهم عليها الى مقاصدهم
من الارض التي يطلبون فيها العلم اعانة لهم على الطلب وتيسيرا عليهم وقد
سمع هذا الحديث بعض الملحدين فقال لطلبة العلم ارفعوا ارجلكم عن اجنحة
الملائكة لا تكسروها يستهزئ بذلك فما زال عن موضعه حتى جفت
رجلاه وسقط وروي ان آخر قال لاكسرن اجنحة الملائكة فصنع له نعلا طرقها
بمسامير كثيرة فمشى بها الى مجلس العلم فجفت رجلاه ووقعت فيهما الاكلة
ومنهم من فسر وضع الملائكة اجنحتها بالتواضع منهم والخضوع لطلاب
العلم كما في قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وفي هذا
نظر لان للملائكة اجنحة حقيقة بخلاف البشر ومنهم من فسر ذلك
بان الملائكة تحف باجنحتها مجالس الذكر الى السما كما جاء ذلك صريحا في حديث
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وورد مثله في بعض الفاظ حديث صفوان
ابن عسال مرفوعا ان طالب العلم لتحفه الملائكة وتظله باجنحتها ثم يركب
بعضهم بعضا حتى يبلغوا الى السماء الدنيا من حبهم لما يطلب ولعل هذا
القول اشبه والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم وان العالم ليستغفر
له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء قد اخبر الله في كتابه
باستغفار ملائكة السماء للمؤمنين عموما بقوله الذين يحملون العرش ومن
حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض فهذا للمؤمنين عموما
فاما

والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض

فاما العلما فيستغفر لهم اهل الارض حتى حيتان البحر وخرج الترمذي من
حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته
واهل السموات واهل الارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون
على معلمي الناس الخير وصححه الترمذي وخرج الطبراني من حديث جابر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى
الحيتان في البحار ويروى من حديث البراء ابن عازب عن النبي صلى الله عليه
وسلم العلما ورثة الانبيا يحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر
اذا ماتوا الى يوم القيمة وورد الاستغفار ايضا لطالب العلم ففي مسند
الامام احمد عن قبيصة بن المخارق قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما جاء بك قلت كبرت سني ورق عظمي واتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به قال
يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر الا استغفر لك وقد دل قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو
الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور على ان الله وملائكته
يصلون على اهل الذكر والعلم من افضل انواع الذكر كما سبق تقريره وخرج
الحاكم من حديث سليم بن عامر قال جاء رجل الى ابي امامة فقال يا ابا امامة
اني رايت في منامي كان الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما
قمت وكلما جلست فقال ابو امامة اللهم غفرا دعونا عنكم وانتم لو شئتم
لصلت عليكم الملائكة ثم قرا يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه
بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
وقد ذكر بعضهم السر في استغفار دواب الارض للعلما وهو ان العلما
يامرون الناس بالاحسان الى المخلوقات كلها وباحسان قتل ما يجوز قتله
او ذبحه من الحيوانات كلها فيتعدى نفعهم الى الحيوانات كلها فلذلك يستغفر
لهم ويظهر فيه معنى آخر وهو ان سائر المخلوقات مطيعة لله قانتة
له مسبحة له غير عصاة لكن الثقلين الجن والانس فكل الخلق المطيعين
لله يحبون اهل طاعته فكيف بمن يعرف الله ويعرف حقوقه وطاعته
فمن كانت هذه صفته فان الله يحبه ويزكيه ويثني عليه ويامر عباده

من اهل السماء والارض وسائر خلقه بمحبته والدعاء له وذلك هو صلاتهم
عليه ويجعل له المودة في قلوب عباده المؤمنين كما قال تعالى ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ولا تختص محبته بالحيوانات
بل تحبه الجمادات ايضا كما جاء في تفسير قوله تعالى فما بكت عليهم السماء
والارض ان السماء والارض تبكي على المؤمن اذا مات اربعين صباحا وفي
الحديث ان الارض تقول للمؤمن اذا دفن ان كنت لاحب من يمشي على ظهري فسترى
اذا صرت الى بطني صنيعي بك وانما يبغض المؤمن والعالم عصاة الثقلين لان
معصيتهم لله اقتضت تقديم اهواء نفوسهم على محبة الله وطاعته فكرهوا
طاعة الله واهل طاعته ومن احب الله واحب طاعته احب اهل طاعته
خصوصا من دعى الى طاعته وامر الناس بها وحث عليها وايضا فان
العلم اذا ظهر في الارض وعمل به درت البركات ونزلت الارزاق فيعيش
اهل الارض كلهم حتى النملة وغيرها من الحيوانات ببركته ويستبشر اهل
السما بما يرتفع لاهل الارض من الطاعات والاعمال الصالحات فيستغفرون
لمن كان السبب في ذلك وعكس هذا ان من كتم العلم الذي امر الله باظهاره
لعنه الله وملائكته واهل السما والارض حيث سعى في اطفاء نور الله في
الارض الذي بسبب اخفائه تظهر المعاصي والظلم والعداوة والبغي قال تعالى
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد قيل انها نزلت
في اهل الكتاب الذين كتموا ما عندهم في كتابهم من صفة النبي صلى الله عليه
وسلم وكان ابو هريرة يقول لولا آية من كتاب الله ما حدثتكم شيئا
ابدا ويتلو هذه الآية وفي سنن ابن ماجة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض وقد
روي هذا موقوفا على البراء وروي عن طائفة من السلف وقالوا انه تلعنهم
دواب الارض ويقولون منعنا القطر بخطايا بني آدم فان كتمان العلم
النافع سبب لظهور الجهل والمعاصي وذلك يوجب قحط المطر ونزول
البلا فيعم دواب الارض فتهلك بخطايا بني آدم فتلعن الدواب من كان سببا
لذلك

لذلك وقد ظهر بهذا ان محبة العلماء من الدين كما قال علي رضي الله عنه
لكميل بن زياد ومحبة العالم دين يدان بها وفي الاثر المعروف كن عالما
او متعلما او مستمعا او محبا لهم ولا تكن الخامس فتهلك قال بعض
السلف عند هذا سبحان الله لقد جعل الله لهم مخرجا يعني انه لا يخرج
عن هذه الاربعة الممدوحة الا الخامس الهالك وهو من ليس بعالم
ولا متعلم ولا مستمع ولا محب لاهل العلم وهو الهالك فان من ابغض اهل
العلم احب هلاكهم ومن احب هلاكهم فقد احب ان يطفى نور الله من الارض
وتظهر فيها المعاصي والفساد فيخشى ان لا يرفع له مع ذلك عمل كما قال
سفيان الثوري وغيره من السلف وكان بعض خدم الخلفاء يبغض ابا الفرج
ابن الجوزي ويسعى في اذاه بجهده فرآه بعضهم في منامه وهو يذهب
به الى النار فسئل عن سبب ذلك فقيل له كان يبغض ابن الجوزي قال
ابن الجوزي لما زاد تعصبه واذاه لجأت الى الله في كشف شره فقصمه
الله قريبا ولما قتل الحجاج سعيد بن جبير كان الناس كلهم محتاجين الى
علمه فمنعهم الانتفاع بعلمه فرؤي في المنام ان الحجاج قتل بكل قتيل
قتله في الدنيا قتلة وقتل بسعيد بن جبير سبعين قتلة ولهذا
المعنى كان اشد الناس عذابا من قتل نبيا لانه سعى في الارض بالفساد
ومن قتل عالما فقد قتل خليفة نبي فهو ساع في الارض بالفساد
ايضا ولهذا قرن الله بين قتل الانبيا وقتل العلما الآمرين بالمعروف
في قوله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من
الناس فبشرهم بعذاب اليم وقال عكرمة وغيره من السلف في قوله
تعالى انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس
جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا من قتل نبيا او امام عدل
قال فكانما قتل الناس جميعا ومن شد على عضد نبي او امام عادل فكانما
احيا الناس جميعا قوله صلى الله عليه وسلم وفضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه

وسلم ايضا من حديث معاذ وابي الدردا ولكن اسنادهما منقطع وفي هذا
المثل تشبيه للعالم بالقمر ليلة البدر وهو بغاية كماله وتمام نوره
وتشبيه للعابد بالكواكب وان بين العالم والعابد من التفاوت في الفضل
كما بين القمر ليلة البدر والكواكب والسر في ذالك والله اعلم ان الكوكب
ضوءه لا يعدو نفسه واما القمر ليلة البدر فان نوره يشرق على اهل الارض
جميعا فيعمهم نوره فيستضيئون بنوره ويهتدون به في سيرهم وانما
قال على سائر الكواكب ولم يقل على سائر النجوم لان الكواكب هي التي لا تسير
ولا يهتدى بها فهي بمنزلة العابد الذي نفعه مقصور على نفسه واما النجوم
فهي التي يهتدى بها كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون وقال وهو الذي جعل
لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فكذالك مثل العلما من امته
بالنجوم في الحديث الذي سبق ذكره ولكن الذي روي عنه انه قال اصحابي
كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم وقد قيل ان القمر انما يستفيد نوره
من ضوء الشمس كما ان العالم نوره مقتبس من نور الرسالة فلذالك شبه
بالقمر ولم يشبه بالشمس ولما كان الرسول سراجا منيرا يشرق نوره
على الارض كان العلما ورثته وخلفاؤه مشبهين بالقمر عند تمام نوره
واضائته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخلون
الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اضوء كوكب دري
في السماء ولا يبعد والله اعلم ان العلما الربانيون من الزمرة الاولى كما
كانوا في الدنيا بمنزلة القمر ليلة البدر لاهل الارض وقد يشاركهم في ذالك
المبرزون من العباد ولاسيما من انتفع الناس بسماع اخبارهم ورقت
القلوب عند ذكرهم وحنت الى اقتفا آثارهم واما الزمرة الثانية فهم
عموم العباد ولما مات الاوزاعي وكان امام اهل الشام في العلم مع
شدة عبادته وكثرة خشيته وخوفه من الله تعالى روي في المنام
فقال ما رايت هنالك اعظم من درجة العلما ثم درجة المحزونين يعني اهل
الخوف من الله والخشية والحزن وقد دل هذا الحديث على تفضيل
العلم

العلم على العبادة تفضيلا بينا والادلة الدالة على ذالك كثيرة قال
الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات يعني على الذين آمنوا ولم
يؤتوا العلم كذا قال ابن مسعود وغيره من السلف وخرج الترمذي من
حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر له رجلان احدهما عابد
والآخر عالم فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم و
قال صحيح حسن غريب وخرج ايضا هو وابن ماجة من حديث بن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد و
خرج ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم فدخل المسجد فاذا هو بحلقتين احدهما يقرؤون القرآن
ويدعون الله عز وجل والاخرى يتعلمون ويعلمون فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كل على خير هؤلاء يقرؤون القرآن ويدعون الله عز وجل فان شاء
اعطاهم وان شاء منعهم وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وانما بعثت معلما فجلس
معهم وخرجه ابن المبارك في كتاب الزهد وزاد فيه بعد قوله وانما بعثت
معلما هؤلاء افضل وخرج الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى
الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة وخرج البزار والحاكم و
غيرهما باسانيد متعددة مرفوعا فضل العلم احب الى الله من فضل العبادة
وخير دينكم الورع وفي مراسيل الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم
على العابد سبعين درجة ما بين كل درجتين مسيرة حضر جواد مئة عام
والآثار الموقوفة عن السلف في هذا كثيرة جدا فروي عن ابي هريرة
وابي ذر قالا باب يتعلمه الرجل احب الينا من الف ركعة تطوعا وخرجه بن ماجة
من حديث ابي ذر مرفوعا وروي عن ابي الدردا قال مذاكرة العلم ساعة خير من
قيام ليلة ويروى عن ابي هريرة مرفوعا احب الي من ان احيي ليلة اصليها حتى
اصبح وعنه قال لان اعلم بابا من العلم في امر ونهي احب الي من سبعين غزوة
في سبيل الله عز وجل وعن ابن عباس قال تذاكر العلم بعض ليلة احب الي من

احيائها وصح عن ابي موسى الاشعري انه قال لمجلس اجلسه من عبد الله
ابن مسعود اوثق في نفسي من عمل سنه وعن الحسن قال لان اتعلم بابا من
العلم فاعلمه مسلما احب الي من ان تكون لي الدنيا كلها اجعلها في سبيل الله
عز وجل وعنه قال ان كان الرجل ليصيب الباب من العلم فيعمل به فيكون
خيرا له من الدنيا وما فيها لو كانت له فيجعلها في الآخرة وعنه قال مداد
العلما ودم الشهدا يجري واحد وعنه ما من شيء مما خلق الله اعظم عند الله
في عظم الثواب من طلب العلم لا حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتق
ولو كان العلم صورة لكانت صورته احسن من صورة الشمس والقمر والنجوم
والسما والعرش قال الزهري تعلم سنة افضل من عبادة مئتي سنه و
الغني
الثوري وابو حنيفة ليس شيء بعد الفرائض افضل من طلب العلم
قال سفيان
قال الثوري لا نعلم شيئا من الاعمال افضل من طلب العلم والحديث لمن حسنت
فيه نيته قيل له واي شيء النية فيه قال يريد به الله والدار الآخرة
وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة وربما الكي بعض اصحابه
يكتب العلم ثم تركه وقام يصلي قال عجبا لك ما الذي قمت اليه بافضل من
الذي تركته وسئل الامام احمد ايما احب اليك ان اصلي بالليل تطوعا
او اجلس انسخ العلم قال اذا كنت تنسخ ما تعلم به امر دينك فهو احب الي
وقال احمد ايضا العلم لا يعدله شيء وقال المعافى بن عمران كتابة حديث
واحد احب الي من قيام ليلة ومما يدل على تفضيل العلم على جميع النوافل
ان العلم يجمع جميع فضائل الاعمال المتفرقة فان العلم افضل انواع الذكر
كما سبق تقريره وهو ايضا افضل انواع الجهاد ويروى من حديث عبد الله
ابن عمرو والنعمان بن بشير مرفوعا انه يوزن مداد العلما بدم الشهداء
عمر
فيرجح مداد العلما وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع وورد في
حديث آخر اذا جاء الموت طالب العلم فهو شهيد وقال معاذ بن جبل
تعلموا

تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح
والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة
وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة به يعرف الله ويعبد وبه
يمجد ويوحد يرفع الله بالعلم اقواما فيجعلهم قادة وائمة للناس
يقتدون بهم ويرجعون الى رأيهم في كلام اكثر من هذا وقد روي هذا مرفوعا
من حديث ابي هريرة ومما يدل على تفضيل العلم على العبادة قصة آدم
عليه السلام فان الله تعالى انما اظهر فضله على الملائكة بالعلم حيث علمه
اسما كل شيء واعترفت الملائكة بالعجز عن معرفة ذلك فلما انباهم آدم
بالاسما ظهر حينئذ فضله عليهم وقال عز وجل لهم الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون وذكر طائفة من
السلف ان الذي كتموه انهم قالوا في انفسهم لن يخلق الله خلقا اكرم
عليه منه ومما يدل على فضل العلم ان جبرئيل عليه السلام انما فضل
على الملائكة المشتغلين بالعبادة بالعلم الذي خص به فانه صاحب الوحي
الذي ينزل به على الانبياء عليهم السلام وكذلك خواص الرسل انما فضلوا
على غيرهم من الانبياء عليهم السلام بمزيد العلم المقتضي لزيادة المعرفة بالله
والخشية له ولهذا وصف الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ومدحه في كتابه
بالعلم الذي اختصه به وامتن به عليه في مواضع كثيرة وامره ان يعلمه لامته
فاول ما ذكره بالعلم وبتعليمه في قصة ابراهيم حين دعا ربه لاهل البيت
الحرام ان يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ثم امتن علينا بان بعث فينا رسولا منا وهو محمد صلى
الله عليه وسلم بهذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ
بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب و
الحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين واول ما انزل على محمد صلى الله عليه
وسلم ذكر العلم وفضله وهو قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وامتن على

[illegible]

محمد صلى الله عليه وسلم بالعلم في مواضع كقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وامره ان يساله ان
يزيده علما فقال وقل رب زدني علما وكان صلى الله عليه وسلم يقول انا اعلمكم
بالله واشدكم له خشية وامتن الله تعالى علينا ان بعث فينا هذا الرسول صلى
الله عليه وسلم الذي يعلمنا مالم نكن نعلم وامرنا بشكر هذه النعمة كما قال تعالى كما
ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما
لم تكونوا تعلمون فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون واخبرنا سبحانه انه انما خلق
السموات والارض ونزل الامر لنعلم بذلك قدرته وعلمه فيكون دليلا على معرفته و
معرفة صفاته كما قال تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل
الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
ومدح في كتابه العلما في مواضع كثيرة وقد سبق ذكر بعضها واخبرنا انه انما يخشاه
من عباده العلما وهم العلما به قال ابن عباس في قوله تعالى انما يخشى الله من
عباده العلما قال انما يخافني من عبادي من عرف جلالي وكبريائي وعظمتي فافضل
العلم العلم بالله وهو العلم باسمائه وصفاته وافعاله التي توجب لصاحبها معرفة
الله وخشيته ومحبته وهيبته واجلاله وعظمته والتبتل اليه والتوكل عليه
والرضا عنه والاشتغال به دون خلقه ويتبع ذلك العلم بملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر وتفاصيل ذلك والعلم باوامر الله ونواهيه وشرائعه
واحكامه وما يحبه من عباده من الاقوال والاعمال الظاهرة والباطنة وما يكرهه
من عباده من الاقوال الظاهرة والباطنة ومن جمع هذه العلوم فهو من العلما
الربانيين العلما بالله العلما بامر الله وهم اكمل ممن قصر علمه على العلم بالله دون
العلم بامره وبالعكس وشاهد هذا النظر في حال الحسن وابن المسيب والثوري
واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين وحال مالك بن دينار والفضيل بن عياض و
معروف وبشر وغيرهم من العارفين فمن قايس بين الحالين عرف فضل
العلما بالله وبامره على العلما بالله فقط فما الظن بتفضيل العلما بالله وبامره على
العلما بامره فقط فان هذا واضح لا خفاء به وانما يظن بعض من لا علم له تفضيل
العباد على العلما لانهم تخيلوا ان العلما هم العلما بامر الله فقط وان العباد هم
العلما بالله وحده فرجحوا العالم بالله على العالم بامره وهذا حق ونحن
انما نقول ان العلما بالله والعلما بامره افضل من العباد ولو كان العباد من العلما
بالله

بالله لان الربانيين شاركوا العباد في فضيلة العلم بالله بل ربما زادوا عليهم
فيه وانفردوا بفضيلة العلم بامر الله وبفضيلة دعوة الخلق الى الله وهدايتهم اليه
وهو مقام الرسل عليهم السلام وكذلك كانوا خلفاء الرسل وورثتهم كما سياتي
ذكره ان شاء الله تعالى وهذا القدر الذي انفردوا به عن العباد افضل
من القدر الذي انفرد به العباد من نوافل العبادات فان زيادة المعرفة بما انزل الله
على رسوله توجب زيادة المعرفة بالله والايمان به وجنس المعرفة بالله والايمان به
افضل من جنس العمل بالجوارح والاركان ولكن من لا علم له تعظم في نفسه العبادات
على العلم لانه لا يتصور حقيقة العلم والشرف ولا قدرة له على ذلك وهو يتصور حقيقة
العبادات وله قدرة على جنسها في الجمله ولهذا تجد كثيرا مما لا علم لديه يفضل
الزهد في الدنيا على العلوم والمعارف وسببه ما ذكرناه وهو انه لا يتصور معنى
العلم والمعرفة ومن لا يتصور شيا لا يقر في صدره عظمته وانما يتصور الجاهل بالعلم
حقيقة الدنيا وقد عظمت في صدره فعظم عنده من تركها كما قال محمد بن واسع
وقد راى شبانا فقيل له هولاء زهاد فقال واي شيء قدر الدنيا حتى يمدح من زهد
فيها وقال ابو سليمان الداراني قريبا من هذا المعنى ايضا فالمفتخر بالزهد
في الدنيا كانه يفتخر بترك نزر يسير من شيء هو اقل عند الله من جناح بعوضه
وهذا احقر من ان يذكر فضلا عن ان يفتخر به ولهذا ايضا يعظم في نفوس كثير
من الناس ذكر الخوارق والكرامات ويرونها افضل مما اعطيه العلما من المعرفة
والعلم وانما يتصورون حقيقة الخوارق لانها من جنس القدرة والسلطان في
الدنيا الذي يعجز اكثر الناس عنه واما العلماء بالله فلا تعظم هذه الخوارق
عندهم بل يرون الزهد فيها وانها من نوع الفتنة والمحنة كبسط الدنيا على
العبد فيخافون من الاشتغال بها والعوق فمعها الانقطاع عن الله عز وجل
وقد ذكر ابو طالب المكي هذا المعنى في كتابه عن كثير من العارفين منهم ابو
يزيد ويحيى بن معاذ وسهل وذو النون والجنيد وغيرهم وقيل لبعضهم ان
فلانا يمشي على الما فقال من امكنه الله من مخالفة هواه فهو افضل وكان
ابو حفص النيسابوري يوما جالسا مع اصحابه خارج المدينة وهو يتكلم
عليهم فطابت انفسهم فجاء ايل قد نزل من الجبل حتى برك بين يديه فبكى بكاء
شديدا وانزعج فسئل عن سبب بكائه فقال رايت اجتماعكم حولي وقد طابت
قلوبكم فوقع في قلبي لو ان لي شاة ذبحتها ودعوتكم فما تحكم هذا الخاطر حتى

جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فتخيل لي اني مثل فرعون الذي سال ربه ان
يجري له النيل فاجراه له قلت فما بقي منني ان يكون الله يعطيني كل حظ في الدنيا
وابقى في الآخرة فقيرا لا شيء لي فهذا الذي ازعجني فاحوال العارفين كلها
تدل على انهم لم يكونوا يلتفتون الى هذه الخوارق وانما كان اهتمامهم بمعرفة
الله وخشيته ومحبته والانس به والشوق الى لقائه وطاعته والعلما الربانيون
يشاركونهم في ذلك ويزيدون عليهم بالعلم بامر الله وبدعوة الخلق الى الله وهذا
هو الفضل العظيم عند الله وملائكته ورسله كما قال بعض السلف من علم وعمل
وعلم فذلك يدعى عظيما في ملكوت السماء واذا ظهر فضل العالم على العابد فانما
المراد تفضيله على العابد بعلم فاما العابد بغير علم فانه مذموم ولهذا شبهه
السلف بالسائر على غير طريق وبانه يفسد اكثر مما يصلح وبانه كالحمار في
الطاحون يدور وحتى يهلك من التعب ولا يبرح من مكانه وهذا اشد ظهورا
ووضوحا من ان يحتاج الى بسط القول فيه ولنضرب ههنا مثلا جامعا
لاحوال الخلق كلهم بالنسبة الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانقسامهم
في اجابة دعوته الى سابق ومقتصد وظالم لنفسه وبه يظهر فضل العلما الربانيين
على غيرهم من الناس اجمعين فنقول مثل ذلك كمثل رسول قدم من بلد الملك
الاعظم فادى رسالة الملك الى سائر البلدان وظهر لهم صدقه في رسالته فكان
مضمون رسالته التي اداها من عند الملك الاعظم الى رعيته ان هذا الملك لا
احسان اتم من احسانه ولا عدل اكمل من عدله ولا بطش اشد من بطشه وانه
ابدا يستدعي الرعية كلهم اليه ليقيموا عنده فمن قدم عليه باحسان
جزاه باحسانه افضل الجزا ومن قدم عليه باساءة جزاه باساءة اشد الجزا
وانه يحب كذا وكذا ويكره كذا وكذا ولم يدع شيئا مما تعمله الرعية الا اخبرهم
بما يحبه الملك منه وبما يكرهه وامرهم بالتجهز والسير الى دار الملك التي فيها
الاقامة واخبرهم بخراب جميع البلدان سوى ذلك البلد وان من لم يتجهز
للسير بعث اليه الملك من يزعجه عن وطنه وينقله منه على اسوء حال و
جعل يصف صفات هذا الملك الحسنى من الجمال والكمال والجلال والافضال
فانقسم الناس في اجابة هذا الرسول الداعي الى الملك اقساما عديدة فمنهم
من صدقه ولم يكن له هم الا السؤال عما يحب هذا الملك من الرعية واستصحابه الى
بتحصيله داره عند السير اليه فاشتغل بتخليصه لنفسه وبدعا ما يمكنه دعاؤه من
الخلق

مثل عجيب

الخلق الى ذلك وعما يكرهه هذا الملك فاجتنبه وامر الناس باجتنابه وجعل
همه الاعظم السؤال عن صفات الملك وعظمته وافضاله فزاد بذلك محبته
لهذا الملك واجلاله والشوق الى لقائه فارتحل الى الملك مستصحبا لانفس ما
قدر عليه مما يحبه الملك ويرتضيه واستصحب معه ركبا عظيما على مثل
حاله سار بهم الى دار الملك وقد عرف من جهة ذلك الدليل الذي هو الرسول الصادق
اقرب الطرق التي يتوصل بالسير فيها الى الملك وما ينفع من التزود للمسير فيها
وعمل بمقتضى ذلك في السير هو ومن اتبعه فهذه صفة العلما الربانيين الذين
اهتدوا وهدوا الخلق معهم الى طريق الله وهؤلاء يقدمون على الملك قدوم
الغائب على اهله المنتظرين لقدومه المشتاقين اليه اشد الشوق وقسم
آخرون اشتغلوا بالتاهب لمسيرهم بانفسهم الى الملك ولم يتفرغوا لاستصحاب
غيرهم معهم وهذه صفة العباد الذين تعلموا ما ينفعهم في خاصة انفسهم و
اشتغلوا بالعمل بمقتضاه وقسم آخرون تشبهوا باحد القسمين واظهروا
للناس انهم منهم وان قصدهم التزود للرحيل وانما كان قصدهم استيطان دارهم
الفانية وهم العلما والعباد المراؤن باعمالهم لينالوا بذلك مصالح دارهم
التي هم بها مستوطنون وحال هؤلاء عند الملك الاعظم اذا قدموا عليه اشر
حال ويقال لهم اطلبوا جزاء اعمالكم ممن عملتم لهم فليس لكم عندنا من خلاق
وهم اول من تسعر بهم النار من اهل التوحيد وقسم آخرون فهموا ما دل
الرسول من رسالة الملك لكنهم غلب عليهم الكسل والتقاعد عن التزود للسفر
واستصحاب ما يحب الملك واجتناب ما يكرهه وهؤلاء العلما الذين لا يعملون
بعلمهم وهم على شفى هلكة وربما انتفع غيرهم بمعرفتهم ووصفهم لطريق السير
فسار المتعلمون فنجوا وانقطع بمن تعلموا منه الطريق فهلكوا وقسم آخرون
صدقوا الرسول فيما دعا اليه من دعوة الملك لكنهم لم يتعلموا منه طريق السير
ولا معرفة تفاصيل ما يحبه الملك وما يكرهه فساروا بانفسهم ورموا نفوسهم
في طرق شاقة ومخاوف وقفار وعرة فهلك اكثرهم وانقطعوا في الطريق ولم
يصلوا الى دار الملك وهؤلاء الذين يعملون بغير علم وقسم لم يهتموا بهذه
الرسالة ولا رفعوا بها راسا واشتغلوا بمصالح اقامتهم في اوطانهم التي اخبر
الرسول بخرابها وهؤلاء منهم من كذب الرسول بالكلية ومنهم من صدقه

بالقول ولكنه لم يشتغل بمعرفة ما دل عليه ولا بالعمل به وهؤلاء عموم
الخلق المعرضون عن العلم والعمل ومنهم الكفار والمنافقون ومنهم العصاة الظالمون
لانفسهم فلم يشعروا الا وقد طرقهم داعي الملك فاخرجهم عن اوطانهم واستدعاهم
الى الملك فقدموا عليه قدوم الآبق على سيده الغضبان فاذا تاملت اقسام
الناس المذكورة لم تجد اشرف ولا اقرب عند الملك من العلماء الربانيين فهم افضل
الخلق بعد المرسلين قوله صلى الله عليه وسلم وان العلماء ورثة الانبياء يعني
انهم ورثوا ما جاءت به الانبياء من العلم فخلفوا الانبياء في اممهم بالدعوة الى الله
والى طاعته والنهي عن معاصي الله والذب عن دين الله وفي مراسيل الحسن عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال رحمة الله على خلفائي قالوا يا رسول الله ومن خلفاؤك
قال الذين يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله وروي نحوه من حديث
علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرفوعا ايضا فالعلماء في مقام الرسل بين الله
وبين خلقه كما قال ابن المنكدر ان العالم بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل
عليهم وقال ابن عيينة اعظم الناس منزلة من كان بين الله وبين خلقه
الانبياء والعلماء وقال سهل التستري من اراد ان ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر
الى مجالس العلماء يجيء الرجل فيقول يا فلان ايش تقول في رجل حلف على امرأته بكذا
وكذا فيقول طلقت امرأته ويجيء آخر فيقول ما تقول في رجل حلف على امرأته
بكذا وكذا فيقول ليس يحنث بهذا القول وليس هذا الا لنبي او لعالم فاعرفوا لهم
ذلك ورأت امرأة من العابدات في زمن الحسن البصري في منامها كأنها تفتي
في المستحاضة فقيل لها تستفتين وفيكم الحسن وفي يده خاتم جبرئيل عليه السلام
وفي هذا اشارة الى وراثة الحسن ما جاء به جبرئيل من الوحي بخاتمه. ورأى
بعض العلماء النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله قد اختلف
علينا في مالك والليث ايهما اعلم فقال صلى الله عليه وسلم مالك ورث جدي
يعني ورث علمي ورأى بعضهم في المنام النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا في المسجد
والناس حوله ومالك قائم بين يديه وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسك وهو ياخذ منه قبضة فيدفعها الى مالك ومالك ينشرها على الناس فاول الناس ينثرها
ذلك لمالك بالعلم واتباع السنة ورأى الفضيل بن عياض في منامه النبي صلى الله
عليه وسلم جالسا والى جنبه فرجة فجاء ليجلس فيها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا
مجلس

مجلس ابي اسحاق الفزاري فسئل بعضهم ايهما كان افضل ابو اسحاق او فضيل
فقال كان فضيل رجل نفسه وكان ابو اسحاق رجل عامة يشير الى انه كان
عالما ينتفع الناس بعلمه وكان فضيل عابدا نفعه لنفسه والعلماء في الآخرة
يتلون الانبياء في الشفاعة وغيرها كما في الترمذي عن عثمان عن النبي صلى الله عليه
وسلم يشفع يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقال مالك بن دينار بلغنا
انه يقال للعابد ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع وقد روي هذا مرفوعا من
حديث ابي هريرة باسناد ضعيف جدا وللعلماء الكلام في الموقف اذا اشتبهت
الامور على الناس فاذا ظن اهل الموقف انهم لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة بين
اهل العلم ان الامر على خلاف ذلك كما قال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون
ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم
في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون والعلماء يخبرون
يوم القيمة بخزي الله للمشركين كما قال تعالى ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائي الذين
كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين و
قد روي في حديث مرفوع ان الناس يحتاجون اليهم في الجنة الى العلماء كما كانوا
يحتاجون اليهم في الدنيا اذا استدعى الرب اهل الجنة لزيارته وقال لهم سلوني
ما شئتم فيلتفتون الى العلماء منهم فيقولون سلوه رؤيته فما في الجنة اعظم
منها وهذا كله يبين ان لا درجة بعد النبوة افضل من درجة العلماء وقد
يطلق اسم العلماء ويراد ادخال الانبياء فيهم كما في قوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فلم يفرد الانبياء بالذكر بل ادخلهم
في مسمى العلماء وكفى بهذا شرفا للعلماء انهم يسمون باسم يجتمعون هم والانبياء
فيه ومن هنا قال من قال ان العلماء العاملين هم اولياء الله كما قال ابو حنيفة
والشافعي ان لم يكن العلماء والفقهاء اولياء الله فليس لله ولي وقال الامام
احمد في اهل الحديث انهم هم الابدال قوله صلى الله عليه وسلم ان الانبياء
لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر و
المراد بهذا ان العلماء ورثوا الانبياء فيما خلفوه وان الذي خلف الانبياء هو العلم النافع
فمن اخذ العلم وحصله فقد حصل له الحظ العظيم الوافر الذي يغبط به صاحبه
ورأى ابن مسعود قوما في المسجد يتعلمون فقال رجل على ما اجتمع هؤلاء فقال

على ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسمونه وخرج ابو هريرة الى السوق
فقال لاهله تركتم ميراث محمد يقتسم في المسجد وانتم ههنا فتركة النبي صلى
الله عليه وسلم وميراثه هو هذا الكتاب الذي جاء به مع السنة المفسرة له المبينة
لمعانيه وفي صحيح البخاري عن ابن عباس انه سئل اترك النبي صلى الله عليه وسلم من
شيء قال ما ترك الا ما بين الدفتين يعني دفتي المصحف وفي الصحيحين عن ابن ابي اوفى
انه سئل هل وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال وصى بكتاب الله وخطب
صلى الله عليه وسلم في مرجعه من حجة الوداع فقال انما انا بشر يوشك ان
ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل خرجه
مسلم وفي المسند عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما كالمودع فقال انا النبي الامي قال ذلك ثلاث مرات ولا نبي بعدي
اوتيت فواتح الكلم وجوامعه وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وعوفيت
وعوفيت امتي فاسمعوا واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب
الله احلوا حلاله وحرموا حرامه قوله صلى الله عليه وسلم ان الانبيا
لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم يريد انه لم يورث عنهم سوى العلم
وهذا يبين المراد بقوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى عن زكريا
انه قال هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب انما اريد به
ميراث العلم والنبوة لا المال فان الانبيا لا يجمعون مالا يتركونه بعدهم ما تركت
بعد مؤنة عاملي ونفقة عيالي فهو صدقة وما ترك صلى الله عليه وسلم الا
درعه وسلاحه وبغلته البيضا وارضا جعلها صدقة فلم يخلف سوى
الته الذي بعث به والارض التي كان يقتات منها هو وعياله ردها صدقة
على المسلمين وكل هذا اشارة الى ان الرسل لم تبعث بجمع الدنيا وتوريثها
لاهليهم وانما بعثوا بالدعوة الى الله والجهاد في سبيله والعلم النافع وتوريثه
لاممهم وفي مراسيل ابي مسلم الخولاني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحى الله
الي ان اجمع المال واكن من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين
واعبد ربك حتى ياتيك اليقين خرجه ابو نعيم وفي الترمذي وغيره عن ابن
مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب
استظل بظل شجرة ثم راح وتركها فقوله صلى الله عليه وسلم وان العلماء

ورثة الانبيا وان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم
فيه اشارة الى امرين احدهما ان العالم الذي هو وارث للرسول حقيقة
كما انه ورث علمه فينبغي ان يورث العلم كما ورث الرسول العلم وتوريث
العالم العلم هو ان يخلفه بعده بتعليم او بتصنيف ونحو ذلك مما ينتفع به
بعده وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد انقطع عمله
الا من ثلاث علم نافع او صدقة جارية او ولد صالح يدعو له فالعالم
اذا علم من يقوم به بعده فقد خلف علما نافعا وصدقة جارية لان تعليم
العلم صدقة كما سبق عن معاذ وغيره والذين علمهم بمنزلة اولاده الصالحين
يدعون له فيجتمع له بتخليف علمه هذه الثلاث خصال والامر الثاني ان
من كمال ميراث العالم للرسول عليه السلام ان لا يخلف الدنيا كما لم يخلفها الرسول
وهذا من جملة الاقتدا بالرسول وبسنته في زهده في الدنيا وتقلله منها و
اجتزائه منها باليسير كما كان سهل التستري يقول من علامة حب السنة حب
الآخرة وبغض الدنيا وان لا ياخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال مالك
ابن دينار انما العالم الذي اذا اتيته في بيته فلم تجده قص عليك بيته رايت
حصيرة للصلاة ومصحفه ومطهرته في جانب البيت ترى اثر الآخرة وكان
الفضيل يقول احذروا عالم الدنيا لا يصدكم بسكره ثم قال ان كثيرا من علمائكم
زيه اشبه بزي كسرى وقيصر منه بمحمد صلى الله عليه وسلم ان محمدا لم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر اليه وكان يقول العلما
كثير والحكما قليل وانما يراد من العلم الحكمة فمن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وهكذا كان حال العلما الربانيين كالحسن وسفيان واحمد اجتزوا من الدنيا باليسير
الى ان خرجوا منها ولم يخلفوا سوى العلم مع ان بعضهم كان يلبس لباسا حسنا
وياكل اكلا متوسطا بعيدا من التقشف كالحسن البصري فانه كان ياكل اللحم كل يوم
وكان يشتري بنصف درهم لحما فيطبخه مرقة طيبة فياكل منه هو وعياله ويطعم
كل من دخل عليه وكان يلبس الثياب الحسنة وهو مع هذا ازهد الناس في الدنيا
وما زاحم على شيء منها قط وكان الناس اذا دخلوا عليه خرجوا من عنده وهم
لا يعدون الدنيا شيأ وما راوا اشد احتقارا لاهل الدنيا منه وكانوا يدخلون عليه

صلى الله عليه وسلم

في مرضه يعودونه وليس في بيته قليل ولا كثير حتى قال ابن عون انما [illegible]
الحسن الناس بالزهد في الدنيا فاما العلم فقد شورك فيه وكان الحسن يقول
انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة المجتهد في العبادة القائم بسنة
محمد صلى الله عليه وسلم من رأى محمدا فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة
ولا قصبة على قصبة انما رفع له علم فشمر اليه وكان سفيان الثوري اشد
تقشفا في ملبسه من الحسن حتى كان من يراه ولا يعرفه يظنه من السؤال
وكان مع شدة ورعه اذا وجد الحلال اكل منه طيبا وان لم يجد حلالا استف
الرمل وربما بقي ثلاث لا يطعم شيا مع عرض الناس عليه الاموال الكثيره وكان
اذا شبع من الحلال يزيد في عمله ويقول اطعم الزنجي وكده وكان ازهد الناس
يتعزى في الدنيا في زمانه حتى كان يتعزى بمجلسه عن الدنيا ولم تكن السلاطين والملوك
الاغنيا اذل منهم في مجلسه ولا الفقرا والمساكين اعز منهم في مجلسه وكان الخوف
قد غلب عليه فلما مرض مرض الموت حمل ماؤه الى الطبيب فقال ليس لهذا دوا هذا
قد فتت الحزن والخوف كبده ويقال انه لم يكن في زمانه من هو اخوف لله منه
ولا من هيبة الله في صدره اعظم منه ولما مات قال بعض العلما معشر القرا
كلوا الدنيا بالدين فقد مات سفيان يعني ما بقي بعده احد يستحي منه
واما الامام احمد فكان اشد منهما تقشفا في عيشه واكثر صبرا على خشونة
العيش والقلة وكانت معيشته من حوانيت له ورثها من ابيه وياخذ اجرتها
في الشهر دون عشرين درهما ومات ولم يخلف الا قطعا في خرقة له كان وزنها
دون نصف درهم وترك عليه دينا فقضي عنه من اجرة حوانيته مع كثرة ما
كان يرد على الخلفا من الجوائز والصلاة وكان يحيى بن ابي كثير من العلما الربانيين
المتوسعين في العلم وكان يقال لم يبق على وجه الارض مثله وكان حسن الثياب
حسن الهيئة فلما مات خلف ثلاثين درهما كفنوه بها وكان محمد بن اسلم
الطوسي من العلماء الربانيين الزهاد فمات ولم يخلف سوى كسائه ولبده فبيع صنعوهما
على نعشه واناء للوضوء تصدقوا به فكان النساء على السطوح يقلن في جنازته
هذا العالم الذي خرج من الدنيا وهذا ميراثه الذي على جنازته ليس مثل
علمائنا هؤلاء عبيد بطونهم يجلس احدهم للعلم سنتين او ثلاث فيشتري
الضياع

الضياع ويستفيد المال وقال العباس بن مرثد سمعت اصحابنا يقولون صار
الى الاوزاعي اكثر من سبعين الف دينار من السلطان من بني العباس فلما امية
مات خلف سبعة دنانير بقيت من عطائه وما كان له ارض ولا دار قال العباس
نظرنا فاذا هو اخرجها في سبيل الله والفقرا وقد وصف الله سبحانه في
كتابه العلما باوصاف منها الخشية والخشوع والبكا كما سبق ذكره و
منها احتقار الدنيا والتزهيد فيها كما قال تعالى في قصة قارون فخرج
على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما
اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله
خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وقيل للامام احمد ان
ابن المبارك قيل له كيف يعرف العالم الصادق فقال الذي يزهد في الدنيا و
يقبل على امر آخرته فقال احمد نعم هكذا ينبغي ان يكون وكان الامام احمد
ينكر على اهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها واعلم انه انما اهلك اهل
العلم واوجب اساءة ظن الجهال بهم وتقديم جهال المتعبدين عليهم ما
دخل عليهم من الطمع في الدنيا وقد رأى علي بن ابي طالب رضي الله عنه رجلا
يقص فقال له لاسألنك عن مسئلة فان خرجت منها والا علوتك بهذه
الدرة فقال له سل يا امير المؤمنين فقال له ما ثبات الدين وزواله فقال
له ثبات الدين الورع وزواله الطمع فقال له قص فمثلك يقص فهذا
السؤال من علي رضي الله عنه لهذا القاص فيه اشارة الى ان من نشر علمه
للناس وتكلم عليهم ينبغي ان يكون ورعا عما في ايديهم غير طامع في شيء
من اموالهم ولا ارزاقهم ولا اجتلاب قلوبهم اليه وانما ينشر علمه لله
عز وجل ويتعفف عن الناس بالورع وفي سنن ابن ماجة عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال لو ان اهل العلم صانوا العلم ووضعوه عند اهله لسادوا
اهل زمانهم ولكنهم بذلوه لاهل الدنيا لينالوا به من دنياهم فهانوا عليهم
سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم آخرته
كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في احوال الدنيا لم يبال الله

في اي اوديتها هلك وقال ابو حازم الزاهد لقد اتت علينا برهة من
دهرنا وما عالم يطلب اميرا وكان الرجل اذا علم اكتفى بالعلم عن ما سواه فكان
الامراء تغشاهم في منازلهم وتقتبس منهم فكان في ذلك صلاح للفريقين
للوالي والمولى عليه فلما رأت الامرا ان العلما قد غشوهم وجالسوهم وسالوهم
ما في ايديهم هانوا عليهم وتركوا الاخذ عنهم والاقتباس منهم فكان في ذلك
هلاك الفريقين الوالي والمولى عليه ودخل اعرابي البصرة فقال من سيد هذه
القرية فقالوا الحسن قال فبما سادهم قال احتاج الناس الى علمه واستغنى
هو عن دنياهم وكان الحسن يقول ان لكل شيء شينا وشين العلم الطمع وقال
من ازداد علما فازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا ولم يزدد الله
له الا بغضا واجتاز الحسن يوما ببعض القراء على ابواب بعض السلاطين
فقال اقرحتم جباهكم وفرطحتم نعالكم وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم الى
ابوابهم فزهدوا فيكم اما انكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكون هم الذين يرسلون
اليكم لكان اعظم لكم في اعينهم تفرقوا فرق الله بين اضلاعكم وفي رواية
تفرقوا فرق الله بين ارواحكم واجسامكم فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم
شعوركم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيكم ففضحتم القراء فضحكم الله
اما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم
فزهدوا فيكم وفيما عندكم ابعد الله من ابعد وفي الجملة فمن لا يصون نفسه
لا ينتفع بعلمه ولا ينتفع غيره به قال الشافعي من قرأ القرآن عظمت قيمته
ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تفقه نبل قدره ومن تعلم العربية
رق طبعه ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه
وفي هذا المعنى يقول ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني رحمه الله

يقولون لي فيك انقباض وانما ∴ رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
اري الناس من داناهم هان عندهم ∴ ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما ∴ بدا طمع صيرته لي سلما

اذا

اذا قيل هذا منهل قلت قد ارى ∴ ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ∴ لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ءاشقى به غرسا واجنيه ذلة ∴ اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ∴ ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا ∴ محياه بالاطماع حتى تجهما

يعني عظموهم

الحرص على الدنيا والطمع فيها قبيح وهو من العلماء اقبح فان كان بعد نزول
الشيب فهو اقبح واقبح لبس بعض العلما من التابعين ثيابه وتهيا ليمضي
لبعض الملوك فاخذ المرآة فنظر فيها فنظر في لحيته طاقة شيب فقال
السلطان والشيب ثم نزع ثيابه وجلس وانشد شعرا

قد آن بعد ظلام الجهل ابصاري ∴ للشيب صبح ينادي باسفاري
ليل الشباب قصير فاسر متئدا ∴ ان الصباح قصارى المدلج الساري
كم ذا اغتراري بالدنيا وزخرفها ∴ ابني بناها على جرف لها هاري
دار مآثمها تبقى ولذتها تفنى ∴ الا قبحت هاتيك من داري
ليس السعيد الذي دنياه تسعده ∴ ان السعيد الذي ينجو من النار
اصبحت من سيأتي خائفا وجلا ∴ والله يعلم اعلاني واسراري
اذا تعاظمت ذنبا ثم آيسني ∴ رجوت عفو عظيم العفو غفار

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا تمت ويتلوه ان شاء الله
كتاب ذم المال والجاه للامام المذكور

كتاب ذم المال والجاه تاليف الشيخ الامام العالم
العلامة والحبر البحر الفهامة زين الدين ابي الفرج
عبد الرحمن بن احمد بن رجب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام شيخ الاسلام وبقية السلف الكرام زين

الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب البغدادي الحنبلي الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين خرج الامام احمد
والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الانصاري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذيبان جايعان ارسلا في غنم بافسد
لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه قال الترمذي حسن صحيح وروى ابن
ماجة من وجه آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث بن عمر وابن عباس
وابي هريرة واسامة بن زيد وجابر وابي سعيد الخدري وعاصم بن عدي الانصاري
رضي الله عنهم اجمعين وقد ذكرتها كلها مع الكلام عليها في شرح الترمذي ولفظ
حديث جابر ما ذيبان جايعان ضاريان ياتيا في غنم غاب رعاوها بافسد
لها من الحرص على الشرف والمال لدين المؤمن وفي حديث بن عباس حب المال و
الشرف بدل الحرص فهذا مثل عظيم جدا ضربه النبي صلى الله عليه وسلم
لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا وان فساد الدين بذلك ليس
بدون فساد الغنم بذيبين جايعين ضاريين باتا في غنم قد غاب عنها رعاوها
ليلا فهما ياكلان في الغنم ويفترسان فيها ومعلوم انه لا ينجو منها والحالة
هذه الا قليل فاخبر صلى الله عليه وسلم ان حرص المرء على المال والشرف لافساد
دينه ليس باقل من افساد الذيبين لهذه الغنم بل اما ان يكون مساويا لها واما
ان يكون اكثر يشير الى انه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا
الا القليل فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف
في الدنيا فاما الحرص على المال فهو نوعان احدهما شدة محبة المال مع شدة
طلبه من وجوهه المباحة والمبالغة في طلبه والجد في تحصيله واكتسابه
من وجوهه مع الجهد والمشقة وقد ورد ان سبب الحديث كان بعض
قوع افراده هذا كما اخرجه الطبراني من حديث عاصم بن عدي قال اشتريت
مئة سهم من سهام خيبر فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما ذيبان
جايعان ضاريان في غنم اضاعها ربها بافسد لها من طلب المسلم المال والشرف
لدينه ولو لم يكن في الحرص على المال الا تضييع العمر الشريف الذي لا قيمة له
وقد كان يمكن صاحبه الفوز بالدرجات العلى والنعيم المقيم فضيعه الحرص
في طلب

في طلب رزق مضمون مقسوم لا يأتيه منه الا ما قدر وقسم ثم لا ينتفع به
بل يتركه لغيره ويترحل عنه ويبقى حسابه عليه ونفعه لغيره فيجمع لمن لا
يحمده ويقدم على من لا يعذره لكفى بذلك ذما للحرص فالحريص يضيع
زمانه الشريف ويخاطر بنفسه التي لا قيمة لها في الاسفار وركوب الاخطار
لجمع مال ينتفع به غيره كما قيل

من ينفق الساعات في جمع ماله ∴ مخافة فقر فالذي فعل الفقر

قيل لبعض الحكما ان فلانا جمع مالا قال فهل جمع اياما ينفقه فيها قيل ما
جمع شيأ وفي بعض الآثار الاسرائيلية الرزق مقسوم والحريص محروم
ابن آدم اذا افنيت عمرك في طلب الدنيا فمتى تطلب الآخرة واذا كنت في الدنيا
عن الخير عاجز فما انت يوم القيمة صانع قال ابن مسعود رضي الله عنه
اليقين ان لا ترضي الناس بسخط الله ولا تحسد احدا على رزق الله ولا تلم
احدا على ما لم يؤتك الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة
كاره فان الله بقسطه وعلمه جعل الروح والفرج في اليقين والرضا وجعل
الهم والحزن في الشك والسخط وقال بعض السلف اذا كان القدر حقا فالحرص
باطل واذا كان الغدر في الناس طبعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت لكل
احد راصدا فالطمانينة الى الدنيا حمق كان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله
لحرص المرء على الدنيا اخوف عليه عندي من اعدا اعدائه وكان يقول يا اخوتاه
لا تغبطوا حريصا على ثروة ولا سعة في مكسب ولا مال وانظروا اليه بعين المقت
له في اشتغاله اليوم بما يرديه غدا في المعاد ثم يبكي ويقول الحرص حرصان
فحرص فاجع وحرص نافع فاما النافع فحرص المرء على طاعة الله واما الفاجع
فحرص المرء على الدنيا مشغول معذب لا يانس ولا يلتذ بجمعه لشغله ولا يفرغ
من محبة الدنيا لآخرته كذلك او غفلة عما يدوم ويبقى وانشد بعضهم
في هذا المعنى فقال

لا تغبطن اخا حرص على سعة ∴ وانظر اليه بعين الماقت القالي
ان الحريص لمشغول بشقوته ∴ عن السرور بما يحوي من المال

وقال آخر

يا جامعا مانعا والدهر يرمقه ⁂ مفكرا اي باب منه يغلقه
جمعت مالا ففكر هل جمعت له ⁂ يا جامع المال اياما تفرقه
المال عندك مخزون لوارثه ⁂ ما المال مالك الا يوم تنفقه
ان القناعة من يحلل بساحتها ⁂ لم يلق في ظلها هما يؤرقه

كتب بعض الحكما الى اخ له كان حريصا على الدنيا اما بعد فانك اصبحت حريصا على الدنيا تخدمها وهي تزعجك عن نفسها بالاعراض والامراض والآفات والعلل كانك لم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وقال بعض الحكما اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وعاتب اعرابي اخاه على الحرص فقال له يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت من قد كفيته يا اخي الم تر حريصا محروما وزاهدا مرزوقا وانشد بعضهم في ذم الحرص على الدنيا

الحرص داء قد اضر بمن ترى الا قليلا ⁂ كم من عزيز قد صيره الحرص ذليلا

وقال آخر

كم الى انت للحرص والاماني عبد ⁂ ليس يجدي الحرص والسعي اذا لم يكن جد
ليس لما قدر الله من الامر بد

ومن كلام المأمون الحرص مفسدة الدين والمروة وانشد شعرا

حرص الحريص جنون ⁂ والصبر حصن حصين
ان قدر الله شيئا ⁂ لابد من ان يكون

غيره

حتى متى انا في حل وترحالي ⁂ وطول سعي وادبار واقبال
ونازح الدار لا ينفك مغتربا ⁂ عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا ثم مغتربا ⁂ لا يخطر الموت من حرصي على بالي
ولو قنعت اتاني الرزق في دعة ⁂ ان القنوع الغنى لا كثرة المال

غيره

أيها المتعب جهدا نفسه ⁂ يطلب الدنيا حريصا جاهدا

لا لك الدنيا ولا انت لها ⁂ فاجعل الهمين هما واحدا

النوع الثاني من الحرص على المال ان يزيد على ما سبق ذكره في النوع الاول حتى يطلبه من الوجوه المحرمه ويمنع حقوقه الواجبة فهذا من الشح المذموم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وفي سنن ابي داود عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم قالت طائفة من العلما الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ان ياخذ الاشيا من غير حلها ويمنعها من حقوقها وحقيقته شره النفس الى ما حرم الله ومنع منه وان لا يقنع الانسان بما احل الله له من مال او فرج او غيرهما فان الله تعالى احل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح وحرم علينا تناول هذه الاشياء من غير وجهها وحرم علينا اخذ الاموال وسفك الدما بغير حلها واباح لنا دماء الكفار المحاربين واموالهم فمن اقتصر على ما ابيح له فهو مؤمن ومن تعدى الى ما منع منه فهو الشح المذموم وهو ناف للايمان (لعله او مناف) ولهذا اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الشح يامر بالقطيعة والفجور وبالبخل والبخل هو امساك الانسان ما في يده والشح تناول الانسان ما ليس له ظلما وعدوانا من مال وغيره حتى قيل ان المعاصي كلها من الشح وبهذا فسر ابن مسعود وغيره من السلف الشح والبخل ومنها يعلم معنى حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجتمع الشح والايمان في مؤمن والحديث الآخر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الايمان الصبر والسماحه وفسر الصبر بالصبر عن المحارم والسماحه باداء الواجبات وقد يستعمل الشح بمعنى البخل وبالعكس لكن الاصل هو التفريق بينهما على ما ذكرناه ومتى وصل الحريص على المال الى هذه الدرجة نقص بذلك الدين والايمان

نقصا بينا فان منع الواجبات وتناول المحرمات ينقص بها الدين والايمان
بلا ريب حتى لا يبقى منه الا قليل جدا واما حرص المرء على الشرف فهذا اشد
هلاكا من الحرص على المال فان طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس
والعلو في الارض اضر على العبد من طلب المال وضرره اعظم والزهد فيه اصعب
فان المال يبذل في طلب الرياسة والشرف والحرص على الشرف على قسمين احدهما
طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال وهذا خطر جدا وهو الغالب يمنع خير
الاخرة وشرفها وكرامتها وعزها قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقل من حرص على
رياسة الدنيا بطلب الولايات فوفق بل يوكل الى نفسه كما قال صلى الله عليه و
سلم لعبد الرحمن بن سمرة لا تسئل الامارة فانك ان اعطيتها من مسئلة وكلت
اليها وان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها قال بعض السلف ما حرص
احد على ولاية فعدل فيها وكان يزيد بن عبد الله بن وهب من قضاة العدل
والصالحين وكان يقول من احب المال والشرف وخاف الدوائر لم يعدل
فيها وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيمة فنعم
المرضعة وبئست الفاطمة وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
ان رجلين قالا للنبي صلى الله عليه وسلم امرنا يا رسول الله قال انا لا نولي امرنا
هذا من سئله ولا من حرص عليه واعلم ان الحرص على الشرف بطلب الولايات
يستلزم ضررا عظيما قبل وقوعه في السعي في اسبابه وبعد وقوعه بالخطر العظيم
الذي يقع فيه صاحب الولايات من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد
وقد صنف ابو بكر الآجري وكان من العلماء العاملين في اوائل المئة الرابعة
مصنفا في اختلاف العلماء وادابهم وهو من اجل ما صنف في ذلك ومن تامله
عرف منه طريقة السلف من العلماء والطرائق التي حدثت بعدهم المخالفة
لطرائقهم فوصف فيه عالم السوء باوصاف طويلة منها انه قال فتنته حب
الثنا والشرف والمنزلة عند اهل الدنيا يتجمل بالعلم كما يتجمل بالحلة الحسناء
للدنيا

للدنيا ولا يجمل علمه بالعمل به وذكر كلاما طويلا الى ان قال فهذه الاخلاق وما
شابهها تغلب على قلب من لم ينتفع بعلمه فبينا هو مقارب لهذه الاخلاق
اذ زهقت نفسه في حب الشرف والمنزلة فاحب مجالس الملوك وابناء الدنيا فاحب
ان يشاركهم بما هم فيه من رخا عيشهم من منزل بهي ومركب هني وخادم سري
ولباس لين وفراش ناعم وطعام شهي واحب ان يغشى بابه ويسمع قوله و
يطاع امره فلم يقدر عليه الا من جهة القضا فطلبه فلم يمكنه الا ببذل دينه
فتذلل للملوك واتباعهم فخدمهم بنفسه واكرمهم بماله وسكت عن قبيح ما
ظهر من فعلهم ثم زين لهم كثيرا من قبيح افعالهم بتاوله الخطا ليحسن موقعه
عندهم فلما فعل ذلك مدة طويلة واستحكم فيه الفساد ولوه القضا فذبح
بغير سكين وصارت لهم عليه منة عظيمة ووجب عليه شكرهم فالزم نفسه
لئلا يغضبهم عليه فيعزلوه عن القضا ولم يلتفت الى غضب مولاه فاقتطع
اموال اليتامى والارامل والفقرا والمساكين واموال الوقف والمجاهدين و
اهل الشرف بالحرمين واموال يعود نفعها على جميع المسلمين فارضى بها الكاتب
والحاجب والخادم فاكل الحرام واطعم حراما وكثر الداعي عليه فالويل لمن اورثه
علمه هذه الاخلاق فهذا العلم الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم و
امر ان يستعاذ منه وهذا العلم الذي قال فيه عليه افضل الصلاة والسلام
ان اشد الناس عذابا من لم ينفعه الله بعلمه وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ويقول اللهم اني اسئلك علما نافعا واعوذ
بك من علم لا ينفع هذا كله كلام ابي بكر الآجري رضي الله عنه وكان في اوائل
المئة الرابعة ولم يزل الفساد متزايدا على ما ذكرنا اضعافا مضاعفة ولا حول
ولا قوة الا بالله ومن دقيق آفات حب الشرف بطلب الولايات والحرص عليها
وهو باب غامض جدا لا يعرفه الا العلما بالله تعالى العارفون به
المحبون له الذين يعادون له ويحبون فيه مع حقارتهم عند الناس وهم خواص
عباده الذين يعادون له من جهالة خلقه المزاحمون لربوبيته والهيته مع
حقارتهم وسقط منزلتهم عند الله وعند خواص عباده العارفين به كما قال الحسن

رضي الله عنه فيهم وان طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فان ذل
المعصية في قلوبهم ابى الله الا ان يذل من عصاه ان احب الشرف بالحرص قف
على نفوذ الامر والنهي وتدبير امر الخلق اذا كان ذالك القصد مجرد علو المنزلة
على الخلق والتعاظم عليهم واظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس اليه و
افتقارهم وذلتهم له في طلب حوائجهم منه فهذا نفسه مزاحمة لربوبية
الله تعالى والوهيته وربما تسبب بعض هولاء الى ايقاع الناس في امر
يحتاجون فيه اليه ليضطرهم بذالك الى رفع حاجاتهم اليه وظهور افتقارهم
واحتياجهم اليه ويتعاظم بذالك ويتكبر به وهذا لا يصلح الا الله وحده لا
شريك له كما قال تعالى ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء و
الضراء لعلهم يتضرعون وقال تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون وفي بعض الآثار ان الله تعالى ليبتلي عبده
بالبلا ليسمع تضرعه وفي الآثار ايضا ان العبد اذا دعى الله تعالى وهو يحبه
قال الله تعالى يا جبرئيل لا تعجل بقضاء حاجته فاني احب ان اسمع تضرعه
فهذه الامور اصعب واخطر من مجرد الظلم وادهى من الشرك والشرك اعظم
الظلم عند الله وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما عذبته بناري كان بعض المتقدمين
قاضيا فرأى في منامه كان قائلا يقول انت قاضي والله قاضي فاستيقظ
منزعجا وخرج عن القضا وتركه وكان طائفة من القضاة الورعين يمنعون
الناس ان يدعونهم بقاضي القضاة فان هذا الاسم يشبه ملك الملوك
الذي ذم النبي صلى الله عليه وسلم التسمي به وقال لا ملك الا الله وحاكم الحكام
مثله او اشد ومن هذا الباب ان يحب ذو الشرف والولاية ان يحمد على
افعاله ويثنى عليه بها ويطلب من الناس ذالك ويتسبب في اذى من لا
يجيبه اليه وربما كان ذالك الفعل الى الذم اقرب منه الى المدح وربما
اظهر امرا حسنا في الظاهر واحب المدح عليه وقصد به في الباطن شرا
وقصد تمويه ذالك وترويجه على الخلق وهذا يدخل في قوله تعالى لا
تحسبن

تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم فان هذه الآية انما نزلت فيمن هذه
صفته وهذه القصة اعني طلب المدح من الخلق ومحبته والعقوبة على
تركه لا تصلح الا الله وحده لا شريك له ومن هنا كان ائمة الهدى ينهون عن
حمدهم على عدلهم وما يصدر منهم من الاحسان الى الخلق ويامرون باضافة الحمد
على ذالك الى الله وحده لا شريك له فان النعم كلها منه وكان عمر بن عبد العزيز
شديد العناية بذالك وكتب مرة الى اهل المواسم كتابا يقري عليهم وفيه الامر
بالاحسان اليهم وازالة مظالم كانت عليهم وفي الكتاب ولا تحمدوا على ذالك
كله الا الله فانه لو وكلني الى نفسي كنت كغيري وحكايته مع المرأة التي طلبت
منه ان يفرض لبناتها اليتامى مشهورة فانها كانت لها اربع بنات ففرض
لاثنتين منهن وهي تحمد الله ثم فرض للثالثة فشكرته فقال انما كنا نفرض
لهن حيث كنت تولين الحمد اهله فمري هولاء الثلاث يواسين الرابعة او كما
قال رضي الله عنه ان تعرف ذا الولاية انما هو منتصب لتنفيذ امر الله تعالى و
امر عباده بطاعة الله تعالى وهو مع ذالك خائف من التقصير في حقوق الله
ايضا فان المحبين لله غاية مقصودهم من الخلق ان يحبوا الله ويطيعوه و
يعرفوه بالعبودية والالوهية فكيف يزاحمونه بشيء من ذالك فهو رضي الله عنه
لا يريد من الخلق جزاء ولا شكورا وانما يرجو ثواب عمله من الله كما قال تعالى
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون
وقال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى المسيح ابن مريم فانما انا
عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم ينكر على من لا يتادب معه
في الخطاب بهذا الادب كما قال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل قولوا ما شاء
الله ثم شاء محمد وقال لمن قال ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله
وحده فمن هنا كان خلفاء الرسل واتباعهم من امراء العدل وقضاتهم لا يدعون
الى تعظيم نفوسهم البته بل الى تعظيم الله وحده وافراده بالعبودية والالهية

ومنهم من كان لا يريد الولاية الا للاستغانة بها على الدعوة الى الله وحده
وكان بعض الصالحين يتولا القضى ويقول انما اتقلاه لاستعين به على الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ولهذا كانت الرسل واتباعهم يصبرون على الاذى
في الدعوة الى الله ويتحملون في تنفيذ اوامر الله تعالى من الخلق غاية المشقة
وهم صابرون بل راضون بذالك فان المحب ربما يتلذذ بما يصيبه من الاذى
في رضى محبوبه كما قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما لابيه في
خلافته اذا حرص على تنفيذ الحق واقامة العدل يا ابتي لوددت انه لو غليت
بي وبك القدور في الله عز وجل وقال بعض الصالحين وددت ان جسمي
قرض بالمقاريض وان هذا الخلق كلهم اطاعوا الله فعرض قوله على بعض
المتقدمين فقال ان كان هذا اراد بذالك النصيحة للخلق والا فلا ادري ثم
غشي عليه ومعنى هذا ان صاحب هذا القول قد يكون لحظ نصح الخلق و
الشفقة عليهم من عذاب الله فاحب ان يفديهم من عذاب الله باذى نفسه
وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحق من الاجلال والاكرام والطاعة
والمحبة فاحب ان الخلق قاموا بذالك وان حصل له بنفسه غاية الضرر
وهذا هو مشهد خواص المحبين العارفين وبملاحظته غشي على هذا الرجل
العارف رضي الله عنه وقد وصف الله سبحانه في كتابه المحبين له بقوله
يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم وفي ذالك قيل

احد الملامة في هواك لذيذة ۞ حبا لذكرك فليلمني اللوم

القسم الثاني طلب الشرف والعلو على الناس بالامور الدينية كالعلم
والعمل والزهد فهذا افحش من الاول واقبح واشد فسادا وخطرا
فان العلم والعمل والزهد انما يطلب بها ما عند الله والقرب منه والزلفى
لديه من الدرجات العلى والنعيم المقيم قال سفيان الثوري انما فضل
العلم لانه يتقى به الله تعالى والا كان كغيره من الاشياء فاذا طلب بشيء
من هذا عرض الدنيا الفاني فهو ايضا نوعان احدهما ان يطلب به المال
فهذا من انواع الحرص على المال وطلبه بالاسباب المحرمه وفي هذا الحديث
عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه
الا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها
خرجه الامام احمد وابو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وسبب هذا
والله اعلم ان في الدنيا جنة معجلة وهي معرفة الله تعالى ومحبته
والانس به والشوق اليه وخشيته وطاعته والعلم النافع يدل على
ذالك فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دله على
جنة الاخرة ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الاخرة و
لهذا كان اشد الناس عذابا في الاخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه وهو
اشد الناس حسرة يوم القيمة حيث كان العلم آلة يتوصل بها الى اعلى
الدرجات وارفع المقامات فلم يستعملها الا في التوصل بها الى اخس
الامور وادناها قيمة واحقرها فهو كمن كانت معه جواهر نفيسة
لها قيمة فباعها ببعر او شيء مستقذر لا ينتفع به فهذا حال من يطلب
الدنيا بعلمه واقبح من ذالك من يطلبها باظهار الزهد فيها فان ذالك
خداع قبيح جدا وكان ابو سليمان الداراني يعيب على من لبس عبات وفي
قلبه شهوة من شهوات الدنيا تساوي اكثر من قيمة العباة يشير الى
ان اظهار الزهد في الدنيا باللباس الدني انما يصلح لمن فرغ قلبه من التعلق
بها بحيث لا يتعلق قلبه باكثر من قيمة ما لبسه في الظاهر حتى يستوي
ظاهره وباطنه في الفراغ من الدنيا وما احسن قول بعض العارفين
وقد سئل عن الصوفي فقال الصوفي من لبس الصوف على الصفى وسلك طريقة
المصطفى وذاق الهوى بعد الجفى وكانت الدنيا منه خلف القفى النوع الثاني
من يطلب بالعلم والعمل والزهد الرياسة على الخلق والتعاظم عليهم وان ينقاد
الخلق له ويخضعون له ويصرفون اليه وجوههم ويظهر للناس زيادة
علمه على العلما وليعلو به عليهم ونحو ذالك فهذا موعده النار لان قصد
التكبر على الخلق في نفسه محرم فاذا استعمل فيه آلة الاخرة كان اقبح وافحش

من ان يستعمل فيه آلات الدنيا من المال والسلطان وفي السنن عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليماري به السفهاء او يجاري به
العلما او ليصرف وجوه الناس اليه ادخله الله النار خرجه الترمذي من حديث
كعب بن مالك وخرج ابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث جابر بن
عبد الله لا تعلموا العلم لتباهوا به العلما ولا لتماروا به السفهاء ولا لتخيروا
به المجالس فمن فعل ذالك فالنار النار وخرج ابن عدي من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وزاد فيه ولكن تعلموه لوجه الله والدار
الآخرة وعن ابن مسعود قال لا تعلموا العلم لثلاث لتماروا به السفهاء
او لتجادلوا به العلماء او لتصرفوا به وجوه الناس اليكم وابتغوا بقولكم و
فعلكم ما عند الله فانه يبقى ويفنى ما سواه وقد ثبت في صحيح مسلم عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول خلق تسعر بهم النار يوم
القيمة ثلاثة منهم العالم الذي قرأ القرآن ليقال قارئ وتعلم العلم ليقال
عالم وانه يقال له قد قيل ذالك وامر به فسحب على وجهه حتى القي في النار
وذكر مثل ذالك المتصدق ليقال انه جواد وفي المجاهد ليقال انه شجاع
وعن علي رضي الله عنه قال يا حملة القرآن والعلم اعملوا به فانما العالم
من عمل بما علم فوافق عمله علمه وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز
تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم يجلسون حلقا
حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه اذا جلس
الى غيره ويدعه اولئك لا تصعد اعمالهم في مجالسهم تلك الى الله عز وجل
وقال الحسن لا يكون حظ احدكم من العلم ان يقال عالم وفي بعض الآثار
ان عيسى عليه السلام قال كيف يكون من اهل العلم من يطلب العلم ليحدث
به ولا يطلبه ليعمل به وقال بعض السلف بلغنا ان الذي يطلب الاحاديث
ليحدث بها لا يجد ريح الجنة يعني من ليس له غرض الا ليحدث بها دون
العمل بها ومن هذا القبيل كراهة السلف الصالح الجراءة على الفتيا والحرص عليها
والمنازعة اليها والاكثار منها روى ابن لهيعة عن عبد الله بن ابي جعفر مرسلا
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار وقال علقمة كانوا

كانوا يقولون اجرؤكم على الفتيا اقلكم علما وعن البراء رضي الله عنه قال ادركت
مئة وعشرين من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل
احدهم عن المسئلة ما منهم من احد الا ود ان اخاه كفاه وفي رواية فيردها
هذا الى هذا وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وسئل عمر بن عبد العزيز عن
مسئلة قال ما انا على الفتيا بجري وكتب الى بعض عماله اني والله ما انا على الفتيا
بحريص ما وجدت منه بدا وليس هذا الامر لمن ود ان الناس احتاجوا اليه
ان هذا الامر لمن ود انه وجد ما يكفيه وعنه رضي الله عنه انه قال اعلم الناس
بالفتوى اسكتهم واجهلهم بها انطقهم وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى
كلام السلف في الفتيا
ادركنا الفقهاء وهم يكرهون ان يجيبوا في المسائل والفتيا حتى لا يجدوا بدا من
ان يفتوا واذا اعفوا منها كان احب اليهم وقال الامام احمد رضي الله عنه
من عرض نفسه للفتيا فقد عرضها لامر عظيم الا انه قد تلجي الضرورة قيل له
فايما افضل الكلام ام السكوت قال الامساك احب الي قيل له فاذا كانت الضرورة
فجعل يقول الضرورة الضرورة وقال الامساك اسلم له وليعلم المفتي انه
يوقع عن الله امره ونهيه وانه موقوف ومسئول عن ذالك قال الربيع
ابن خثيم ايها المفتون انظروا كيف تفتون وقال عمرو بن دينار لقتادة لما
جلس للفتيا هذا يصلح وهذا لا يصلح وعن ابن المنكدر قال ان العالم بين
الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل عليهم وكان ابن سيرين رحمه الله اذا سئل
عن شيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل حتى كانه ليس بالذي كان و
كان النخعي يسئل فتظهر عليه الكراهة ويقول ما وجدت احدا تسئل غيري و
قال قد تكلمت ولو وجدت بدا ما تكلمت وان زمانا اكون فيه فقيه الكوفة
لزمان سوء وروي عن عمر قال انكم لتستفتوننا استفتاء قوم كانا لا نسئل
عما نفتيكم به وعن محمد بن واسع قال اول من يدعى الى الحساب الفقهاء وعن
مالك انه كان اذا سئل عن المسئلة كانه واقف بين الجنة والنار وقال
بعض العلما لبعض المفتين اذا سئلت عن مسئلة فلا يكن همك تخليص
السائل ولكن تخليص نفسك اولا وقال آخر اذا سئلت عن مسئلة فتفكر
فان وجدت لنفسك مخرجا فتكلم والا فاسكت وكلام السلف في هذا المعنى كثير

جدا ويطول ذكره واستقصاؤه ومن هذا الباب ايضا كراهة الدخول
على الملوك والدنو منهم وهو الباب الذي يدخل منه علماء الدنيا الى نيل الشرف
والرياسات فيها وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي والنسائي من حديث
ابن عباس قال من سكن البادية جفى ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى ابواب
السلاطين افتتن وخرج احمد وابو داود نحوه من حديث ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه وما ازداد احد من السلطان
دنوا الا ازداد من الله بعدا وخرج ابن ماجة من حديث بن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان ناسا من امتي سيتفقهون في الدين ويقرؤن القرآن
فيقولون نأتي الامراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذالك
كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذالك لا يجتنى من قربهم الا الخطايا وخرجه
الطبراني ولفظه ان ناسا من امتي يقرؤن القرآن ويتعمقون في الدين يأتيهم
الشيطان يقول لو اتيتم الملوك فاصبتم من دنياهم واعتزلتموهم بدينكم الا ولا
يكون ذالك كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذالك لا يجتنى من قربهم الا
الخطايا وخرج الترمذي من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه
جهنم كل يوم مئة مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المراؤن
باعمالهم وخرج بن ماجة نحوه وزاد فيه وان من ابغض القراء الى الله الذين
يزورون الامراء الجورة ويروى من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه و
من اعظم ما يخشى على من يدخل على الملوك الظلمة ان يصدقهم بكذبهم ويعينهم
على ظلمهم ولو بالسكوت عن الانكار عليهم فان من يريد بدخوله عليهم الشرف
والرياسة وهو حريص عليهم لا يقدم على الانكار عليهم بل ربما حسن لهم بعض افعالهم
القبيحة تقربا اليهم ليحسن موقعه عندهم ويساعدوه على غرضه وقد خرج
الامام احمد والترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن
عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيكون بعدي امراء فمن دخل عليهم
فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض
ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وانا منه
وهو وارد علي الحوض وقد كان كثير من السلف ينهون عن الدخول على الملوك
لمن

لمن اراد امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ايضا وممن نهى عن ذالك عمر بن عبد العزيز
وابن المبارك والثوري وغيرهم من الائمة وقال ابن المبارك ليس الآمر الناهي
عندنا من دخل عليهم فامرهم ونهاهم انما الآمر الناهي من اعتزلهم وسبب
هذا ما يخشى من فتنة الدخول عليهم فان النفس قد تخيل للانسان اذا كان
بعيدا عنهم انه يامرهم وينهاهم ويغلظ عليهم فاذا شاهدهم فيها مالت النفس
اليهم لان محبة الشرف كامن في النفس والنفس تحسن له ذالك ومداهنتهم و
ملاطفتهم وربما مال اليهم واحبهم ولا سيما ان لاطفوه واكرموه وقبل ذالك منهم
وقد جرى ذالك لابن طاوس مع بعض الامراء بحضرة ابيه طاوس فوبخه طاوس
على فعله ذالك وكتب سفيان الثوري الى عباد بن عباد وكان في كتابه
اياك والامراء ان تدنو منهم او تخالطهم في شيء من الاشياء واياك ان تخدع و
يقال لك تشفع وتدرء عن مظلوم او ترد مظلمة فان ذالك خديعة ابليس
وانما اتخذها فجار القراء سلما وما كفيت من المسئلة والفتيا فاغتنم ذالك
ولا تنافسهم واياك ان تكون ممن يحب ان يعمل بقوله او ينشر قوله او يسمع قوله
فاذا ترك ذالك منه عرف فيه واياك وحب الرياسة فان الرجل يكون حب
الرياسة احب اليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره الا البصير
من العلماء السماسرة فتفقد بقلب واعمل بنية واعلم انه قد دنى من الناس امر
يشتهي الرجل ان يموت والسلام ومن هذا الباب ايضا كراهة ان يشهر الانسان
نفسه للناس بالعلم والزهد والدين او باظهار الاعمال والاقوال والكرامات ليزار
وتلتمس بركته ودعاؤه وتقبيل يده وهو محب لذالك ويقيم عليه ويفرح
به او يسعى في اسبابه ومن هنا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة
منهم ايوب والنخعي وسفيان واحمد وغيرهم من العلماء الربانيين ولذالك فضل
داود الطائي وغيرهما من الزهاد والعارفين وكانوا يذمون انفسهم غاية
الذم ويسترون اعمالهم غاية الستر دخل رجل على داود الطائي فساله ما جاء به
فقال احب ان ازورك فقال اما انت فقد اصبت خيرا حيث زرت في الله ولكن
انظر ماذا القيت غدا اذا قيل لي من انت حتى تزار أمن الزهاد انت لا والله أمن

كلام سفيان الثوري

السلف الصالح يكرهون الشهرة

العباد انت لا والله امن الصالحين انت لا والله وعدد خصال الخير على هذا
الوجه فجعل يوبخ نفسه فيقول يا داود كنت في الشبيبة فاسقا فلما
شبت صرت مرائيا والمرائي اشر من الفاسق وكان محمد بن واسع يقول لو ان
للذنوب رائحة ما استطاع احد ان يجالسني وكان ابراهيم النخعي اذا دخل عليه
احد وهو يقرأ في المصحف غطاه وكان اويس وغيره من الزهاد اذا عرفوا في مكان
ارتحلوا منه وكان كثير يكره ان يطلب منه الدعاء ويقول لمن يسئله الدعاء امني انا
وممن روى ذلك عن عمر بن الخطاب وحذيفة رضي الله عنهما وكذلك مالك ابن دينار
وكان النخعي يكره ان يسئل الدعاء وكتب رجل الى احمد يسئله الدعا فقال احمد اذا
دعونا نحن لهذا فمن يدعو لنا ووصف بعض الصالحين واجتهاده في العبادة لبعض
الملوك فعزم على زيارته فبلغه ذلك فجلس على قارعة الطريق ياكل فوافاه الملك
وهو على تلك الحالة فسلم عليه فرد عليه فجعل ياكل كثيرا ولا يلتفت الى الملك فقال الملك
ما في هذا خير ورجع فقال الرجل الحمد لله الذي رده عني وهو لائم وهذا باب واسع
جدا وههنا نكتة دقيقة وهي ان الانسان قد يذم نفسه بين الناس يريد
بذلك ان يرى انه متواضع عند نفسه فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به
وهذا من دقائق ابواب الرياء وقد نبه عليه السلف الصالح قال مطرف ابن عبد الله
ابن الشخير كفى بالنفس اطراء ان تذمها على الملا كانك تريد بذمها زينتها وذلك
عند الله سفه فصل وقد تبين بما ذكرنا ان حب المال والرياسة والحرص
عليهما يفسد دين المرء حتى لا يبقى منه الا ما شاء الله كما اخبر بذلك النبي صلى
الله عليه وسلم واصل محبة المال والشرف من حب الدنيا واصل حب الدنيا اتباع
الهوى قال وهب بن منبه من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا ومن الرغبة فيها
حب المال والشرف ومن حب المال والشرف استحلال المحارم وهذا كلام حسن فانه
انما يحمل على صاحب المال والشرف الرغبة في الدنيا وانما تحصل الرغبة في الدنيا من
اتباع الهوى لان الهوى داع الى الرغبة في الدنيا وحب المال والشرف فيها والتقوى
تمنع من اتباع الهوى وتردع عن حب الدنيا قال الله تعالى فاما من طغى وآثر
الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي المأوى وقد وصف الله تعالى اهل النار بالمال والسلطان في مواضع
من كتابه قال تعالى واما من اوتي كتابه بشماله الى قوله ما اغنى عني ماليه هلك
عني

عني سلطانيه واعلم ان النفس تحب الرفعة والعلو على ابناء جنسها ومن
هنا نشأ الكبر والحسد ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه
رضوان الله وقربه وجواره ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب
الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله وطرده عنه فهذا
العلو الفاني الذي يذم وهو العتو والتكبر في الارض بغير الحق واما العلو الاول
والحرص عليه فهو محمود قال الله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال الحسن
اذا رايت رجلا ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة وقال وهيب بن الورد
ان استطعت ان لا يسبقك الى الله احد فافعل وقال محمد بن يوسف الاصبهاني
العابد لو ان رجلا سمع برجل وعرف رجلا اطوع منه لله تعالى فانصدع قلبه
لم يكن ذلك بعجب وقال رجل لمالك بن دينار رايت في المنام مناديا ينادي ايها
الناس الرحيل فما رايت احدا رحل الا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه فدرجات
الآخرة الباقية يشرع التنافس وطلب العلو في منازلها والحرص على ذلك والسعي
في اسبابه وان لا يقنع الانسان منها بالدون مع قدرته على العلو واما العلو
الفاني المنقطع الذي يعقب صاحبه غدا حسرة وندامة وذلة وهوانا وصغارا
فهو الذي يشرع الزهد فيه والاعراض عنه وللزهد فيه اسباب عديدة
منها نظر العبد الى سوء عاقبة الشرف في الدنيا بالولاية والامارة ولمن يؤدي حقها
في الآخرة فنظر العبد الى عقوبة الظالمين والمتكبرين ومن ينازع الله تعالى رداء
الكبرياء وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيمة
امثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم
يسمى بولس يعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال و
خرجه الترمذي وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفي رواية لغيره من وجه آخر في هذا الحديث يطاهم الناس
باقدامهم وفي رواية اخرى من وجه آخر يطؤهم الجن والانس والدواب
بارجلها حتى يقضي الله تعالى بين عباده واستأذن عمر رضي الله عنه رجل
في القصص على الناس فقال اني اخاف ان تقص عليهم فترتفع عليهم في نفسك حتى
يضعك الله تحت ارجلهم يوم القيمة ومنها نظر العبد الى ثواب المتواضعين
لله في الدنيا بالرفعة في الآخرة فانه من تواضع لله رفعه الله تعالى ومنها

وليس هو في قدرة العبد ولكنه من فضل الله ورحمته ما يعوض الله عباده
العارفين به الزاهدين فيما يفنى من المال والشرف مما يعجله الله لهم في الدنيا
من شرف التقوى وهيبة الخلق لهم في الظاهر ومن حلاوة المعرفة والايمان
والطاعة في الباطن وهي الحياة الطيبة التي وعدها الله لمن عمل صالحا من
ذكر او انثى وهو مؤمن وهذه الحيوة الطيبة لم يذقها الملوك في الدنيا
ولا اهل الرياسات والحرص على الشرف كما قال ابراهيم بن ادهم لو يعلم الملوك و
ابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ومن رزقه الله ذلك
اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية قال الله تعالى ولباس
التقوى ذلك خير وقال تعالى من كان يريد العزة فلله العزة جميعا وفي بعض
الآثار يقول الله عز وجل انا العزيز فمن اراد العز فليطع العزيز فمن اراد عز الدنيا
والآخرة فعليه بالتقوى كان حجاج بن ارطاة يقول قتلني حب الشرف فقال
له سوار لو اتقيت الله شرفت وفي هذا المعنى قيل

الا انما التقوى هي العز والكرم ۞ وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيصة ۞ اذا حقق التقوى وان حاك او حجم

قال صالح الناجي الطاعة امرة والمطيع لله امير مؤمر على الامراء الا ترى هيبته
في صدورهم ان قال قبلوا وان امر اطاعوا ثم يقول يحق لمن احسن خدمتك
ومننت عليه بمحبتك ان يذل له الجبابرة حتى يهابوه لهيبته في صدورهم
من هيبتك في قلبه وكل الخير من عندك يا ولي اوليائك وقال بعض السلف
الصالح من اسعد بالطاعة من مطيع الا وكل الخير في الطاعة الا وان
المطيع لله ملك في الدنيا والآخرة وقال ذو النون من اكرم واعز ممن انقطع
الى من ملك الاشياء بيده دخل محمد بن سليمان امير البصرة على حماد بن
سلمة وقعد بين يديه يسأله فقال له يا ابا سلمه ما لي كلما نظرت اليك
ارتعدت فرقا منك قال لان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله خافه كل شيء و
ان اراد ان يكثر به الكنوز خاف من كل شيء ومن هذا قول بعضهم

على قدر هيبتك لله يخافك الخلق ۞ وعلى قدر محبتك لله يحبك الخلق و
على قدر اشتغالك بالله تشتغل الخلق باشغالك ۞ وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يوما يمشي وورآءه قوم من كبار المهاجرين فالتفت فرآهم
فخروا

فخروا على ركبهم هيبة له فبكى عمر وقال اللهم انك تعلم اني اخوف لك منهم فاغفر لي و
كان الحسن لا يستطيع احد ان يسأله من هيبته وكان خواص اصحابه يجتمعون
ويطلب بعضهم من بعض ان يسألوه عن المسألة فاذا حضروا مجلسه لم يجترؤا على سؤاله
حتى ربما مكثوا على ذلك سنة كاملة هيبة له وكان العمري قد خرج الى الكوفة الى
الرشيد ليعظه وينهاه فوقع الرعب في عسكر الرشيد لما سمعوا بنزوله حتى لو نزل بهم
عدو مئة الف نفس لما زادوا على ذلك وكذلك كان مالك بن انس يهاب ان يسئل
حتى قال فيه القائل

يدع الجواب ولا يراجع هيبة ۞ والسائلون نواكس الاذقان
نور الوقار وعز سلطان التقى ۞ فهو المهيب وليس ذا سلطان

وكان بديل العقيلي يقول من اراد بعلمه وجه الله اقبل الله عليه بوجهه واقبل
بقلوب العباد عليه ومن عمل لغير الله صرف الله وجهه عنه وصرف قلوب العباد عنه
وقال محمد بن واسع اذا اقبل العبد بقلبه على الله اقبل الله اليه بقلوب المؤمنين
قال ابو يزيد البسطامي طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لي فيها وصرت الى ربي وحدي
وناديته بالاستغاثة الهي ادعوك دعاء من لم يبق له غيرك فلما عرف صدق الدعا
من قلبي واليأس من نفسي كان اول ما ورد علي من اجابة الدعا ان انساني نفسي بالكلية
ونصب الخلائق بين يدي مع اعراضي عنهم وكا نثار من البلدان فلما رأى ازدحام الناس
عليه قال

يا ليتني صرت شيئا من غير شيء اعد ۞ اصبحت للكل مولى لاني لك عبد
وفي الفؤاد امور ما تستطاع تعد ۞ لكن كتمان حالي احق بي واسد

كتب وهب بن منبه الى مكحول اما بعد فانك اصبت بظاهر علمك عند الناس
شرفا ومنزلة فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى واعلم ان احد المنزلتين
تمنع من الاخرى ومعنى هذا ان العلم الظاهر من علم الشرائع والاحكام والفتاوى
والقصص والوعظ ونحو ذلك مما يظهر للناس يحصل به لصاحبه عندهم منزلة و
شرفا والعلم الباطن المودع في القلوب من معرفة الله وخشيته ومحبته و
مراقبته والانس به والشوق الى لقائه والتوكل عليه والرضا بقضائه والاعراض
عن عرض الدنيا الفاني والاقبال على جوهر الآخرة الباقي كل هذا يوجب عند الله لصاحبه
منزلة وزلفى واحدى المنزلتين تمنع من الاخرى فمن وقف مع منزلته عند الخلق
واشتغل بما حصل له عندهم بعلم الظاهر من شرف الدنيا وكان همه حفظ هذه
المنزلة عند الخلق ومراعاتها وترتيبها والخوف من زوالها كان ذلك حظه من الله

العلم الظاهر

العلم الباطن

وانقطع به عنه فهو كما قال بعضهم ويل لمن كان حظه من الله الدنيا وكان سري
السقطي يعجب مما يرى من علم الجنيد وحسن خطابه وسرعة جوابه فقال له يوما
وقد سأله عن مسئلة فاجاب وأصاب اخشى ان يكون حظك من الله لسانك فكان
الجنيد لا يزال يبكي من هذه الكلمة ومن اشتغل بترتيب منزلته عند الله بما ذكرنا
من العلم الباطن وصل الى الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله فاشتغل به عما سواه وكان
له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق ومع هذا فان الله سبحانه يعطيه المنزلة
في قلوب الخلق والشرف عندهم وان كان لا يريد ذلك ولا يقف معه بل يهرب منه اشد
الهرب ويفر اشد الفرار خشية ان يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله قال الله تعالى ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي في قلوب عباده وحديث
ان الله اذا احب عبدا نادى يا جبرئيل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل ثم يحبه
اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض حديث معروف وهو مخرج في الصحيح وبكل
حال فطلب الآخرة يحصل معه شرف الدنيا وان لم يرده صاحبه ولم يطلبه وطلب
شرف الدنيا مع شرف الآخرة لا يجتمع معه والسعيد من آثر الباقي على الفاني كما
في حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من احب دنياه اضر بآخرته
ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى خرجه الامام احمد وغيره
وما احسن ما قال ابو الفتح البستي

امران مفترقان لست تراهما ... يتشوقان لخلطة وتلاقي
طلب المعاد مع الرياسة والعلا ... فدع الذي يفنى لما هو باقي

تم كتاب ذم المال والجاه لابن رجب رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلى
الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه اجمعين ويتلوه كتاب العلم النافع وغير النافع
للمؤلف المذكور تم ذلك في ١٧ رجب سنة ١٣٣٣ نقل من خط محمد بن علي [illegible]

بلغ

هذه النسخة في معنى العلم النافع وغير النافع وانقسامهما الى [illegible] نافع وغير نافع للعلامة عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا اما
بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع و
علم غير نافع والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول والله
المستعان

وعليه التكلان

المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله قد ذكر الله في كتابه العلم تارة في مقام
المدح وهو العلم الذي ينفع وتارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فاما
الاول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون و
قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما
بالقسط وقوله وقل رب زدني علما وقوله انما يخشى الله من عباده العلما
وما قص الله سبحانه من قصة آدم وتعليمه الاسماء وعرضهم على الملائكة و
قولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم وما قص الله سبحانه
من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
فهذا هو العلم النافع وقد اخبر الله عن قوم انهم اوتوا علما ولم ينفعهم علمهم فهذا
علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقال تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه
آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها
ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله
يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا
ما فيه والدار الآخرة خير الى آخر الآية وقال واضله الله على علم وتأويل من تأول
الآية على علم عنده من اضله الله واما العلم الذي ذكره الله على جهة الذم
له فقوله في السحر ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له
في الآخرة من خلاق وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من
العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وكذلك جاءت السنة بتقسيم العلم الى نافع و
الى غير نافع والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع وسؤال العلم النافع ففي صحيح
مسلم عن زيد بن ارقم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ
بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا
يستجاب لها وخرجه اهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع وفي بعضها اعوذ بك من هؤلاء الاربع
وخرج النسائي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني
اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع وخرجه بن ماجة ولفظه

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اسئلك علما نافعا واعوذ بك
من علم لا ينفع وخرجه ابن ماجة ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع وخرجه الترمذي من
حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انفعني بما
علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما تنفعني به وخرج ابو نعيم من حديث
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انا نسئلك ايمانا
دائما فرب ايمان غير دائم واسئلك علما نافعا فرب علم غير نافع وخرج
ابو داود من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان
سحرا وان من العلم جهلا وان صعصعة بن صوحان فسر قوله ان من العلم
جهلا ان يتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك ويفسر ايضا بان
العلم الذي يضر ولا ينفع جهل لان الجهل به خير من العلم به فاذا كان الجهل به
خير منه فهو شر من الجهل وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الدين
او في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير بعض العلوم التي
لا تنفع ففي مراسيل ابي داود عن زيد بن اسلم قال قيل يا رسول الله ما اعلم
فلان قال بم قال بانساب الناس قال علم لا ينفع وجهالة لا تضر وخرجه
ابو نعيم في كتاب رياضة المتعلمين من حديث بقية عن ابن جريج عن
عطا عن ابي هريرة مرفوعا وفيه انهم قالوا اعلم الناس بانساب العرب
واعلم الناس بالشعر وبما اختلف فيه العرب وزاد في آخره العلم ثلاثة
ما خلاهن فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة و
هذا الاسناد لا يصح وبقية دلسه عن غير ثقة وآخر الحديث خرجه
ابو داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا
العلم ثلاثة ما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او
فريضة عادلة وفي اسناده عبد الرحمن بن زياد الافريقي وفيه ضعف
مشهور وقد ورد الامر بان يتعلم من الانساب ما توصل به الارحام
من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله
خرجه الامام احمد والترمذي وخرجه ابن زنجويه

ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا
وفي اسناده رواية ابن لهيعة وخرج ايضا من رواية نعيم بن ابي هند قال
قال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا وتعلموا من
النسبة ما تصلون به ارحامكم وتعلموا ما يحل لكم من النساء ويحرم عليكم ثم
انتهوا وكان النخعي لا يرى بأسا ان يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به ورخص
في تعلم منازل القمر احمد واسحاق نقله عنهما حرب زاد اسحاق ويتعلم من النجوم
ما يهتدي به وكره قتادة تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب
عنهما وقال طاوس رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابي جاد ليس له عند الله خلاق
خرجه حرب وخرجه حميد بن زنجويه من رواية طاوس عن ابن عباس وهذا محمول
على علم التاثير لا على علم التسيير فان علم التاثير باطل محرم وفيه ورد الحديث المرفوع
من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر خرجه ابو داود من حديث
ابن عباس مرفوعا والعيافة والطيرة والطرق من الجبت والعيافة زجر الطير والطرق
الخط في الارض فعلم تاثير النجوم باطل محرم والعمل بمقتضاه كالتقرب الى النجوم
وتقريب القرابين لها كفر واما علم التسيير فاذا تعلم منه ما يحتاج اليه للاهتدى
ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة اليه وهو
يشغل عما هو اهم منه وربما ادى التدقيق فيه الى اساءة الظن بمحاريب المسلمين
في امصارهم كما وقع ذلك كثيرا من اهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضي
الى اعتقاد خطا الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الامصار وهو باطل و
قد انكر الامام احمد الاستدلال بالجدي وقال انما ورد ما بين المشرق و
المغرب قبلة يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم وقد انكر ابن مسعود على
كعب قوله ان الفلك تدور وانكر ذلك مالك وغيره وانكر الامام احمد على المنجمين
قولهم ان الزوال يختلف في البلدان وقد يكون انكارهم وانكار بعضهم لذلك لان
الرسل لم تتكلم في هذا وان كان اهله يقطعون به ولان الاشتغال به ربما ادى
الى فساد عريض وقد اعترض بعض من كان يعرف هذا على حديث النزول ثلث
الليل الآخر وقال ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن ان يكون في وقت
معين ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام قبح هذا الاعتراض وان الرسول صلى الله
عليه وسلم وخلفاءه الراشدين لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه بل بادروا
الى عقوبته والحاقه بزمرة المخالفين المنافقين المكذبين ولكن التوسع في علم

الانساب هو مما لا يحتاج اليه وقد سبق عن عمر وغيره النهي عنه مع ان
طائفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون به وكذلك التوسع
في علم العربية لغة ونحوا مما يشغل عن العلم الاهم والعكوف معه يمنع
علما نافعا وقد كره القاسم بن مخيمرة علم النحو وقال اوله شغل واخره بغي
واريد به التوسع فيه وكذلك كره احمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها
وانكر على ابي عبيد توسعه في ذلك وقال هو يشغل عما هو اهم منه ف
لهذا يقال ان العربية في الكلام كالملح في الطعام فما زاد على ذلك فانه يفسده
وكذلك علم الحساب يحتاج منه الى ما يعرف به حساب ما يقع من
قسمة الفرائض والوصايا والاموال التي تقسم بين المستحقين لها والزائد على
ذلك مما لا ينتفع به الا في مجرد رياضة الاذهان وصقالها لا حاجة اليه
ويشغل عما هو اهم منه واما ما احدث بعد الصحابة من العلوم التي
توسع فيها اهلها وسموها علوما وظنوا ان من لم يكن عالما بها فهو جاهل
وضال فكلها بدعة وهي من محدثات الامور المنهي عنها فمن ذلك ما احدثته
المعتزلة من الكلام في القدر وضرب الامثال لله وقد ورد النهي عن الخوض
في القدر وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن ابن عباس مرفوعا لا يزال امر هذه الامة
موافيا ومقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر وقد روي موقوفا ورجح
بعضهم وقفه وخرج البيهقي من حديث ابن مسعود مرفوعا اذا ذكر اصحابي فامسكوا
واذا ذكر النجوم فامسكوا وقد روي من وجوه متعددة في اسانيدها مقال
وروي عن ابن عباس انه قال لميمون بن مهران اياك والنظر في النجوم فانها تدعوا
الى الكهانة واياك والقدر فانه يدعو الى الزندقة واياك وشتم احد من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فيكبك الله في النار على وجهك وخرجه ابو نعيم مرفوعا ولا يصح
رفعه والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه منها ضرب كتاب الله بعضه
ببعض فينزع المثبت للقدر باية والنافي له باخرى ويقع التجادل في ذلك و
هذا قد روي انه وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم
غضب من ذلك ونهى عنه وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه وقد
نهي عن ذلك ومنها الخوض في القدر اثباتا ونفيا بالاقيسة العقلية كقول
القدرية لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما وكقول من خالفهم ان الله جبر العباد على
افعالهم

افعالهم ونحو ذلك ومنها الخوض في سر القدر وقد ورد النهي عنه عن علي
وغيره من السلف فان العباد لا يطلعون على حقيقة ذلك ومن ذلك اعني
من محدثات الامور ما احدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله
وصفاته بادلة العقول وهو اشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر
كلام في افعاله وهذا كلام في ذاته تعالى وانقسم هؤلاء الى قسمين احدهما
من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لاستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين
كقول المعتزلة لو رؤي لكان جسما لانه لا يرى الا في جهة وقولهم لو كان له كلام
يسمع لكان جسما ووافقهم من نفى الاستواء فنفوه لهذه الشبه وهذا طريق المعتزلة
والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في
بعض الامور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتاخرين والثاني من
رام اثبات ذلك بادلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على اولئك مقالتهم كما
هي طريقة مقاتل بن سليمان ومن تابعه كنوح بن ابي مريم وتابعهم طائفة من المحدثين
قديما وحديثا وهو ايضا مسلك الكرامية فمنهم من اثبت لاثبات هذه الصفات
الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من اثبت لله صفات لم يأت بها الكتاب والسنة
كالحركة وغير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة وقد انكر السلف على مقاتل
قوله في رده على جهم بادلة العقل وبالغوا في الطعن عليه ومنهم من استحل قتله
منهم مكي بن ابراهيم شيخ البخاري وغيره والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار
آيات الصفات واحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح
عن احد منهم خلاف ذلك البتة خصوصا الامام احمد ولا خوض في معانيها
ولا ضرب مثل من الامثال لها وان كان بعض من كان قريبا من زمن احمد فيهم من
فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك انما الاقتداء بائمة
الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق وابي عبيد
ونحوهم وكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن
كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح وقد قال ابو
زرعة الرازي كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من
الكلام فلستم منه ومن ذلك اعني محدثات العلوم ما احدثه فقهاء اهل
الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه اليها وسواء خالفت السنن
او وافقتها طردا لتلك القواعد وان كان اصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب

والسنة لكن بتأويلات يخالفهم غيرهم فيها وهذا هو الذي انكره ايمة الاسلام
على من انكروه من فقهاء اهل الراي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه وانكاره
فاما الايمة وفقهاء الحديث فانهم يتبعون الحديث الصحيح حيث كان اذا
كان معمولا به عند الصحابة ومن بعدهم او عند طائفة منهم فاما ما اتفق السلف
على تركه فلا يجوز العمل به لانهم ما تركوه الا على علم انه لا يعمل به قال عمر بن عبد
العزيز خذوا من الراي ما يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا اعلم منكم فاما ما
خالف عمل اهل المدينة من الحديث فهذا كان مالك يرى الاخذ بعمل اهل المدينة
والاكثرون اخذوا بالحديث ومما انكره ايمة السلف الجدال والخصام و
المرا في مسائل الحلال والحرام ايضا ولم يكن ذلك طريقة ايمة الاسلام
انما احدث ذلك بعدهم كما احدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف
بين الشافعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث و
الجدال فيها وكل ذلك محدث لا اصل له وصار ذلك علمهم حتى شغلهم
عن العلم النافع وقد انكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في
السنن ما ضل قوم بعد هدى الا اوتوا الجدال ثم قرأ ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم خصمون وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبده خيرا فتح
له باب العمل واغلق عنه باب الجدال واذا اراد الله بعبده شرا اغلق
عنه باب العمل وفتح له باب الجدال وقال مالك ادركت اهل هذه البلدة
وانهم ليكرهون هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم يريد المسائل وكان
يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم احدهم كانه جمل مغتلم يقول
هو كذا هو كذا يهدر في كلامه وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول
قال الله عز وجل ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم ياته
في ذلك جواب وقيل له الرجل يكون عالما بالسنن يجادل عنها قال
لا ولكن يخبر بالسنة فان قبلت منه والا سكت وقال المرا والجدال
في العلم يذهب بنور العلم وقال المرا في العلم يقسي القلوب ويورث الظغن
وكان يقول في المسائل التي يسئل عنها كثيرا لا ادري وكان الامام احمد يسلك
سبيله في ذلك وقد ورد النهي عن كثرة المسائل قبل وقوع الحوادث

بلغ

وفي وعن اغلوطات المسائل وعن المسائل

وفي ذلك ما يطول ذكره ومع هذا فكلام السلف والايمة كمالك والشافعي
واحمد واسحاق فيه التنبيه على مأخذ الفقه ومدارك الاحكام بكلام
وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير اطالة ولا اسهاب وفي كلامهم من
رد الاقوال المخالفة للسنة بالطف اشارة واحسن عبارة بحيث يغني ذلك
من فهمه عن اطالة المتكلمين في ذلك بعدهم بل ربما لم يتضمن تطويل
كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه كلام السلف والايمة مع اختصاره
وايجازه فما سكت من سكت عن كثرة الخصام والجدال من سلف الامة جهلا
ولكن سكتوا عن علم وخشية لله وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصاصه
بعلم دونهم ولكن حبا للكلام وقلة ورع كما قال الحسن وسمع قوما يجادلون
قال هؤلاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول وقل ورعهم فتكلموا وقال
مهدي بن ميمون سمعت محمد بن سيرين وماراه رجل ففطن له فقال اني
اعلم ما تريد اني لو اردت ان اماريك كنت عالما بابواب المراء وفي رواية قال
انا اعلم بالمراء منك ولكني لا اماريك وقال ابراهيم النخعي ما خاصمت قط و
قال عبد الكريم الجزري ما خاصم ورع قط وقال جعفر بن محمد اياكم والخصومات
في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق وكان عمر بن عبد العزيز يقول اذا
سمعت المراء فاقصر وقال ان السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا و
كانوا هم اقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في هذا المعنى كثير جدا وقد
فتن كثير من المتأخرين بهذا فظنوا ان من كثر كلامه وجداله وخصامه
في مسائل الدين فهو اعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض وانظر الى اكابر الصحابة
وعلمائهم كابي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت كيف
كان كلامهم اقل من كلام ابن عباس وهم اعلم منه وكذلك تابعو التابعين
كلامهم اكثر من كلام التابعين والتابعون اعلم منهم فليس العلم بكثرة
الرواية ولا بكثرة المقال ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق
ويميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة
للمقاصد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم واختصر
له الكلام اختصارا ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في القيل
والقال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا الا مبلغا وان
تشقيق الكلام من الشيطان يعني ان النبي انما يتكلم بما يحصل به البلاغ

ناقد

رجل

وأما تشقيق الكلام وكثرة القول فانه مذموم وكانت خطب النبي صلى الله عليه وسلم قصدا وكان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه وقال ان من البيان سحرا وانما قاله في ذم ذلك لا مدحا له كما ظن ذلك من ظنه ومن تأمل سياق الفاظ الحديث قطع بذلك وفي الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان الله ليبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها وفي المعنى احاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمر وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم من الصحابة فيجب ان يعتقد انه ليس كل من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم كان اعلم ممن ليس كذلك وقد ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين انه اعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص انه اعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ومنهم من يقول هو اعلم من الفقهاء المشهورين المتبوعين وهذا يلزم منه ما قبله لان هؤلاء الفقهاء المشهورين المتبوعين اكثر قولا ممن كان قبلهم فاذا كان من بعدهم اعلم منهم لاتساع قوله كان اعلم ممن كان اقل منهم قولا بطريق الاولى كالثوري والاوزاعي والليث وابن المبارك وطبقتهم وممن قبلهم من التابعين والصحابة ايضا فان هؤلاء كلهم اقل كلاما ممن جاء بعدهم وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح واساءة الظن بهم ونسبة لهم الى الجهل وقصور العلم ولا حول ولا قوة الا بالله ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه في قوله في الصحابة انهم ابر الامة قلوبا واعمقها علوما واقلها تكلفا وروي نحوه عن ابن عمر ايضا وفي هذا اشارة الى ان من بعدهم اقل علوما واكثر تكلفا وقال ابن مسعود ايضا انكم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه وسيأتي بعدكم زمان قليل علماؤه كثير خطباؤه فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح ومن كان بالعكس فهو مذموم وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لاهل اليمن بالايمان والفقه واهل اليمن اقل الناس كلاما وتوسعا في العلوم ولكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بالسنتهم عن القدر المحتاج اليه من ذلك وهذا هو الفقه النافع والعلم النافع فافضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثورا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم الى ان ينتهي الى زمن ائمة الاسلام المشهورين المقتدى بهم الذين سميناهم فيما سبق فضبط ما روي عنهم في ذلك افضل العلوم مع تفهمه وتعقله والتفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لا خير في كثير منه الا ان تكون شرحا لكلام

يتعلق

خ سعد

يتعلق من كلامهم واما ما كان مخالفا لكلامهم فاكثره باطل او لا منفعة فيه وفي كلامهم في ذلك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق الا وهو في كلامهم موجود باوجز لفظ واخصر عبارة ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل الا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة ما لا يهتدي اليه من بعدهم ولا يلم به فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم ويحتاج من اراد جمع كلامهم الى معرفة صحيحه من سقيمه وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله ولا يثق بما عنده من ذلك كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه فهو لجهله يجوز ان يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح ذلك وسقيمه قال الاوزاعي العلم ما جاء به اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما كان غير ذلك فليس بعلم وكذا قال الامام احمد وقال في التابعين انت مخير يعني مخير في كتابته وتركه وكان الزهري يكتب ذلك وخالفه صالح بن كيسان ثم ندم على تركه كلام التابعين وفي زماننا يتعين كتابة كلام ائمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي واحمد واسحاق وابي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو اشد مخالفة لها لشذوذه عن الائمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه او يأخذ ما لم يأخذ به الائمة من قبله فاما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين او الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض اوضارهم كما قال احمد لا يخلو من نظر في الكلام الا تجهم وكان هو وغيره من ائمة السلف يحذرون من اهل الكلام وان ذبوا عن السنة واما ما يوجد في كلام من احب الكلام المحدث واتبع اهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل والى الحشو والى انه غير عارف بالله او غير عارف بدينه وكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ بالله منه ومما احدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعارف واعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق او الكشف وفيه خطر عظيم وقد انكره اعيان الائمة كالامام احمد وغيره وكان ابو سليمان يقول انه لتمر بي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة وقال

جمع صح

يروى صح

الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرء القرآن ويكتب الحديث
لا يقتدى به في علمنا هذا وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه
قوم الى انواع الزندقة والنفاق وادعوا ان اولياء الله افضل من
الانبياء وانهم مستغنون عنهم والى التنقص بما جاءت به الرسل من
الشرائع والى دعوى الحلول والاتحاد والقول بوحدة الوجود وغير ذالك
من اصول الكفر والفسوق والعصيان كدعوى الاباحة وحل محظورات
الشرائع وادخلوا في هذا الطريق اشياء كثيرة ليست من الدين في
شيء فبعضها زعموا انه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرمة
ونظرها وبعضها زعموا انه يحصل به ترقيق القلوب كالغنا والرقص
وبعضها زعموا انه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس وغير ذالك
مما لم تأت به الشريعة وبعضه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغنا
والنظر المحرم وشابهوا بذالك الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فالعلم
النافع من هذه العلوم كلها ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم
معانيها والتقيد في ذالك بالماثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم
في معاني القرآن والحديث وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال
والحرام والزهد والرقائق والمعارف وغير ذالك والاجتهاد على تمييز
صحيحه من سقيمه اولا ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا
وفي ذالك كفاية لمن عقل واشتغل ~~بالعلم النافع~~ عنه ومن وقف
على هذا واخلص القصد فيه لوجه الله عز وجل واستعان عليه اعانه
وهداه ووفقه وسدده وفهمه والهمه وحينئذ يثمر له هذا العلم
ثمرته الخاصة به وهي خشية الله تعالى كما قال عز وجل انما يخشى الله
من عباده العلماء وقال ابن مسعود وغيره كفى بخشية الله علما و
كفى بالاغترار بالله جهلا وقال بعض السلف ليس العلم بكثرة الرواية
ولكن العلم الخشية وقال بعضهم من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو
جاهل وكلامهم في المعنى كثير جدا وسبب ذالك ان هذا العلم النافع
يدل على امرين احدهما يدل على معرفة الله تعالى وما يستحقه من الاسماء
الحسنى والصفات العلى والافعال الباهرة وذالك يستلزم اجلاله واعظامه
وخشيته

فائدة

الحاصلة

العلم النافع

وخشيته ومهابته ومحبته ورجائه والتوكل عليه والرضا بقضائه
والصبر على بلائه والامر الثاني المعرفة بما يحبه ويرضاه وما يكرهه و
يسخطه من الاعتقادات والاعمال الظاهرة والباطنة والاقوال فيوجب
ذالك لمن علمه المسارعة الى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه
ويسخطه فاذا اثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم نافعا
ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر وذل هيبة واجلالا وخشية ومحبة
وتعظيما ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت النفس بيسير الحلال من
الدنيا وشبعت به فاوجب لها ذالك القناعة والزهد في الدنيا وكل ما هو فان لا يبقى
من المال والجاه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الآخرة
وان كان كريما على الله كما قال ذالك ابن عمر وغيره من السلف وروي مرفوعا واوجب
ذالك ان تكون بين العبد وبين ربه عز وجل معرفة خاصة فان سأله اعطاه
وان دعاه اجابه كما قال في الحديث الالهي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه الى قوله ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وفي رواية
لئن دعاني لاجيبنه وفي وصيته صلى الله عليه وسلم لابن عباس احفظ الله
يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فالشان
في ان العبد يكون بينه وبين ربه معرفة خاصة بقلبه بحيث يجده قريبا
منه يستأنس به في خلوته ويجد حلاوة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته
ولا يجد ذالك الا من اطاعه في سره وعلانيته كما قيل لوهيب بن الورد يجد
حلاوة الطاعة من عصى قال ولا من هم ومتى وجد العبد هذا فقد عرف
ربه وصار بينه وبينه معرفة خاصة فاذا سأله اعطاه واذا دعاه
اجابه كما قالت شعوانة لفضيل بن عياض لما سألها الدعا اما بينك و
بين ربك ما اذا دعوته اجابك فغشي عليه والعبد لا يزال يقع في
شدائد وكرب في الدنيا وفي البرزخ وفي الموقف فاذا كان بينه وبين
ربه معرفة خاصة كفاه الله ذالك كله وهذا هو المشار اليه في وصية
ابن عباس بقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة وقيل لمعروف ما الذي هيجك الى الانقطاع اذكر الموت و
القبر والموقف والجنة والنار فقال ان ملكا هذا كله بيده اذا كانت بينك

فائدة عظيمة

وبينه معرفة كفاك هذا كله فالعلم النافع ما عرف بين العبد وربه و
دله عليه حتى عرف ربه ووحده وانس به واستحيا من قربه وعبده
كانه يراه ولهذا قالت طائفة من الصحابة ان اول علم يرفع من الناس
الخشوع وقال ابن مسعود ان اقواما يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن
اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع وقال الحسن العلم علمان فعلم على اللسان
فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب فذاك العلم النافع وكان
السلف يقولون العلماء ثلاثة فعالم بالله وعالم بامر الله وعالم بالله ليس
بعالم بامره وعالم بامر الله ليس بعالم بالله واكملهم الاول وهو الذي يخشى الله
تعالى ويعرف احكامه فالشان كله في ان العبد يستدل بالعلم على ربه
فيعرفه فاذا عرف ربه فقد وجده قريبا منه قربه اليه واجاب دعاءه كما
في الاثر الاسرائيلي ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان
فتك فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء وكان ذو النون يردد هذه
الابيات بالليل شعرا

اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا ✧ قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا
ان بعدت قربني ✧ او قربت منه دنى

وكان الامام احمد رحمه الله يقول عن معروف معه اصل العلم خشية الله
فاصل العلم العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب منه والانس
به والشوق اليه ثم يتلوه العلم باحكام الله وما يحبه ويرضاه من العبد
من قول او عمل او حال او اعتقاد فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه
علما نافعا وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع والنفس القانعة والدعا
المسموع ومن فاته هذا العلم النافع وقع في الاربع التي استعاذ
منها النبي صلى الله عليه وسلم وصار علمه وبالا وحجة عليه فلم ينتفع به
لانه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه من الدنيا بل ازداد عليها حرصا
ولها طلبا ولم يسمع دعاءه لعدم امتثاله لاوامر ربه وعدم اجتنابه
لما يسخطه ويكرهه هذا ان كان علمه علما يمكن الانتفاع به وهو المتلقى
عن الكتاب والسنة فان كان متلقى من غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا
يمكن الانتفاع به بل ضره اكثر من نفعه وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع ان
يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة
فيها

فيها فطلب مباهات العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه وقد ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من طلب العلم لذلك فالنار النار وربما ادعى
بعض اصحاب هذه العلوم معرفة الله وطلبه والاعراض عما سواه وليس غرضهم
بذلك الا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم واحسان ظنهم بهم
وكثرة اتباعهم والتعاظم بذلك على الناس وعلامة ذلك اظهار دعوى الولاية
كما كان يدعيه اهل الكتاب وكما ادعاه القرامطة والباطنية ونحوهم وهذا
بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم وازدرائها باطنا وظاهرا
وقال عمر من قال انه عالم فهو جاهل ومن قال انه مؤمن فهو كافر ومن قال
هو في الجنة فهو في النار ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد
اليه والتكبر على من يقول الحق خصوصا ان كان دونهم في اعين الناس والاصرار
على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم باظهار الرجوع الى الحق وربما اظهروا
بالسنتهم ذم انفسهم واحتقارها على رؤس الاشهاد ليعتقد الناس فيهم انهم
عند انفسهم متواضعون فيمدحون بذلك وهو من دقائق ابواب الرياء كما
نبه عليه التابعون فمن بعدهم من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه
ما ينافي الصدق والاخلاص فان الصادق يخاف النفاق على نفسه و
يخشى على نفسه من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه
فلهذا كان من علامات اهل العلم النافع انهم لا يرون لانفسهم حالا ولا مقاما
ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على احد قال الحسن انما
الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المواظب على عبادة ربه
تعالى وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من فوقه ولا يسخر ممن دونه و
لا ياخذ على علم علمه الله اجرا وهذا الكلام الاخير قد روي معناه عن ابن عمر
من قوله واهل العلم النافع كلما ازدادوا من هذا العلم ازدادوا لله تواضعا وخشية
وانكسارا وذلا قال بعض السلف ينبغي للعالم ان يضع التراب على راسه تواضعا
لربه فانه كلما ازداد علما بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد
له ذلا وانكسارا ومن علامات العلم النافع انه يدل صاحبه على الهرب من
الدنيا واعظمها الرياسة والشهرة والمدح فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في
مجانبته من علامات العلم النافع فاذا وقع شيء من ذلك في غير قصد واختيار

كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته بحيث يخشى انه يكون مكرا او
استدراجا كما كان الامام احمد يخاف ذالك على نفسه عند اشتهار اسمه
وبعد صيته ومن علامات العلم النافع ان صاحبه لا يدعي العلم ولا
يفخر به على احد ولا ينسب غيره الى الجهل الا من خالف السنة واهلها فانه
يتكلم فيه غضبا لله لا غضبا لنفسه ولا قصدا لرفعته على احد واما
من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس واظهار
فضل علمه عليهم ونسبتهم الى الجهل وتنقصهم ليرتفع بذالك عليهم وهذا
من اقبح الخصال واردأها وربما نسب من كان قبله من العلما الى الجهل
والغفلة والسهو فيوجب له حب نفسه وحب ظهورها احسان ظنه بها
واساءة ظنه بمن سلف واهل العلم النافع على ضد هذا يسيؤن الظن
بانفسهم ويحسنون الظن بمن سلف من العلما ويقرون بقلوبهم وانفسهم بفضل
من سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول اليها ومقاربتها وما
احسن قول ابي حنيفة رحمه الله وقد سئل عن علقمة والاسود ايهما
افضل فقال والله ما نحن باهل ان نذكرهم فكيف نفضل بينهم وكان ابن
المبارك اذا ذكر اخلاق من سلف ينشد شعرا

لا تعرضن لذكرنا مع ذكرهم ❊ ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

ومن علمه غير نافع اذا رأى لنفسه فضلا على من تقدمه في المقال وتشقيق
الكلام ظن لنفسه عليهم فضلا في العلم والدرجة عند الله لفضل خص
به عن من تقدمه ممن سبق فاحتقر من تقدمه وازرى عليه بقلة
العلم ولا يعلم المسكين ان قلة كلام من سلف انما كان ورعا وخشية لله و
لو اراد الكلام واطالته لما عجز عن ذالك كما قال ابن عباس لقوم سمعهم يتمارون
في الدين اما علمتم ان لله عبادا اسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم
وانهم العلما والفصحاء والطلقا والنبلاء العلماء بايام الله غير انهم اذا تذكروا
عظمة الله طاشت لذالك عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت السنتهم حتى
اذا استفاقوا من ذالك يسارعون الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم
من المفرطين وانهم لاكياس اقويا ومع الظالمين والخاطئين وانهم لابرار
براء الا انهم لا يستكثرون الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال
هم حيثما لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون خرجه ابو نعيم وغيره
وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم

صفة العلماء بايام الله

العي عي اللسان لا عي القلب ولا عي الايمان

وسلم قال الحيا والعي شعبتان من الايمان والبذا والبيان شعبتان
من النفاق وحسنه الترمذي وخرجه الحاكم وصححه وخرج ابن حبان
في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البيان من الله و
العي من الشيطان وليس البيان بكثرة الكلام ولكن البيان الفصل في الحق
وليس العي قلة الكلام ولكن من سفه الحق وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث ينقص بهن العبد في الدنيا ويزداد
بهن في الآخرة ما هو اعظم من ذالك الرحم والحيا وعي اللسان قال عون
ابن عبد الله ثلاث من الايمان الحيا والعفاف والعي عي اللسان لا عي
القلب ولا عي العمل وهن مما يزدن في الآخرة وينقصن من الدنيا وما
يزدن في الآخرة اكثر مما ينقصن من الدنيا وروي هذا مرفوعا من وجه
ضعيف وقال بعض السلف ان كان الرجل ليجلس الى القوم فيرون ان به
عيا وما به عي انه لفقيه مسلم فمن عرف قدر السلف عرف ان سكوتهم
عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في
البيان على مقدار الحاجة لم يكن عيا ولا جهلا ولا قصورا وانما كان
ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع وسواء في ذالك
كلامهم في اصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن والحديث والزهد
والرقايق والحكم والمواعظ وغير ذالك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم
فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال
والقيل والقال فان اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله
قريبا وقد قال اياس بن معاوية ما من احد لا يعرف عيب نفسه الا
وهو احمق قيل له فما عيبك قال كثرة الكلام وان ادعى لنفسه بالفضل
ولمن سبقه بالنقص والجهل فقد ضل ضلالا مبينا وخسر خسرانا عظيما
وفي الجملة ففي هذه الازمان الفاسدة اما ان يرضى الانسان لنفسه
ان يكون عالما عند الله او لا يرضى بان لا يكون الا عند اهل الزمان عالما

والعي عي اللسان لا عي القلب ولا عي العمل

فان رضي بالاول فليكتف بعلم الله تعالى ومن كان بينه وبين الله
معرفة اكتفى بمعرفة الله اياه ومن لم يرض الا بان يكون عالما عند الناس
دخل في قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلما او
يماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من
النار قال وهيب بن الورد رب عالم يقول له الناس عالم وهو معدود
عند الله من الجاهلين وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان اول من تسعر بهم النار ثلاثة احدهم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال عالم هو ح
هو قارئ ويقال له قد قيل ذلك ثم امر به فيسحب على وجهه حتى القي
في النار فان لم تقنع نفسه بذلك حتى يصل الى درجة الحكم بين الناس
حيث كان اهل الزمان لا يعظمون من لم يكن كذلك ولا يلتفتون اليه فقد
استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وانتقل من درجة العلماء الى درجة
الظلمة ولهذا قال بعض السلف لما اريد على القضا فاباه قال انما تعلمت
العلم لاحشر به مع الانبياء لا مع الملوك فان العلما يحشرون مع الانبياء
والقضاة يحشرون مع الملوك ولا بد للمؤمن من صبر قليل حتى يصل
به الى راحة طويلة فان جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك من صبر
فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يتمتع وكان الامام الشافعي رحمه الله
ينشد: يا نفس ما هو الا صبر ايام * كأن مدتها اضغاث احلام *
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة * وخل عنها فان العيش قدام *
فنسئل الله تعالى علما نافعا ونعوذ به من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع
ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع اللهم انا نعوذ بك من هؤلاء الاربع
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد واله وصحبه اجمعين

فصل

ليتدبر ما ذم الله به اهل الكتاب من قسوة القلوب بعد اتيانهم
الكتاب ومشاهدتهم الآيات كاحياء القتيل المضروب ببعض البقرة ثم
نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا الم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وبين في موضع آخر سبب
قسوة

مقام مخوف نسئل الله العافية

قسوة قلوبهم فقال سبحانه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم
قاسية فاخبر ان قسوة قلوبهم كانت عقوبة لهم على نقضهم ميثاق الله
وهو مخالفتهم لامره وارتكابهم لنهيه بعد ان اخذت عليهم مواثيق
الله وعهوده ان لا تفعلوا ذلك ثم قال تعالى يحرفون الكلم عن
مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به فذكر ان قسوة قلوبهم اوجبت لهم خصلتين
مذمومتين احداهما تحريف الكلم من بعد مواضعه والثانية نسيانهم
حظا مما ذكروا به والمراد تركهم واهمالهم نصيبا مما ذكروا به من الحكمة والموعظة
الحسنة فنسوا ذلك وتركوا العمل به واهملوه وهذان الامران موجودان
في الذين فسدوا من علمائنا لمشابهتهم اهل الكتاب احدهما تحريف
الكلم فان من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل بالعلم بل بتحريف
الكلم عن مواضعه وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها والتلطف في ذلك بانواع
الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة المستبعدة ونحو ذلك و
الطعن في الفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في الفاظ الكتاب ويذمون
من تمسك بالنصوص واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا وحشويا
وهذا يوجد في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الراي وفي
صوفية الفلاسفة والمتكلمين والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من
العلم النافع فلا تتعظ قلوبهم بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق قلبه ويسمونه
قاصا ونقل اهل الراي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلوم تدل
على شرفها فمن اشتغل بالتفسير فغايته ان يقص على الناس ويذكر و
من اشتغل برأيهم وعلمهم فانه يفتي ويقضي ويحكم ويدرس وهؤلاء
لهم نصيب من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم
غافلون والحامل على هذا شدة محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا
في الدنيا ورغبوا في الآخرة ونصحوا انفسهم وعباد الله لتمسكوا بما انزل
الله على رسوله والزموا الناس بذلك فكان الناس حينئذ اكثرهم لا يخرجون

مطلب ذم المتعلم ما يبكيه عند اهل الزمان الاخير

لهم ح

عن التقوى فكان يكفيهم ما في نصوص الكتاب والسنة ومن خرج
منهم عنهما كان قليلا فكان الله يقيض من يفهم من معاني النصوص ما يرد
به الخارج عنها الى الرجوع اليها ويستغني بذلك عما لدوه من
الفروع الباطلة والحيل المحرمة التي بسببها فتحت ابواب الربا وغيره
من المحرمات واستحلت محارم الله بادنى الحيل كما فعله اهل الكتاب
وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي
من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
وحسبنا الله ونعم الوكيل تم بحمد الله وحسن توفيقه كتاب معرفة
العلم النافع وغير النافع ويتلوه ان شاء الله كتاب نور الاقتباس في
بلغ مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وذلك في يوم
اثنين وعشرين من رجب ١٣٣٣ سنة في بلد الرياض من ارض نجد بقلم عبده
عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ربيعة الربيعي كتبه لنفسه علمه مولاه ما ينفعه
ونفعه بما علمه فهو المعطي والمانع والموفق والهادي لا خير الا خيره
كما انه لا معبود بحق غيره
اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتاب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي
صلى الله عليه وسلم لابن عباس تصنيف الشيخ الامام العالم الحافظ
زين الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الصالح شهاب
الدين احمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى
وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله وصلى الله على محمد النبي الامي
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا خرج الامام احمد من حديث حنش
الصنعاني

الصنعاني عن ابن عباس قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في الشدة اذا سألت فسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله
قد جف القلم بما هو كائن فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا ان ينفعوك
بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشيء
لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا
كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا
هكذا ساقه من طريق حنش مع اسنادين آخرين منقطعين وفي السياق
انه لا يحفظ حديث بعضهم من بعض وخرجه ايضا من طريق حنش وحده
مختصرا ولفظه يا غلام اني محدثك حديثا احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد
رفعت الاقلام وجفت الكتب فلو جاءت الامة لينفعوك بشيء لم يكتبه
الله لك لما استطاعت وخرجه الترمذي بنحو هذا السياق المختصر ولفظه
اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت
فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت
على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام
وجفت الصحف وقال حديث حسن صحيح وقال الحافظ ابو عبد الله بن منده
لهذا الحديث طرق عن ابن عباس وهذا اصحها قال وهذا اسناد مشهور
ورواته ثقات قلت قد روي هذا الحديث عن ابن عباس من رواية جماعة
منهم علي وابنه وعطاء وعكرمة ومن رواية عمر مولى غفرة وعبد الملك بن عمير و
ابن ابي مليكة عن ابن عباس وقيل انهما لم يسمعا منه وفي اسانيدها كلها
مقال وفي الفاظها بعض الزيادة والنقص وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه وصى بذلك ابن عباس من حديث علي بن ابي طالب وابي سعيد

تعرف... احفظ الله تجده امامك

الخدري وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وفي اسانيدها ايضا
هذا مقال وذكر العقيلي ان اسانيد الحديث كلها لينة وبعضها اصلح
من بعض قلت واجود اسانيدها من رواية حنش عن ابن عباس
التي ذكرناها وهو اسناد حسن لا باس به وقد استوفينا ذكر طرقه
الحديث مع الكلام عليها في كتاب شرح الترمذي ومقصودنا هنا
الكلام على معنى الحديث وشرح الفاظه فانه تضمن وصايا عظيمة
وقواعد كلية من اهم امور الدين واجلها حتى قال الامام ابو
الفرج ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر تدبرت هذا الحديث
فادهشني وكدت اطيش ثم قال واسفا من الجهل بهذا الحديث
وقلة الفهم لمعناه فقوله صلى الله عليه وسلم احفظ الله يحفظك
يعني احفظ حدود الله وحقوقه واوامره ونواهيه وحفظ ذلك
هو الوقوف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب و
عند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى ما امر به الى ما نهي عنه و
فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعا وترك المحرمات كلها كما في حديث
ابي ثعلبة المرفوع ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات
فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وذلك كله يدخل في
حفظ حدود الله كما ذكره الله تعالى في قوله والحافظون لحدود الله
الآية وقال تعالى هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب وفسر الحفيظ هاهنا بالحافظ لاوامر الله
وفسر بالحافظ لذنوبه حتى يرجع منها وكلاهما يدخل في الآية ومن
حفظ وصية الله لعباده وامتثلها فهو داخل ايضا والكل يرجع
الى معنى واحد وقد ورد في بعض الفاظ حديث يوم المزيد في الجنة
ان الله تعالى يقول لاهل الجنة اذا استدعاهم الى زيارته وكشف لهم
الحجب

التفهم

الحجب مرحبا بعبادي الذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدي وخافوني بالغيب
وكانوا مني على كل حال مشفقين فامره صلى الله عليه وسلم لابن عباس ان
يحفظ الله يدخل فيه هذا كله ومن اعظم ما يجب حفظه من المأمورات
الصلوات الخمس قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال
الذين هم على صلاتهم يحافظون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حافظ عليها كان
له عند الله عهد ان يدخله الجنة الحديث وفي حديث آخر من حافظ عليهن
كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة الحديث وكذلك الطهارة فانها
مفتاح الصلاة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضوء الا مؤمن
فان العبد تنتقض طهارته ولا يعلم بذلك الا الله فالمحافظة على الوضوء
للصلاة دليل على ثبوت الايمان في القلب ومما امر الله بحفظه الايمان لما
ذكر كفارة اليمين قال ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم فان
الايمان كثير ما تقع من الناس وموجباتها مختلفة فتارة يجب بها كفارة
يمين وتارة يجب بها كفارة مغلظة وتارة يلزم بها المحلوف عليه من طلاق
ونحوه فمن حفظ ايمانه دل على دخول الايمان في قلبه وكان السلف كثيرا
يحافظون على الايمان فمنهم من كان لا يحلف بالله البتة ومنهم من كان يتورع
حتى يكفر فيما شك فيه الحنث ووصى الامام احمد عند موته ان يخرج
عنه كفارة يمين وقال اظن اني حنثت في يمين حلفتها وقد روي عن
ايوب عليه السلام كان اذا مر باثنين يحلفان بالله ذهب فكفر عنهما يمينهما
لئلا يأثمان وهما لا يشعران ولهذا لما حلف على ضرب امرأته مئة جلدة افتاه
الله بالرخصة لحفظه لايمانه وايمان غيره وقد اختلف العلماء هل تتعدى كفارة
الى غيره ام لا وقال يزيد بن ابي حبيب بلغني ان من حملة العرش من يسيل
من عينيه امثال الانهار من البكا فاذا رفع راسه قال سبحانك ما تخشى حق
خشيتك فيقول الله تعالى لكن الذين يحلفون باسمي كاذبين لا يعلمون ذلك
وقد ورد التشديد العظيم في الحلف الكاذب بالله ولا يصدر كثرة الحلف بالله
الا من الجهل بالله تعالى وقلة هيبته في الصدور ومما يلزم المؤمن حفظه
راسه وبطنه كما في حديث ابن مسعود المرفوع الاستحيا من الله حق الحيا ان يحفظ

الراس وما وعى ويحفظ البطن وما حوى خرجه الامام احمد والترمذي و
حفظ الراس وما وعى يدخل فيه السمع والبصر واللسان من المحرمات وحفظ
البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الاصرار على محرم وقد جمع الله ذالك
كله في قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا
ويدخل في حفظ البطن وما حوى حفظه من ادخال الحرام اليه من الماكولات
والمشروبات ومما يجب حفظه من المنهيات حفظ اللسان والفرج وفي
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ ما بين لحييه وما
بين رجليه دخل الجنة خرجه الحاكم وخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه اضمن له
الجنة وفي مسند الامام احمد عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من حفظ ما بين فقميه وفرجه دخل الجنة وقد امر الله بحفظ الفروج
ومدح الحافظين لها قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم الآية وقال تعالى والحافظين فروجهم والحافظات وقال والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الآية وقد روي عن ابي ادريس الخولاني
ان اول ما وصى الله آدم صلى الله عليه وسلم عند اهباطه الى الارض بحفظ فرجه وان لا يضعه
الا في حلال وقوله يحفظك يعني ان من حفظ حدود الله وراعى حقوقه
حفظه الله فان الجزاء من جنس العمل كما قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وقال اذكروني اذكركم وقال ان تنصروا الله ينصركم وحفظ الله تعالى للعبد
يتضمن نوعين احدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده
واهله وماله وفي حديث ابن عمر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم اني اسئلك العافية
في الدنيا والآخرة اللهم اني اسئلك العفو والعافية في ديني ودنياي و
آخرتي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن روعاتي واحفظني من بين يدي
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك ان اغتال
من تحتي خرجه الامام احمد وابو داود والنسائي وابن ماجة وهذا الدعاء
منتزع من قول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه الآية قال
ابن عباس

ابن عباس هم الملائكة يحفظونه بامر الله فاذا جاء القدر خلوا عنه
وقال علي رضي الله عنه ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر
فاذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة وقال
مجاهد ما من عبد الا له ملك يحفظه في نومه ويقظته من
الجن والانس والهوام فما من شيء يأتيه الا قال وراءك الا شيأ قد
اذن الله فيه فيصيبه ومن حفظ الله للعبد ان يحفظه في صحة
بدنه وقوته وعقله وماله قال بعض السلف العالم لا يخرف وقال
بعضهم من حفظ القرآن متع بعقله وتأول ذالك بعضهم على قوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكان
ابو الطيب الطبري قد جاوز المئة السنة وهو متمتع بعقله وقوته
فوثب يوما من سفينة كان فيها الى الارض وثبة شديدة فعوتب
على ذالك فقال هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها
الله علينا في الكبر وعكس هذا ان الجنيد رأى شيخا يسأل الناس فقال
ان هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله في كبره وقد يحفظ الله
العبد بصلاحه في ولده وولد ولده كما قيل في قوله تعالى وكان
ابوهما صالحا انهما حفظا بصلاح ابيهما وقال محمد بن المنكدر
ان الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها
والدويرات التي حولها فما يزالون في حفظ الله وستره وقال
ابن المسيب لابنه يا بني اني لازيدن في صلاتي من اجلك رجاء
ان احفظ فيك وتلى هذه الآية وكان ابوهما صالحا وقال عمر بن
عبد العزيز رحمه الله ما من مؤمن يموت الا حفظه الله تعالى في
عقبه وعقب عقبه وقال يحي بن اسماعيل بن سلمه بن كهيل
كان لي اخت اسن مني فاختلطت وذهب عقلها وتوحشت وكانت
في غرفة في اقصى سطوحنا فمكثت بذالك بضع عشرة سنة فبينا

انا نائم ذات ليلة اذا باب بيتي يدق نصف الليل فقلت من هذا قالت
بجية فقلت اختي قالت اختك ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها
بالبيت اكثر من عشر سنين فقالت اتيت الليلة في منامي فقيل لي ان الله
قد حفظ اباك اسماعيل لسلمة جدك وحفظك لابيك اسماعيل فان
شئت دعوت الله فاذهب ما بك وان شئت صبرتي ولك الجنة
فان ابا بكر وعمر قد شفعا لك الى الله عز وجل بحب ابيك وجدك اياهما
فقلت فاذا كان لابد من اختيار احدهما فالصبر على ما انا فيه و
الجنة وان الله عز وجل لواسع بخلقه لا يتعاظمه شيء ان شاء ان يجمعهما
لي قالت فقيل فان الله تعالى قد جمعهما لك ورضي عن ابيك وجدك
بحبهما ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قومي فانزلي فاذهب الله ما كان
بها ومتى كان العبد مشتغلا بطاعة الله فان الله تعالى يحفظه — بلغ مقابلة
قصة عجيبة
في تلك الحال كما في مسند الامام احمد عن حميد بن هلال عن رجل
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاذا هو يريني بيتا فقال ان
امراة كانت فيه فخرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة
عنزا وصيصيتها قال ففقدت عنزا لها وصيصيتها فقالت
كانت تنسج بها فقالت يا رب انك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك
ان تحفظ عليه واني قد فقدت عنزا من غنمي وصيصيتي واني
انشدك عنزي وصيصيتي قال فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر شدة مناشدتها لربها تبارك وتعالى قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها وها
فأتها ان شئت قال فقلت بل اصدقك وكان شيبان الراعي يرعى
غنمه فاذا جاءت الجمعة خط عليها خطا وذهب الى الجمعة ثم يرجع
وهي كما تركها وكان بعض السلف بيده الميزان يزن بها دراهم فسمع
الاذان فنهض ونفضها على الارض وذهب الى الصلاة فلما عاد جمعها
فلم

بلغ مقابلة

فلم يذهب منها شيء ومن انواع حفظ الله لمن حفظه في دنياه ان يحفظه
من شر كل من يريده باذى من الجن والانس كما قال تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا قالت عائشة رضي الله عنها يكفيه غم الدنيا وهمها و
قال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل ما ضاق على الناس وكتبت
عائشة الى معاوية ان اتقيت الله كفاك الناس وان اتقيت الناس لم
يغنوا عنك من الله شيأ وكتب بعض الخلفا الى الحكم بن عمرو الغفاري كتابا
يامره فيه بامر يخالف كتاب الله فكتب اليه الحكم اني نظرت في كتاب الله
فوجدته قبل كتاب امير المؤمنين وان السموات والارض لو كانتا رتقا على امرء
فاتقى الله عز وجل جعل له مخرجا والسلام وكتب وانشد بعضهم

بتقوى الاله نجا من نجى ۞ وفاز وصار الى ما رجا
ومن يتق الله يجعل له ۞ كما قال من امره مخرجا

وكتب بعض السلف الى اخيه اما بعد فانه من اتقى الله فقد حفظ نفسه
ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه ومن عجيب حفظ الله
تعالى لمن حفظه ان يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الاذى و
ساعية في مصالحه كما جرى لسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حيث
كسر به المركب وخرج الى الجزيرة فرأى السبع فقال يا ابا الحارث انا سفينة
مولى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يمشي حوله ويدله على الطريق حتى اوقفه
عليه ثم جعل يهمهم كانه يودعه وانصرف عنه وكان ابو ابراهيم السائح
قد مرض في برية بقرب دير فقال لو كنت عند باب الدير لنزل الرهبان
فعالجوني فجاء السبع فاحتمله على ظهره حتى وضعه على باب الدير فرآه
الرهبان فاسلموا وكانوا اربعمائة وكان ابراهيم بن ادهم نائما في بستان
وعنده حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه الذباب حتى
استيقظ فمن حفظ الله حفظه من الحيوانات المؤذية بالطبع وجعل
تلك الحيوانات حافظة له ومن ضيع الله ضيعه الله بين خلقه حتى
يدخل عليه الضرر بشيء ممن كان يرجو انه ينفعه ويصير اخص اهله به و
ارفقهم به يؤذيه كما قال بعضهم اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق خادمي

وحماري يعني ان خادمه يسوء خلقه عليه ولايطيعه وحماره يستعصي عليه
فلا يواتيه لركوبه فالخير كله مجموع في طاعة الله والاقبال عليه والشر كله
مجموع في معصيته والاعراض عنه قال بعض العارفين من فارق سدة سيده
لم يجد لقدميه قرارا ابدا لما قيل

والله ماجئتكم زائرا ... الاوجدت الارض تطوى لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم ... الا تعثرت باذيالي

النوع الثاني من الحفظ وهو اشرفها وافضلها حفظ الله تعالى
لعبده في دينه فيحفظ عليه دينه وايمانه في حياته من الشبهات
المردية والبدع المضلة والشهوات المحرمه ويحفظ عليه دينه عند موته
فيتوفاه على الاسلام قال الحكم ابن ابان عن ابي ملكي اذا احتضر الرجل
المعوت يقال للملك شم راسه قال اجد في راسه القرآن قال شم قلبه قال
اجد في قلبه الصيام قال شم قدميه قال اجد في قدميه القيام قال
حفظ نفسه فحفظه الله عز وجل خرجه ابن ابي الدنيا وقد ثبت في
الصحيحين من حديث البرا ابن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان
يقول عند منامه اللهم ان قبضت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وفي حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه علمه ان يقول اللهم احفظني بالاسلام قائما واحفظني بالاسلام قاعدا
واحفظني بالاسلام راقدا ولا تطع في عدوا ولا حاسدا اخرجه ابن حبان
في صحيحه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ودع من يريد السفر يقول
له استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وفي رواية وكان يقول
ان الله اذا استودع شيا حفظه خرجه النسائي وغيره وخرج الطبراني
حديثا مرفوعا ان العبد اذا صلى الصلاة على وجهها صعدت الى الله ولها
برهان كبرهان الشمس وتقول لصاحبها حفظك الله كما حفظتني واذا ضيعها
لفت كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله
كما ضيعتني وكان عمر رضي الله عنه يقول في خطبته اللهم اعصمنا بحفظك
وثبتنا

وثبتنا على امرك ودعا رجل لبعض السلف بان يحفظه الله فقال يا اخي
لا تسال عن حفظه ولكن قل يحفظ الايمان يعني ان المهم هو الدعا بحفظ الدين
فان الحفظ الدنيوي قد يشترك فيه البر والفاجر فالله تعالى يحفظ على المؤمن
دينه ويحول بينه وبين ما يفسده عليه باسباب قد لا يشعر العبد بها
وقد يكون يكرهه وهذا كما حفظ يوسف عليه السلام قال تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فمن اخلص لله خلصه الله
من السوء والفحشاء وعصمه منها من حيث لا يشعر وحال بينه وبين اسباب
المعاصي المهلكة كما راى معروف الكرخي شبابا يتهيأون للخروج الى
القتال في فتنة فقال اللهم احفظهم فقيل له تدعو لهؤلاء فقال ان حفظهم الله
لم يخرجوا الى القتال وسمع عمر رجلا يقول اللهم انك تحول بين المرء وقلبه
فحل بيني وبين معاصيك فاعجب عمر ودعا له بخير وروى ابن عباس في قوله
تعالى يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره
الى النار حج بعض المتقدمين فبات بمكة مع قوم فهموا بمعصية فسمع هاتفا
يهتف يقول ويلك الم تحج فعصمه الله مما هموا به وخرج بعضهم مع رفقة
الى معصية فلما هموا بمواقعتها هتف بهم هاتف كل نفس بما كسبت رهينة
فتركوها ودخل رجل غيضة ذات شجر فقال لو خلوت هاهنا بمعصية من
كان يراني فسمع صوتا ملأ ما بين حافتي الغيضة الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير وهم رجل بمعصية فخرج اليها فمر بطريقه بقاص يقص
على الناس فوقف على حلقته فسمعه يقول ايها الهام بالمعصية اما
علمت ان خالق الهمة مطلع على همتك فوقع مغشيا عليه فما افاق الا
عن توبة كان بعض الملوك الصالحين قد تعلق قلبه بمملوك له جميل
فخشي على نفسه فقام ليلة فاستغاث الله فمرض المملوك من ليلته
ومات بعد ثلاث ومنهم من عصم نفسه بموعظة جرت على لسان من
اراد منه الموافقة على المعصية كما جرى لاحد الثلاثة الذين دخلوا الغار
وانطبقت عليهم الصخرة فانه لما جلس من تلك المرأة مجلس الرجل من امراته
قالت له يا عبد الله اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه فقام عنها وكذلك

الكفل من بني إسرائيل كان لا يتورع عن معصية فاعجبته امرأة فاعطاها
ستين دينارا فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وقال اكرهتك
قالت لا ولكن هذا عمل ما عملته قط وانما حملتني عليه الحاجة فقال تخافين الله
ولا اخافه ثم قام عنها ووهب لها الدنانير وقال والله لا يعصي الله الكفل ابدا
ومات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله للكفل خرج الامام احمد
والترمذي حديثه هذا من حديث ابن عمر مرفوعا وراود رجل امرأة عن
نفسها وامرها بغلق الابواب ففعلت وقالت له قد بقي باب واحد قال واي
باب قالت الباب الذي بيننا وبين الله تعالى فلم يتعرض لها وراود
رجل اعرابية وقال لها ما يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها وهذا كله من
الطاف الله تعالى وحيلولته بين العبد ومعصيته قال الحسن وذكر اهل المعاصي
فقال هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم وقال بشر ما اصر على معصية الله
كريم ولا آثر الدنيا على الآخرة حليم ومن انواع حفظ الله لعبده في دينه
ان العبد قد يسعى في سبب من اسباب الدنيا اما الولايات او التجارات او
غير ذلك فيحول الله بينه وبين ما اراده لما يعلم له من الخيرة في ذلك
وهو لا يشعر مع كراهته لذلك قال ابن مسعود ان العبد ليهم بالامر من
التجارة او الامارة فينظر الله اليه فيقول للملائكة اصرفوه عنه فاني ان
يسرته له ادخلته النار فيصرفه الله عنه فيظل يتطير يقول سبقني فلان
دهاني فلان وما هو الا فضل الله عز وجل له واعجب من هذا ان العبد
قد يطلب بابا من ابواب الطاعات ولا يكون فيه خيرة فيحول الله بينه
وبينه صيانة له وهو لا يشعر وخرج الطبراني وغيره من حديث انس
مرفوعا يقول الله عز وجل ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو
افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو اغنيته
لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده
ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك
وان من عبادي من يطلب بابا من العبادة فاكفه عنه كيلا يدخله العجب
اني ادبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير كان بعض المتقدمين
يكثر سؤال الشهادة فهتف به هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت
فكف

بلغ

فلق عن سؤاله وفي الجملة فمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه تولى الله
حفظه في امور دينه ودنياه وفي دنياه وآخرته وقد اخبر الله تعالى
في كتابه انه ولي المؤمنين وانه يتولى الصالحين وذلك يتضمن انه
يتولى مصالحهم في الدنيا والآخرة ولا يكلهم الى غيره قال تعالى الله ولي الذين
آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقال ذلك بان الله مولى الذين آمنوا
وان الكافرين لا مولى لهم وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال اليس
الله بكاف عبده فمن قام بحقوق الله عليه فان الله يتكفل له بالقيام
بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة فمن اراد ان يتولى الله حفظه ورعايته
في اموره كلها فليراع حقوق الله عليه ومن اراد ان لا يصيبه شيء
مما يكره فلا يأت شيئا مما يكرهه الله منه كان بعض السلف يدور على
المجالس ويقول من احب ان تدوم له العافية فليتق الله تعالى وقال العمري
الزاهد لمن طلب منه الوصية كما تحب ان يكون الله لك فهكذا كن لله عز
وجل وفي بعض الآثار يقول الله وعزتي وجلالي لا اطلع على قلب عبد اعلم
ان الغالب عليه حب التمسك بطاعتي الا توليت سياسته وتقويمه و
في بعض الكتب المتقدمة يقول الله عز وجل ابن آدم لا تعلمني بما يصلحك
ابن آدم اتقني ونم حيث شئت والمعنى
انك اذا قمت بما عليك لله من حقوق التقوى فلا تهتم بعد ذلك بمصالحك
فان الله هو اعلم بها منك وهو يوصلها اليك على اتم الوجوه من غير اهتمام
منك وفي حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يحب ان يعلم
منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد
منه حيث انزله من نفسه فهذا يدل على انه على قدر اهتمام العبد
بحقوق الله وباداء حقوقه ومراعات حدوده و
اعتنائه بذلك وحفظه له يكون اعتناء الله به وحفظه له فمن كان
غاية همه رضى الله عنه وطلب قربه ومعرفته ومحبته وخدمته
فان الله يكون له على حسب ذلك كما قال تعالى اذكروني اذكركم واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم بل هو سبحانه الاكرم الاكرمين فهو يجازي بالحسنة

عشرا ويزيد ومن تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا ومن تقرب منه
ذراعا تقرب منه باعا ومن اتاه يمشي اتاه هرولة فما يؤتى الانسان
الا من قبل نفسه ولا يصيبه المكروه الا من تفريطه في حق ربه عز وجل قال
علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه وقال بعضهم
من صفى صفي له ومن خلط خلط عليه وقال مسروق من راقب الله في
خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه وبسط هذا المعنى يطول جدا
وفيما اشرنا اليه كفاية ولله الحمد وقوله صلى الله عليه وسلم تجده
امامك وفي رواية اخرى تجاهك معناه ان من حفظ حدود الله و
راعى حقوقه وجد الله معه في جميع الاحوال يحوطه وينصره و
يحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده فانه تعالى قائم على كل نفس بما كسبت
وهو تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال قتادة ومن يتق
الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب والحارس الذي
لا ينام والهادي الذي لا يضل كتب بعض السلف الى اخ له اما بعد
فان كان الله معك فمن تخاف وان كان عليك فمن ترجو والسلام وهذه
المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى و
هو معكم اينما كنتم وقوله ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما
لا يرضى من القول فان المعية الخاصة تقتضي النصر والتاييد والحفظ
والاعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون لا تخافا انني معكما اسمع
وارى وقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وكان صلى الله
عليه وسلم قد قال لابي بكر الصديق في تلك الحال ما ظنك باثنين
الله ثالثهما فهذا غير المعنى المذكور في قوله تعالى ما يكون من نجوى
ثلاثة الا هو رابعهم الاية فان ذلك عام لكل جماعة ومن هذا المعنى
الخاص الحديث الالهي وقوله فيه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الى غير ذلك من نصوص الكتاب
والسنة

والسنة الدالة على قرب الرب سبحانه ممن اطاعه واتقاه وحفظ حدوده و
راعاها دخل بنان الحمال البرية على طريق تبوك فاستوحش فهتف به
هاتف لم تستوحش اليس حبيبك معك فمن حفظ الله وراعى حقوقه و
جده امامه وتجاهه على كل حال فليستأنس به ويستغني به عن خلقه وفي
الحديث افضل الايمان ان يعلم العبد ان الله معه حيث كان خرجه الطبراني
وغيره وبسط هذا القول يطول جدا كان بعض العلماء الربانيين كثير
السفر وحده فخرج الناس مرة معه يودعونه فردهم وانشد شعرا
اذا نحن ادلجنا وانت امامنا ۞ كفى لمطايانا بذكراك هاديا
وكان الشبلي ينشد هذا البيت وربما قطع مجلسه عليه قوله صلى الله
عليه وسلم تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة المعنى ان العبد اذا اتقى
الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه وصحته فقد تعرف بذلك
الى الله وكان بينه وبينه معرفة فعرفه ربه في الشدة وعرف له عمله
في الرخا فنجاه من الشدائد بتلك المعرفة وهذه ايضا معرفة خاصة
تقتضي القرب من الله عز وجل ومحبته لعبده واجابته لدعائه وليس
المراد بها المعرفة العامة فان الله لا يخفى عليه حال احد من خلقه كما
قال تعالى هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون
امهاتكم وقال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وهذا
التعرف الخاص هو المشار اليه في الحديث الالهي ولا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الى ان قال ولئن سالني لاعطينه
ولئن استعاذني لاعيذنه اجتمع الفضيل بشعوانة العابدة
فسالها الدعا فقالت يا فضيل وما بينك وبينه ما ان دعوته
اجابك فشهق الفضيل شهقة خر مغشيا عليه وقال ابو جعفر
السائح اتى الحسن الى حبيب ابي محمد هاربا من الحجاج فقال يا ابا محمد
احفظني من الشرط هم على اثري فقال يا ابا سعيد اليس بينك وبينه
من الثقة ما تدعوه فيسترك من هؤلاء ادخل البيت فدخل الشرط
على اثره فلم يروه فذكروا ذلك للحجاج فقال بل كان في بيته الا ان الله
طمس على اعينهم فلم يروه ومتى حصل هذا التعرف الخاص للعبد حصل للعبد

معرفة خاصة بربه توجب له الانس به والحيا منه وهذه معرفة
خاصة غير معرفة المؤمنين العامه ومدار العارفين كلهم على هذه
المعرفة وهذا التعرف واشاراتهم تومي الى هذا سمع ابو سليمان رجلا
يقول سهرت البارحة في ذكر النسا فقال ويحك اما تستحي منه يراك ساهرا
في ذكر غيره ولكن كيف تستحي ممن لا تعرفه وقال احمد بن عاصم الانطاكي احب
ان لا اموت حتى اعرف مولاي وليس معرفته الاقرار به ولكن المعرفة
الذي اذا عرفته استحييت منه وهذه المعرفة الخاصة والتعرف
الخاص توجب طمأنينة العبد بربه وثقته به في انجائه من
كل شدة وكرب وتوجب استجابة الرب دعاء عبده لما اختفى
الحسن البصري من الحجاج قيل له لو خرجت من البصرة فانا نخاف ان
يدل عليك فبكى ثم قال اخرج من مصري واهلي واخواني ان معرفتي
بربي وبنعمته علي تدلني على ان سينجيني ويخلصني منه ان شاء الله
تعالى فما ضره الحجاج بشيء ولقد كان يكرمه بعد ذلك اكراما شديدا
وقال رجل لمعروف ما الذي هيجك على الانقطاع والعباده ذكر الموت
والبرزخ والجنة والنار فقال معروف اي شيء هذا ان ملكا هذا
كله بيده ان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا ومما
يبين هذا ويوضحه الحديث الذي اخرجه الترمذي من حديث ابي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يستجيب
الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخا وخرج ابن ابي الدنيا
وابن ابي حاتم وابن جرير وغيرهم من حديث يزيد الرقاشي عن انس
يرفعه ان يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب
هذا صوت معروف في بلاد غريبة فقال الله تعالى اما تعرفون ذلك فقالوا
ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له
عملا متقبلا ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا رب افلا ترحم ما كان
يصنع في الرخا فتنجيه من البلا قال بلى فامر الله الحوت فطرحه بالعراء
وقال

وقال الضحاك بن قيس اذكروا الله في الرخا يذكركم في الشدة ان يونس عليه
السلام كان يذكر الله فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا
ناسيا لذكر الله فلما ادركه الغرق قال آمنت فقال له الله تعالى الآن و
قد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال رشدين بن سعد قال رجل
لابي الدردا اوصني فقال اذكر الله في السراء يذكرك في الضرا وقال سلمان
الفارسي اذا كان الرجل له دعاء في السراء فنزلت به ضرا فدعى الله عز وجل
قالت الملائكة صوت معروف فشفعوا له واذا كان ليس له دعاء في السراء
فنزلت به ضراء فدعا الله عز وجل قالت الملائكة صوت ليس بمعروف فلا
يشفعون له وحديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة
يشهد لهذا ايضا فان الله فرج عنهم بدعائهم بما كان سبق منهم من
الاعمال الصالحة الخالصة في حال الرخاء من بر الوالدين وترك الفجور واداء
الامانة الخفية فاذا علم ان التعرف الى الله في الرخا يوجب معرفة الله لعبده
في الشدة فلا شدة يلقاها العبد في الدنيا اعظم من شدة الموت وهي
اهون مما بعدها ان لم يكن مصير العبد الى خير وان كان مصيره الى خير فهي
آخر شدة يلقاها فالواجب على العبد الاستعداد للموت قبل نزوله بالاعمال
الصالحة والمبادرة الى ذلك فانه لا يدري المرء متى تنزل به هذه الشدة
من ليل او نهار وذكر الاعمال الصالحه عند الموت مما يحسن ظن المؤمن بربه
ويهون عليه شدة الموت ويقوي رجاءه قال بعضهم كانوا يستحبون ان
يكون للمرء خبية من عمل صالح ليكون اهون عليه عند نزول الموت او كما
قال وكانوا يستحبون ان يموت الرجل عقب طاعة عملها من حج او جهاد
اوصيام رمضان وقال النخعي كانوا يستحبون ان يلقنوا العبد محاسن عمله
عند موته لكي يحسن ظنه بربه قال ابو عبد الرحمن السلمي في مرضه
كيف لا ارجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضان ولما احتضر ابو بكر بن
عياش وبكوا عليه قال لا تبكوا فاني ختمت القرآن في هذه الزاوية ثلاثة
عشر الف ختمه وروي عنه انه قال لابنه اترى ان الله يضيع لابيك اربعين

سنة يختم كل ليلة وقال بعض السلف لابنه عند موته ورآه يبكي قال
لا تبكي فما اتى ابوك قط فاحشة وختم آدم بن ابي اياس القرآن وهو مسجى
للموت ثم قال بحبي لك الا رفقت بي في هذا المصرع كنت اؤملك لهذا اليوم
كنت ارجوك لهذا لا اله الا الله ثم قضى رحمه الله وكان عبد الصمد
الزاهد يقول عند موته سيدي لهذه الساعة خبأتك حقق حسن
ظني بك وقال ابن عقيل عند موته وقد بكى النسوة قد وقفت عنه
خمسون سنة فدعوني اتهنا بلقائه ولما هجم القرامطة على الحجاج و
قتلوهم في الطواف وكان علي بن باكويه الصوفي يطوف فلم يقطع الطواف
والسيوف تأخذه حتى وقع فانشد شعرا

ترى المحبين صرعى في ديارهم ❊ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

وبعده بيت آخر

تالله لو حلف الاحباب انهم ❊ موتى من البين يوم البين ما حنثوا

فمن اطاع الله واتقاه وحفظ حدوده في حياته تولاه الله عند
وفاته وتوفاه على الايمان وثبته بالقول الثابت في القبر عند
سؤال الملكين ودفع عنه عذاب القبر وانس وحشته في تلك الوحده
والظلمه قال بعض السلف اذا كان الله معك عنده خول القبر فلا
باس عليك ولا وحشة ورؤي بعض العلما الصالحين في النوم بعد
موته فسئل عن حاله فقال يؤنسني ربي عز وجل فمن كان الله سبحانه
وتعالى انيسه في خلواته في الدنيا فانه يرجى ان يكون انيسه في ظلمة
اللحود اذا فارق الدنيا وتخلى عنها وفي هذا يقول بعضهم شعرا

فيا رب كن لي مؤنسا يوم وحشتي ❊ فاني لما انزلته لمصدق

وما ضرني اني الى الله صائر ❊ ومن هو من اهلي ابر وارفق

وكذلك اهوال القيمة وافزاعها وشدائدها اذا تولى الله عبده المطيع
له في الدنيا انجاه من ذلك كله قال قتادة في قوله تعالى ومن يتق
الله يجعل له مخرجا قال من الكرب عند الموت ومن افزاع يوم القيمة
وقال

وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية ينجيه من كل كرب في الدنيا
والآخرة وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا قال يبشر بذلك عند موته وفي قبره ويوم يبعث فانه لفي
الجنة وما ذهبت فرحة البشارة من قلبه وقال ثابت البناني في هذه الآية
بلغنا ان المؤمن حيث يبعثه الله من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه
في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن فيؤمن الله خوفه ويقر عينه فما من
عظيمة تغشى الناس يوم القيمة الا وهي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما
كان يعمل في الدنيا خرج ذلك كله ابن ابي حاتم وغيره واما من لم يتعرف
الى الله في الرخا فليس له ان يعرفه في الشدة لا في الدنيا ولا في الآخرة وشواهد
هذا مشاهدة حالهم في الدنيا وحالهم في الآخرة اشد وما لهم من ولي ولا
نصير وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سئلت فاسئل الله امر بافراد الله
تعالى بالسؤال ونهى عن سؤال غيره من الخلق وقد امر الله تعالى بسؤاله
فقال واسئلوا الله من فضله وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا من لا
يسئل الله يغضب عليه وفيه ايضا عن ابي هريرة اسئلوا الله من فضله
فان الله يحب ان يسئل وفيه ايضا ان الله يحب الملحين في الدعاء وفي حديث
آخر ليسئل احدكم ربه حاجته كلها حتى يسئله شسع نعله اذا انقطع و
في هذا المعنى احاديث كثيرة وفي النهي عن سؤال الخلق احاديث كثيرة
صحيحة وفي حديث بن مسعود وابن عمر مرفوعا لا يزال العبد يسئل وهو غني
حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه وقد بايع النبي صلى الله عليه
وسلم جماعة من اصحابه على ان لا يسئلوا الناس شيئا منهم الصديق وابو ذر
وثوبان وكان احدهم يسقط سوطه او خطام ناقته فلا يسئل احدا ان
يناوله اياه رضي الله عنهم واعلم ان سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين
عقلا وشرعا وذلك من وجوه متعددة منها ان السؤال فيه بذل لماء
الوجه وذلة للسائل وذلك لا يصلح الا لله وحده فلا يصلح الذل الا لله
بالعبادة والمسئلة وذلك من غاية المحبة الصادقة

ابن الحسين ما بال المحبين يتلذذون بذلهم في المحبة فانشد شعرا

ذل الفتى في الحب مكرمة * وخضوعه لحبيبه شرف

وهذا الذل وهذه المحبة لا تصلح الا لله وحده وهذا هو حقيقة
العبادة التي يختص بها الاله الحق كان الامام احمد يقول في دعائه
اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن المسئلة لغيرك و
قال ابو الحسين الاقطع كنت بمكة سنة فاصابتني فاقة وضر فكنت
كلما اردت ان اخرج الى المسئلة هتف بي هاتف يقول الوجه الذي تسجد
لي به لا تبذله لغيري وفي المعنى يقول بعضهم شعرا

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * بدلا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال
فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال

ولهذا كان عقوبة من اكثر المسئلة بغير حاجة ان ياتي يوم القيمة وليس
على وجهه مزعة لحم كما ثبت ذلك في الصحيحين لانه اذهب عز وجهه و
صيانته ومائه في الدنيا فاذهب الله من وجهه في الآخرة جماله وبهائه
الحسي فيصير عظما بغير لحم ويذهب جماله وبهاؤه المعنوي فلا يبقى له عند الله
وجاهة ومنها ان سؤال الله عبودية عظيمة لانها اظهار الافتقار
اليه واعتراف بقدرته على قضاء الحوائج وفي سؤال المخلوق ظلم لان
المخلوق عاجز عن جلب النفع لنفسه ودفع الضر عنها فكيف يقدر على ذلك
لغيره وسؤاله اقامة له مقام من يقدر وليس هو بقادر ويشهد
لهذا المعنى الحديث الذي في صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا
في صعيد واحد فسئلوني فاعطيت كل انسان مسئلته ما نقص
ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا غمس في البحر وفي الترمذي و
غيره زيادة في هذا الحديث وذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد
عطائي

عطائي كلام وعذابي كلام اذا اردت شيأ فانما اقول له كن فيكون فكيف يسئل
الفقير العاجز ويترك الغني القادر ان هذا العجب العجب قال بعض السلف اني
لاستحي من الله ان اسئله الدنيا وهو يملكها فكيف اسئلها من لا يملكها يعني
المخلوق وحصل لبعض السلف ضيق في معيشته حتى هم ان يطلب من اخوانه
فراى في منامه قائلا يقول له ايحسن بالحر المريد اذا وجد عند نا ما يريد
ان يميل بقلبه الى العبيد فاستيقض وهو اغنى الناس قلبا وقال بعض
السلف قرأت في هذه الكتب المنزله يقول الله عز وجل يؤمل غيري للشدائد
والشدائد بيدي وانا الحي القيوم ويرجى غيري ويطرق بالبكرات باب غيري و
بيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني من ذا الذي املني لنائبة
فقطعت به او من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاءه او من ذا الذي طرق
بابي فلم افتحه له انا غاية الآمال فكيف تقطع الآمال دوني ابخيل انا فيبخلني
عبدي اليس الدنيا والآخرة والكرم والاحسان والفضل بيدي كله لي فما يمنع
المؤملين ان يؤملوني لو جمعت اهل السموات والارض ثم اعطيت كل واحد
منهم ما اعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم امله ما نقص ذلك من ملكي عشر
ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن
عصاني ووثب على محارمي ومنها ان الله يحب ان يسئل ويغضب على من لا
يسئله فانه يريد من عباده ان يرغبوا اليه ويسئلوه ويدعوه ويفتقروا
اليه ويحب الملحين في الدعا والمخلوق غالبا يكره ان يسئل لفقره وعجزه
ابن السماك لا تسئل من يفر منك من ان تسئله واسئل من امرك ان
تسئله قال ابو العتاهية

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب
فاجعل سؤالك للاله فانما * في فضل نعمة ربنا نتقلب

وكان يحيى ابن معاذ يقول يا من يغضب على من لا يسئله لا تمنع من قد سئلك
وانشد بعض الاعراب

الا يا مالكي لا تسئل الناس والتمس ۞ بكفيك فضل الله فالله اوسع
ولو يسئل الناس التراب لاوشكوا ۞ اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنع

ومنها ان الله يستدعي من عباده سؤاله وينادي كل ليلة هل من سائل فاعطيه سؤاله هل من داع فاستجيب له وقد قال تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فاي وقت دعاه العبد وجده سميعا قريبا مجيبا ليس بينه وبينه حجاب ولا بواب واما المخلوق فانه يمتنع بالحجاب والابواب ويعز الوصول اليه في اغلب الاوقات قال طاوس لعطي اياك ان تطلب حوائجك الى من اغلق دونك بابه وجعل دونها حجابه وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيمة امرك ان تسئله ووعدك ان يجيبك وقال وهب ابن منبه لبعض العلما الم اخبر انك تاتي الملوك وابناء الملوك تحمل اليهم عملك ويحك تاتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه وتدع من يفتح لك بابه بنصف الليل وبنصف النهار و يظهر لك غناه ويقول ادعوني استجب لكم ورأى ميمون بن مهران الناس مجتمعين على باب بعض الامرا فقال من كانت له حاجة الى سلطان فحجبه فان بيوت الرحمن مفتحة فليات مسجدا فليصل ركعتين ثم يسئل الله حاجته وكان ابو بكر المدني يقول من مثلك يا ابن آدم متى شئت تطهرت ثم ناجيت ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان وسئل رجل بعض الصالحين ان يشفع له في حاجة الى بعض المخلوقين فقال انا لا اترك بابا مفتوحا واذهب الى باب مغلق وفي هذا المعنى يقول بعضهم

وافنية الملوك محجبات ۞ وباب الله مبذول الفناء

وقال آخر

قل للذين تحجبوا عن سائل ۞ بمنازل دونها حجاب
انحال دون لقائكم ابوابكم ۞ فالله ليس لبابه بواب

(في الهامش: علمك خ)

وبعض

ولبعض العلماء لا تجلسن بباب من ۞ يأبى عليك دخول داره
وتقول حاجاتي يعو ۞ قها ان لم اداره ۞ واتركه واقصد ربها ۞ تقضى ورب الدار كاره

واخرج ابن ابي الدنيا حديث ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني فلان اغاروا علي فذهبوا بابني وابلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آل محمد كذا وكذا اهل بيت ما لهم مد من طعام او صاع فاسئل الله عز وجل فرجع الى امرأته فقالت ما قال لك فاخبرها فقالت نعم ما رد عليك فما لبث ان رد الله عليه ابنه وابله اوفر ما كانت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر الناس بمسئلة الله عز وجل والرغبة اليه وقرا عليهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وسئل رجل ثابت البناني ان يشفع له الى قاض في قضا حاجة له فقام ثابت معه فكان كلما مر بمسجد في طريقه دخله فصلى فيه ودعى فما وصل الى مجلس القاضي الا وقد قام منه فعاتبه طالب الحاجة في ذلك فقال ما كنت الا في حاجتك فقضى الله حاجته ولم يحتج الى القاضي و كان اسحاق بن عباد البصري نائما فرأى في منامه قائلا يقول اغث الملهوف فاستيقظ فسال هل في جيرانه محتاج فقالوا اما ندري ثم نام فاتاه ثانيا وثالثا فقال له اتنام ولم تغث الملهوف فقام واخذ ثلاثمائة درهم وركب بغلته فخرج به من البصرة حتى وقف به بباب مسجد يصلى فيه على الجنائز فدخل المسجد فاذا رجل يصلي فلما احس به انصرف فدنا منه وقال له يا عبد الله في هذا الوقت في هذا الموضع ما حاجتك قال انا رجل كان راس مالي مائة درهم فذهبت من يدي ولزمني دين مائتي درهم فاخرج له الدراهم فقال هذه ثلاثمائة خذها فاخذها ثم قال له اتعرفني قال لا قال انا اسحق ابن عباد فان نابتك نائبة فأتني فان منزلي في موضع كذا فقال له رحمك الله تعالى ان نابتنا نائبة فزعنا الى من اخرجك في هذا الوقت حتى جاء بك الينا وقال عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم اصبحنا ذات يوم فقالت امي لابي والله ما في بيتك شي ياكله ذو كبد فقام وتوضأ ولبس ثيابه ثم صلى في بيته قال فالتفتت الي امي فقالت ان اباك ليس يزيد على ما ترى فخرج انت فخرجت فخطر ببالي صديق لنا تمار فجئت اليه بسوقه فلما رآني صاح بي

(في الهامش: بلغ)

وذهب بي الى منزله واطعمني ثم اخرج لي صرة فيها ثلاثون دينارا من غير ان اذكر
له شيا من حالنا الا ابتداء منه وقال اقرا على ابيك السلام وقل له انا جعلنا له
شركا في كل شيء من تجرنا وهذا نصيبه منه وعن شقيق البلخي قال كنت في
بيتي جالسا فقالت لي اهلي قد ترى ما بهولاء الاطفال من الجوع ولا يحل لك ان
تحمل عليهم ما لا طاقة لهم به قال فتوضات وكان لي صديق لا يزال يقسم علي
ان يكن لي حاجة ان اعلمه بها ولا اكتمها عنه فخطر ذكره ببالي فلما خرجت من
المنزل مررت بالمسجد فذكرت ما روي عن ابي جعفر قال من عرضت له حاجة الى
مخلوق فليبدا بالله عز وجل فيها فدخلت المسجد وصليت ركعتين فلما كنت
في التشهد افزع علي النوم فرايت في منامي انه قيل يا شقيق اتدل العباد على
الله ثم تنساه فاستيقظت وعلمت ان ذلك تنبيه نبهني به ربي فلم
اخرج من المسجد حتى صليت العشاء الاخرة ثم انصرفت الى المنزل فوجدت الذي
اردت ان اقصده قد حركه الله واجرى لاهلي على يديه ما اغناهم وعن ابراهيم
ابن ادهم انه خرج للغزو مع اصحابه وانهم تناهدوا فوضع كل واحد منهم دينارا
ففكر فيمن يقصد من اخوانه ويستقرض منهم ثم استفاق فبكى وقال وسوء لك
اطلب من العبيد واترك مولاهم فيقول من كان احق ان تطلب منه انا او
عبدي ثم توضا وصلى وخر ساجدا وقال يا رب قد علمت ما كان مني وذلك
بخطائي وجهلي فان عاقبتني عليه فانا اهل لذلك وان عفوت عني فانت
اهل لذلك وقد عرفت حاجتي فاقضها برحمتك ثم رفع راسه فاذا بنحو اربع
مائة دينار فتناول منها دينارا واحدا وذهب وعن اصبغ بن زيد قال مكثت
انا ومن عندي ثلاثا لم نطعم شيا فخرجت الي ابنتي الصغيرة فقالت يا ابت الجوع
فدخلت الميضاة فتوضات وصليت ركعتين والهمت دعاء دعوت به و
في اخره اللهم افتح علي منك رزقا ولا تجعل لاحد علي فيه منة ولا لك علي في
الاخرة تبعة برحمتك يا ارحم الراحمين ثم انصرفت الى البيت فاذا ابنتي الكبيرة
قد قامت الي وقالت يا ابت جاء عمي بهذه الصرة الدراهم وحمال عليه دقيق و
حمال عليه من كل شيء في السوق وقال اقروا اخي السلام وقولوا له اذا احتجت
الى شيء فادع بهذا الدعا تاتيك حاجتك قال اصبغ لا والله ما كان لي من اخ قط
ولا

ولا اعرف من كان هذا القايل ولكن الله على كل شيء قدير وعن الحكم ابن موسى
قال اصبحت يوما فقالت المراة ليس عندنا دقيق ولا خبز فخرجت ولا اقدر على
شيء فقلت في الشارع اللهم ان كنت تعلم اني اعلم انك تعلم انه لا دقيق و لا
خبز او قال ولا درهم فاتنا بذلك فلقيني رجل فقال خبزا تريد او دقيقا فقلت
له احدهما ثم مشيت نهاري اجمع لا اقدر على شيء فرجعت فقدم الي اهلي خبزا
ولحما واسعا فقلت من اين هذا فقالوا من الذي وجهت به فسكت وعن الاوزاعي
قال رايت رجلا في الطواف وهو متعلق باستار الكعبة وهو يقول يا رب اني فقير كما
ترى وصبيتي قد عروا كما ترى وناقتي قد عجفت كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى
فاذا بصوت من خلفه يا عاصم الحق عمك فقد هلك بالطائف وقد خلف الف نعجة
وثلاثمائة ناقة واربعمائة دينار واربعة اعبد وثلاثة اسياف يمانية فامض
فخذها فليس له وارث غيرك قال فقلت له يا عاصم ان الذي دعوت قريب منك قال
يا هذا اما سمعت الله يقول فاذا سالك عبادي عني فاني قريب والاثار في
الحكايات في هذا كثيرة جدا يطول الكتاب بذكرها وهي موجودة في مثل كتاب
الفرج بعد الشدة وكتاب مجابي الدعوة لابن ابي الدنيا وفي كتاب المستصرخين بالله
عند نزول البلا للقاضي ابي الوليد الصفار وكتاب المستغيثين بالله عند نزول
البلا للحافظ ابي القاسم بن بشكوال الاندلسيين وفي غيرها من كتب الزهد و
الرقايق والتواريخ وغيرها وروى الشيخ ابو الفرج في تاريخه الكبير باسناده
عن الحسن بن سفيان الفسوي الحافظ انه كان مقيما بمصر مع جماعة من اصحابه
يكتبون الحديث فاحتاجوا فباعوا ما معهم حتى لم يبق لهم ما يباع وبقوا ثلاثة
ايام جياعا لا يجدون شيا ياكلونه واصبحوا في اليوم الرابع وقد عزموا على المسالة
لشدة الضرورة فاقترعوا على من يسال لهم فخرجت القرعة على الحسن ابن سفيان
قال فتحيرت ودهشت ولم تسامحني نفسي بالمسالة فعدلت الى زاوية المسجد
اصلي ركعتين طويلتين وادعو الله عز وجل لكشف الضر وسياقة الفرج فلم افرغ
من الصلاة حتى دخل المسجد رجل معه خادم في يده منديل فقال من بينكم الحسن
ابن سفيان فرفعت راسي من السجود وقلت انا فقال ان الامير ابن طولون يقريكم
السلام والتحية ويتعذر اليكم في الغفلة عن تفقد احوالكم والتقصير الواقع في

رعاية حقوقكم وقد بعث اليكم بما يكفي نفقة الوقت وهو زائركم ومتعذر اليكم
بلفظه ووضع بين كل واحد منا صرة فيها مائة دينار قال فتعجبنا وسألناه
عن السبب فقال انه كان اليوم نائما فرأى فارسا في الهوى يقول له قم فادرك الحسن
ابن سفيان واصحابه فانهم منذ ثلاثة ايام جياع في المسجد الفلاني فقال له من
انت قال رضوان انا صاحب الجنة قال الحسن فشكرنا الله عز وجل واصلحنا احوالنا
وسافرنا تلك الليلة خشية ان يزورنا الامير فيطلع الناس على اسرارنا فيكون
ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه ويتصل ذلك بنوع من الريا والسمعة
وروى ايضا باسناد له عن محمد بن هارون الروياني انه اجتمع هو ومحمد بن نصر
المروزي ومحمد بن علوية الوراق ومحمد بن اسحاق بن خزيمة فذكر معنى هذه الحكاية
وان المصلي والداعي كان هو ابن خزيمة وباسناد آخر ان الاربعة كانوا محمد
بن جرير ومحمد بن نصر ومحمد بن خزيمة ومحمد بن هارون **وقوله** صلى الله عليه
وسلم واذا استعنت فاستعن بالله لما امر صلى الله عليه وسلم بحفظ الله والتعرف
اليه في الرخا وذلك هو العبادة حقيقة ثم ارشده الى سؤال الله وحده ودعائه
والدعاء هو العبادة كما في حديث النعمان ابن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قرأ
وقال ربكم ادعوني استجب لكم الآية اخرجه اهل السنن الاربعة ارشده بعد ذلك الى
الاستعانة بالله وحده وهذا منتزع من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين
وهي كلمة عظيمة جامعة يقال ان سر الكتب الالهية كلها ترجع اليها وتدور عليها و
في استعانة الله وحده فائدتان احدهما ان العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه
في عمل الطاعة والثانية انه لا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل
فمن اعانه الله فهو المعان ومن خذله فهو المخذول **وفي الحديث الصحيح** عن النبي صلى
الله عليه وسلم احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وكان صلى الله عليه و
سلم يقول في خطبته ويعلم اصحابه ان يقولوا ان الحمد لله نستعينه ونستهديه
وفي دعاء القنوت الذي كان يدعو به عمر وغيره اللهم انا نستعينك ونستهديك
وامر معاذ بن جبل ان لا يدع في دبر كل صلاة ان يقول اللهم اعني على شكرك و
ذكرك وحسن عبادتك وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم رب اعني ولا تعن علي و
في الاثر المعروف ان موسى عليه السلام قال لما ضرب البحر فانفلق اللهم لك الحمد واليك
المشتكى وانت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك فالعبد محتاج
الى

الى الاستعانة بالله في فعل المأمورات وترك المحظورات وفي الصبر على المقدورات
كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
ولهذا قالت عائشة هذه الكلمة لما قال لها اهل الافك ما قالوا فبرأها الله مما قالوا
وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل
رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون **ولما بشر النبي** صلى الله عليه و
سلم عثمان بالجنة على بلوى تصيبه قال الله المستعان ولما دخلوا على عثمان فضربوه
جعل يقول والدما تسيل عليه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني
استعينك عليهم واستعينك على جميع اموري واسألك الصبر على ما ابتليتني **و**
روي عن ابي طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في بعض غزواته حين لقي العدو
يا مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين قال ابو طلحة فلقد رأيت الرجال
تصرع اخرجه ابو الفتح الاصبهاني **فالعبد** محتاج الى الله في مصالح دينه وفي مصالح
دنياه كما قال الزبير في وصيته لابنه عبد الله ان عجزت فاستعن بمولاي فقال له يا
ابتي من مولاك قال الله قال فما وقعت في كربة من دينه الا قلت يا مولى الزبير اقض
دينه فيقضيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في اول خطبة خطبها على المنبر الا
ان العرب جمل انف قد اخذت بخطامه واني حامله على المحجة ومستعين بالله عليه و
كذلك يحتاج العبد الى الاستعانة بالله على اهوال ما بين يديه من الموت وما بعده
لما احتضر خالد بن الوليد قال رجل ممن حوله والله انه ليسوءه يعني الموت فقال
اجل فاستعين بالله وبكى عامر بن عبد الله ابن الزبير عند موته وقال انما ابكي على حر
النهار وبرد القيام يعني صيام النهار وقيام الليل وقال واني استعين الله على مصرعي
هذا بين يديه **ومن كلام بعض** المتقدمين يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك
عجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك **وكتب الحسن** الى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى
لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه قال بعضهم فاستعن بالله واستعنه فانه
خير مستعان **وقوله** صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن وفي رواية اخرى
رفعت الاقلام وجفت الكتب وفي رواية اخرى وجفت الصحف كله كناية عن نفوذ
المقادير وكتابتها في كتاب جامع من امد بعيد فان الكتاب اذا كتب وفرغ من
كتابته وبعد عهده فقد رفعت الاقلام عنه وجفت الاقلام التي كتب بها من مدادها
وجفت الصحيفة المكتوب فيها بالمداد المكتوب به فيها وهذا من احسن الكنايات
وابلغها وقد دل الكتاب والسنة الصحيحة على مثل هذا المعنى قال الله عز وجل ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير

قال الضحاك عن ابن عباس ان الله خلق القلم فامره ان يجري باذنه وعظم
القلم كقدر ما بين السماء والارض فقال القلم بما يا رب اجري قال بما انا
خالق وكائن في خلقي فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيمة فاثبته الله في
الكتاب المكنون عنده تحت العرش وروى ابو ظبيان عن ابن عباس
ان اول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال القدر فجرى
بما هو كائن الى ان تقوم الساعة ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون وروى
ابو الضحى عن ابن عباس نحوه ايضا وروى حديث ابي الضحى مرفوعا ولا يثبت رفعه لعله الله
وروى ابن بطة باسناد ضعيف عن ابي هريرة مرفوعا اول شيء خلقه القلم
ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم
القيمة فذلك قوله عز وجل ن والقلم وما يسطرون ثم ختم على القلم فلم ينطق
ولا ينطق الى يوم القيمة وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي من
حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم ثم
قال اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيمة وفي صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات
والارض بخمسين الف سنة وخرج الامام احمد والنسائي والترمذي من حديث عبد الله
ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون
ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا
كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على
آخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب
العالمين فيه اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبائلهم ثم اجمل على آخرهم فلا يزاد
ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان الامر قد
فرغ منه قال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل
اي عمل ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما ثم قال فرغ ربك من
العباد فريق في الجنة وفريق في السعير وخرج الامام احمد من حديث ابي الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فرغ الله الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره
ومضجعه وشقي او سعيد وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها ومصابها
وخرج مسلم من حديث جابر ان رجلا قال يا رسول الله فيما العمل اليوم افيما جفت
به

به الاقلام وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت
به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له وفي هذا المعنى احاديث كثيرة جدا وكذلك
الآثار الموقوفة قال بعضهم

سلم الامر جف بالكائن القلم ∴ ان للناس خالقا الامر لما حكم

وقوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا فلو ان الخلق كلهم جميعا
ارادوا ان ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه
وان ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه
يريد به ذلك ان ما يصيب العبد مما يضره او ينفعه في دنياه فكله
مقدر عليه ولا يمكن ان يصيبه ما لم يكتب له ولم يقدر عليه ولو اجتهد
على ذلك الخلق كلهم جميعا وقد دل القرآن ايضا على مثل هذا في قوله
تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا الآية وقوله ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك
على الله يسير وقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم وخرج الامام احمد من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان لكل شيء حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الايمان
حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه
وخرج ابو داود وابن ماجة من حديث زيد بن ثابت عن
النبي صلى الله عليه وسلم معناه ايضا واعلم ان مدار جميع
هذه الوصية من النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس على هذا
الاصل وما ذكر بعده وما قبله متفرع عليه وراجع اليه فانه اذا
علم العبد انه لن يصيبه الا ما كتب الله له من خير او شر او نفع او ضر و
ان اجتهاد الخلق كلهم جميعا على خلاف المقدور غير مفيد شيئا البتة علم ان الله

تعالى وحده هو الضار النافع والمعطي المانع فاوجب ذالك
للعبد توحيد ربه عز وجل وافراده بالاستعانة والسؤال و
التضرع والابتهال وافراده ايضا بالعبادة والطاعة لان المعبود انما
يعبد لتجلب المنافع ودفع المضار ولهذا ذم الله سبحانه
من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده شيا وايضا
فكثير ممن لا يحقق الايمان في قلبه يقدم طاعة مخلوق على طاعة
الله رجاء نفعه او دفعا لضره فاذا تحقق العبد تفرد الله وحده
بالنفع والضر وبالعطا والمنع اوجب ذالك افراده بالطاعة والعبادة
وتقديم طاعته على طاعة الخلق كلهم جميعا كما يوجب ذالك
افراده سبحانه بالاستعانة والطلب منه وقد اشتملت هذه
الوصية العظيمة الجامعة على هذه الامور المهمة كلها فان حفظ
العبد لله عز وجل حفظ حدوده ومراعات حقوقه وهو حقيقة
عبادته وهو اول ما صدرت به الوصية ورتب على ذالك حفظ
الله لعبده وهو نهاية ما يطلبه العبد من ربه ويريده منه
ثم عقب ذالك بذكر التعرف الى الله في الرخاء وانه مقتض لمعرفة الله
لعبده وداخل فيه لان حالة الشدة لما كان العباد مضطرين
فيها الى من يعرفهم ويفرج عنهم خصصت بالذكر لهذا المعنى وفي
هذه الحالة يخلص المشركون الدعا لله وحده ويفردونه بالسؤال
والطلب لعلمهم انه لا يكشف الضر سواه سبحانه ثم يعودون عند
كشف الضر عنهم الى الشرك كما ذكر ذالك سبحانه عنهم في مواضع من
كتابه وذمهم عليه فامره صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم في ذالك بالتعرف
الى الله في حال الرخا باخلاص الدين له وحده وبطاعته والتقرب
اليه ليوجب ذالك معرفته لهم في الشدة وكشفها عنهم ثم عقب
ذالك بذكر افراد الله بالسؤال وافراده بالاستعانة وذالك يشمل
حال الشدة وحال الرخا ثم ذكر بعد هذا كله الاصل الجامع الذي تنبني
عليه

عليه هذه المطالب كلها وهو تفرد الله سبحانه وتعالى بالضر
والنفع والعطا والمنع وانه لا يصيب العبد من ذالك الا
ما سبق تقديره وقضاؤه له وان الخلق كلهم عاجزون عن
ايصال نفع او ضر غير مقدر في الكتاب السابق وتحقيق
هذا يقتضي انقطاع العبد بالتعلق بالخلق وعن سؤالهم
واستعانتهم ورجائهم بجلب نفع او دفع ضر او
خوفهم من ايصال ضر او منع نفع وذالك يستلزم افراد
الله سبحانه بالطاعة والعبادة ايضا وان يقدم طاعته
على طاعة الخلق جميعا وان يتقي سخطه ولو كان فيه سخط
الخلق جميعا وقد جاء من حديث ابي سعيد مرفوعا
ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط الله وان تحمدهم
على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله
لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره وما احسن
قول بعضهم شعرا

فليتك تحلو والحياة مريرة ❊ وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ❊ وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين ❊ وكل الذي فوق التراب تراب

فمن تحقق ان كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم
طاعة شيء من التراب على طاعة رب الارباب ام كيف يرضي
التراب بسخط الملك الوهاب ان هذا الشيء عجاب وقد دل القران
على هذا الاصل وهو تفرد الله سبحانه بالعطا والمنع في مواضع

كثيرة جدا كقوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقوله
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقوله تعالى قل افرأيتم ما تدعون من دون
الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل
المتوكلون وقوله تعالى حاكيا عن نبيه نوح عليه السلام انه
قال لقومه ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله
فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون وقوله تعالى
حاكيا عن نبيه هود عليه السلام انه قال لقومه فكيدوني
جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من
دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم و
قال بعضهم شعرا

ما قدر الله لي لا بد يدركني ❊ من ذا الذي يدفع المقدور بالحذر
الله اولى بنا منا بانفسنا ❊ ان نحن الا مماليك لمقتدر

وشكى رجل الى الفضيل الفاقة فقال له الفضيل أمدبرا
غير الله تريد وقال بعضهم

دبر فليس يغني عنك تدبير ❊ وليس يدعوك بالتدبير تقدير
ان الامور لها رب يدبرها ❊ فما قضى الرحمن ساقته المقادير

وقوله

وقوله صلى الله عليه وسلم ان في الصبر على ما تكره النفس
خيرا كثيرا وفي رواية عمر مولى غفرة وغيره عن ابن عباس
زيادة قبل هذا الكلام وهي فان استطعت ان تعمل
بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على
ما تكره خيرا كثيرا ومراده باليقين هاهنا تحقيق
الايمان بما سبق ذكره من التقدير السابق كما ورد ذلك
صريحا في رواية عبد الله بن عباس عن ابيه لكن باسناد
ضعيف وفي رواية زيادة وهي قلت يا رسول الله كيف
اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك
وما اخطاك لم يكن ليصيبك فاذا انت احكمت باب
اليقين فحصول اليقين للقلب بالقضا السابق والتقدير
الماضي يوجب رضى النفس بالقضا والقدر وطمأنينتها و
قد دل القرآن على مثل هذا المعنى بعينه في قوله
تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم
قال الضحاك في هذه الآية عزاهم لكيلا تأسوا على
ما فاتكم لا تأسوا على شيء من امر الدنيا فانا لم نقدره
لكم ولا تفرحوا بما آتاكم لا تفرحوا بشيء من امر الدنيا
اعطيناكموه فانه لم يكن يزوى عنكم وقال سعيد
ابن جبير في هذه الآية لكيلا تأسوا على ما فاتكم من
العافية والخصب اذا علمتم انه مكتوب عليكم قبل

ان يخلقكم خرجه ابن ابي حاتم ومن هذا المعنى قول بعض السلف
الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم
الى ذلك بقوله في الحديث الصحيح عنه احرص على ما ينفعك واستعن بالله
ولا تعجزن فان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا ولكن قل قدر الله
وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فاشار في هذا الحديث الى ان
تذكير النفس بالقدر السابق عند المصائب يذهب وساوس الشيطان
الموجبة للهم والحزن والندم على تعاطي الاسباب الدافعة لوقوعها
وقال انس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي لشيء
فعلته لم فعلت كذا وكذا ولا لشيء لم افعله الا فعلت كذا وكان
وكان اذا لامني بعض اهله قال دعوه لو قدر شيء كان خرجه الامام
احمد بهذه الزيادة وخرج ابن ابي الدنيا باسناد فيه نظر عن
عائشة رضي الله عنها قالت كان اكثر كلام النبي صلى الله عليه وسلم في
بيته اذا خلا ما قضى الله من امر يكن وخرج ايضا حديثا مرسلا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي مسعود لا تكثر همك ما قدر يكن
وما ترزق ياتيك وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا حول ولا قوة الا بالله دواء من تسعة وتسعين داء ايسرها
الهم خرجه الطبراني والحاكم فان تحقيق هذه الكلمة تقتضي تفويض
الامور الى الله وانه لا يكون الا ما شاء والايمان بذلك يذهب الهم و
الغم وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال لا تتهم الله في شيء
قضاه لك فاذا نظر المؤمن بالقضا والقدر في حكمة الله ورحمته
وانه غير متهم في قضائه دعاه الى الرضا بالقضى وقال الله عز وجل ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه قال علقمة
في هذه الاية هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم
لها

لها ويرضى وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له ان اصابته
سراء شكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا
له وليس ذلك الا للمؤمن وقد دل القرآن على مثل هذا المعنى في قوله
تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الاية يعني اما النصر والظفر واما الشهادة و
ايهما كان فحسن وخرج الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله
السخط قال ابو الدردا ان الله اذا قضى قضاء احب ان يرضى به وقالت
ام الدردا ان الراضين بقضاء الله الذي قضاه لهم رضوه لهم في الجنة
منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيمة وقال ابن مسعود ان الله بقسطه
وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك و
السخط وقد روي هذا مرفوعا من وجه ضعيف وكان عمر بن عبد العزيز يقول
لقد تركتني هؤلاء الدعوات وما لي في شيء من الامور ارب الا في مواقع قدر
الله عز وجل وكان يدعو بها كثيرا اللهم رضني بقضائك وبارك لي في قدرك
حتى لا احب تعجيل شيء اخرته ولا تاخير شيء قدمته قال ابن عون ارض
بقضاء الله على ما كان من عسر ويسر فان ذلك اقل لهمك وابلغ فيما تطلب
من امر آخرتك واعلم ان العبد لن يصيب حقيقة الرضا حتى يكون رضاه
عند الفقر والبلا كرضاه عند الغنى والرخى كيف تستقضي الله في امرك ثم
تسخط ان رايت قضاه مخالفا لهواك ولعل ما هويت من ذلك لو وفق
لك لكان فيه هلاكك وترضى قضاه اذا وافق هواك وذلك لقلة علمك
بالغيب وكيف تستقضيه ان كنت كذلك ما انصفت من نفسك ولا اصبت
في باب الرضا وهذا الكلام حسن ومعناه ان العبد اذا استخار الله عز وجل
قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ح

فينبغي ان يرضى بما اختاره له من موافق لهواه او مخالف له لانه لا يدري
في ايهما الخيرة له والله تعالى غير متهم في قضائه لمن استخاره ومن ههنا كان
طائفة من السلف كابن مسعود وغيره يامرون من يخاف ان لا يصبر على ما يخالف هواه
مما يختاره له ان يقول في دعاء استخارته في عافية فانه قد يختار له البلا ولا
يصبر عليه وقد روي مرفوعا من وجه ضعيف عن المزني ان رجلا كان يكثر الاستخارة
فابتلي فجزع ولم يصبر فاوحى الله الى نبي من انبيائهم ان قل لعبدي فلان اذا لم يكن
من اهل العزائم فهلا استخرتني في عافية وفي الحديث المرفوع من سعادة العبد
استخارة ربه عز وجل ورضاه بما قضى وان من شقاوة العبد تركه الاستخارة
وسخطه بما قضى خرجه الترمذي والرضا بالقضا اسباب منها يقين العبد بالله
وثقته به لانه لا يقضي للمؤمن من قضاء الا هو خير له فيصير كالمريض المستسلم للطبيب
الحاذق الناصح فانه يرضى بما يفعله به من مؤلم وغيره لثقته به ويقينه به
لانه لا يريد به الا الاصلح وهذا هو الذي اشار اليه ابن عون في كلامه المتقدم ذكره
ومنها النظر الى ما وعد الله من ثواب الرضا وقد يستغرق العبد من ذلك حتى ينسى
الم المقضي به كما روي عن بعض الصالحات من السلف انها عثرت فانكسر ظفرها
فضحكت وقالت انساني لذة ثوابه مرارة المه ومنها وهو اعلى ذلك كله الاستغراق
في محبة المبتلي ودوام ملاحظة جلاله وجماله وعظمته وكماله الذي لا نهاية له
فان قوة ملاحظة ذلك يوجب الاستغراق فيه حتى لا يشعر بالالم كما غاب النسوة
اللاتي قطعن ايديهن حين شاهدنه عن الم تقطيع ايديهن بمشاهدته قال الجنيد
سالت سريا هل يجد المحب الم البلا فقال لا وهذه اشارة منه الى هذا المقام ومنه
قول جماعة من اهل البلا يفعل بنا ما يشا فلو قطعنا اربا اربا ما ازددنا له الا
حبا وفي هذا المعنى يقول بعضهم * لو قطعني الغرام اربا اربا * ما ازددت على الملام الا حبا
لا زلت بكم اسير وجد وصبا * حتى اقضي على هواكم نحبا * وكان ابراهيم بن ادهم
خرج من ملكه وماله وحشمه وولده فراى ولده في الطواف فلم يكلمه وقال
هجرت الخلق طرا في هواكا * وايتمت العيال لكي اراكا * فلو قطعتني في الحب اربا
لما حن الفؤاد الى سواكا * كان جماعة من المحبين كالفضيل وفتح الموصلي اذا اتت ليلة
بغير عشا ولا سراج اشتد فرحهم وبكوا من الفرح وقالوا مثلنا يترك بلا عشا ولا سراج باي
يد كانت منا وباي وسيلة توسلنا بها وكان فتح يجمع ولده في ليالي الشتا ويغطيهم بكسائه و
يقول اجعتني واجعت عيالي واعريتني واعريت عيالي وانما تفعل ذلك باوليائك واحبابك فهل
انا منهم حتى افرح ودخلوا على بعض السلف وهو مريض فقال احبه الي احبه اليه وفي هذا

~~عطائي كلام وعذابي كلام اذا اردت شيئا فانما اقول له كن فيكون فكيف~~
~~يسأل الفقير العاجز ويترك الغني القادر ان هذا لعجب العجب قال بعض~~
~~السلف اني لاستحي من الله ان اسأله الدنيا وهو مالكها فكيف اسألها~~
~~من لا يملكها يعني المخلوق وضاق ببعض السلف ضيق في معيشته حتى~~
~~هم ان يطلب من اخوانه فرأى في منامه قائلا يقول له ايحسن بالحر~~
~~المريد اذا وجد عند الله ما يريد ان يميل بقلبه الى العبيد فاستيقظ~~
~~وهو اغنى الناس قلبا وقال [illegible]~~ وفي هذا المعنى يقول بعضهم

عذابه فيك عذب * وبعده فيك قرب * وانت عندي كروحي * بل انت منها احب
حسبي من الحب اني * لما تحب احب

وانشد ابو تراب النخشبي رحمه الله

لا تخدعن فللمحب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام وبر عاجل

ودخلوا على رجل قد قتل ابنه في الجهاد يعزونه فبكى وقال ما ابكي على قتله
انما ابكي كيف كان رضاه عن الله حين اخذته السيوف شعرا

ان كان سكان الغضى رضوا بقتلي فرضا * والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا
صرت لهم عبدا وما للعبد ان يعترضا * هم قلبوا قلبي من الشوق على جمر الغضا
ياليت ايام الحمى يعود ما منها مضى * من لمريض لا يرى الا الطبيب الممرضا

والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابن عباس بالعمل بالرضا ان
استطاعه ثم قال له فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا
وهذا يدل على ان الرضا بالاقدار المؤلمة ليس بحتم واجب وانما هو فضل
مندوب اليه فمن لم يستطع الرضا فليلزم الصبر فان الصبر واجب لا بد
منه وفيه خير كثير فان الله تعالى امر بالصبر ووعد عليه جزيل الاجر قال
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات

الصبر واجب

من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال تعالى وبشر المخبتين الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم وقال الحسن الرضى
عزيز ولكن الصبر معول المؤمن وقال سليمان الخواص الصبر دون الرضى
فالرضى ان يكون الرجل قبل نزول المصيبة راض باي شيء كان والصبر ان
يكون بعد نزول المصيبة يصبر وحقيقة الفرق بين الصبر والرضى ان الصبر
كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الالم والرضا يوجب انشراح الصدر
وسعته وان وجد الاحساس باصل الالم لكن الرضى يخفف الاحساس بالالم لما
يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة وقد يزيل الاحساس بالكلية
على ما سبق تقديره ولهذا قال طايفة كثيرة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز
والفضيل وابو سليمان وابن المبارك وغيرهم ان الراضي لا يتمنى غير حاله التي
هو عليها بخلاف الصابر وقد روي عن طايفة من الصحابة هذا المعنى
ايضا وانهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال منهم عمر وابن مسعود
رضي الله عنهما قال عبد العزيز بن ابي رواد كان عابد يتعبد في بني اسرايل
فرأى في منامه ان فلانة زوجتك في الجنة فاستضافها ثلاث ليال لينظر
عملها فكانت تنام وهو يقوم وتفطر وهو يصوم فلما فارقها سالها عن
اوثق عملها عندها قالت هو ما رايت الا خصيلة واحدة ان كنت في شدة
لم اتمنى اني في رخا وان كنت في مرض لم اتمنى اني في صحة وان كنت جايعة
لم اتمنى اني شبعانة وان كنت في شمس لم اتمنى اني في فيء فقال العابد
هذه والله خصلة يعجز عنها العباد وكما ان الصبر انما يكون عند
الصدمة الاولى لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فالرضى انما يكون عند
نزول البلا لما كان يقول صلى الله عليه وسلم في دعايه واسالك الرضى بعد
القضى لان العبد قد يعزم على الرضى بالقضا قبل وقوعه فاذا وقع انفسخت
تلك العزيمة فمن رضي بعد وقوع القضى فهو الراضي حقيقة وفي الجملة
فالصبر واجب لا بد منه وما بعده الا التسخط ومن سخط اقدار الله فله
السخط مع ما يتعجل له من الالم وشماتة الاعداء به اعظم من جزعه
كما قال بعضهم شعرا

لا تجزعن

الفرق بين معرفة الرضى ومعرفة الصبر

بلغ مقابلة

لا تجزعن من كل خطب عرى ❊ ولا تري الاعداء ما يشمتوا
يا قوم بالصبر ينال المنى ❊ اذا لقيتم فئة فاثبتوا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يتصبر يصبره الله وما اعطي احد عطاء خيرا
ولا اوسع من الصبر وقال عمر وجدنا خير عيشنا الصبر وقال علي ان الصبر
من الايمان بمنزلة الراس من الجسد ولا ايمان لمن لا صبر له وقال الحسن
الصبر كنز من كنوز الجنة لا يعطيه الله الا لمن كرم عليه وقال ميمون ابن
مهران ما نال احد شيا من جسيم الخير نبي فمن دونه الا بالصبر وقال
ابراهيم التيمي ما من عبد وهبه الله صبرا على الاذى وصبرا على البلاء وصبرا
على المصايب الا وقد اوتي افضل ما اوتيه احد بعد الايمان بالله عز وجل
وهذا منتزع من قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى
قوله والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا و
اولئك هم المتقون والمراد بالبأساء الفقر ونحوه وبالضراء المرض ونحوه
وحين البأس الجهاد وقال عمر بن عبد العزيز ما انعم الله على عبد نعمة فانتزعها
منه فعاضه مكان ما انتزع منه الصبر الا كان ما عوضه خيرا مما انتزع
منه ثم تلى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وكان بعض الصالحين
في جيبه ورقة يفتحها كل ساعة فينظر فيها وفيها مكتوب واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا والصبر الجميل هو ان يكتم العبد المصيبة ولا يخبر بها
قال طايفة من السلف في قوله تعالى فصبر جميل قال لا شكوى معه وكان
الاحنف بن قيس قد ذهبت عينه من اربعين سنة لم يذكرها لاحد وذهبت
عين عبد العزيز بن ابي رواد من عشرين سنة فتامله ابنه يوما فقال
له يا ابتي قد ذهبت عينك فقال نعم يا بني الرضى عن الله اذهب عين ابيك من
عشرين سنة وكان الامام احمد لا يشتكي ما به من المرض لاحد وذكر
له ان مجاهدا كان يكره الانين فتركه فلم يان حتى مات وكان يقول لنفسه
يا نفس اصبري ولا تندمي ودخل بعض العارفين على مريض يقول آه
فقال له ذالك العارف ممن وفي هذا المعنى يقول بعضهم شعرا

تفيض النفوس باوصابها ❊ وتكتم عوادها ما بها

معرفة الصبر الجميل

وما انصفت مهجة تشتكي ۞ هواها الى غير احبابها

قال يحيى بن معاذ لو احببت ربك ثم جوعك واعراك لكان يجب ان تحتمله وتكتمه عن الخلق فقد يحتمل الحبيب لحبيبه الاذى فكيف وانت تشكوه فيما لم يصنعه بك شعرا

ويقبح من سواك الفعل عندي ۞ وتفعله فيحسن منك ذا كا

كان الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه يشدون على بطونهم الحجارة من الجوع كان اويس رحمه الله يلتقط الكسر من المزابل والكلاب تزاحمه فنبح عليه كلب يوما فقال يا كلب لا تؤذ من لا يؤذيك كل مما يليك و اكل مما يليني فان دخلت الجنة فانا خير منك وان دخلت النار فانت خير مني وكان ابراهيم بن ادهم يلتقط السنبل مع المساكين فرأى منهم كراهة لمزاحمته فقال انا تركت ملك بلخ افازاحم المساكين على لقاط السنبل فكان بعد ذلك لا يلتقط الا مع الدواب التي ترعى فيه وكان الامام احمد يلتقط السنبل مع المساكين ايضا وآجر سفيان الثوري نفسه من جمالين في طريق مكة فطبخ لهم طعاما فافسده فضربوه كان فتح الموصلي يوقد النار للناس بالاجرة شعرا

تركت من اجلك قد نزلت خدي ارضا ۞ للشامت والحسود حتى ترضى

مولاي الى متى بهذا احظى ۞ عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

غيره

كم احمل في هواك ذلا وعنا ۞ كم اصبر فيك تحت سقم وضنى

لا تطردني فليس لي عنك غنى ۞ خذ روحي ان اردت منها الثمنا

غيره

من اجلكم كم هويت العشقا ۞ قلبي كلف ودمعتي ما ترقى

في حبكم يهون ما قد القى ۞ ما يسعد بالنعيم من لا يشقى

كانت مصائب الدنيا عندهم نعما حتى قال بعضهم ليس بفقيه من لم يعد البلى نعمة والرخا مصيبة ومن الاسرائيليات اذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين

وقال

وقال بعض السلف اني لاصاب بالمصيبة فاحمد الله عليها اربع مرات احمد الله اذا لم تكن اعظم مما هي واحمد الله اذا رزقني الصبر عليها واحمده اذا وفقني للاسترجاع واحمده اذا لم يجعلها في ديني انتظار الفرج بالصبر عبادة فان البلا لا يدوم كما قيل شعرا

اصبر لكل مصيبة وتجلد ۞ واعلم بان المرء غير مؤبد

واصبر كما صبر الكرام فانها ۞ نوب تنوب اليوم تكشف في غد

اذا غمس اعظم الناس بلاء كان في الدنيا في نعيم الجنة غمسة قيل له هل رايت بؤسا قط هل مر بك بؤس قط قال لا يا رب

يا نفس ما هي الا صبر ايام ۞ كان مدتها اضغاث احلام

يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة ۞ وخل عنها فان العيش قدام

وما هي الا ساعة ثم تنقضي غيره ويذهب هذا كله ويزول قوله صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر هذا موافق لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقوله تعالى فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين الى قوله و الله مع الصابرين وقوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين الى غير ذلك من الآيات والاحاديث في الامر بالصبر عند لقاء العدو كثيرة جدا وقال عمر لاشياخ من بني عبس بم قاتلتم الناس قالوا بالصبر لم نلق قوما الا صبرنا لهم كما صبروا لنا وقال بعض السلف كنا نكره الموت والم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر وسئل بعض الابطال عن الشجاعة فقال صبر ساعة وهذا كله في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار وكذلك في جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى فان جهادهما من اعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه في الله وقال عبد الله بن عمر لرجل سأله عن الجهاد ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها ويروى باسناده ضعيف من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم رجعوا من الغزو

فقال

قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة
العبد لهواه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في وصيته لعمر حين
استخلفه ان اول ما احذرك نفسك التي بين جنبيك ويروى من حديث
سهل بن سنان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن حديث ابي مالك
الاشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قال ليس عدوك الذي اذا قتلك ادخلك
الجنة واذا قتلته كان لك نورا اعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك
واخذ هذا المعنى العباس بن قيس الشاعر الاحنف ابن

قلبي الى ما ضرني داعي ❊ يكثر احزاني واوجاعي
لقلما ابقى على ما ارى ❊ يوشك ان ينعاني الناعي
كيف احترازي من عدوي ❊ اذا كان عدوي بين اضلاعي

فهذا الجهاد ايضا يحتاج الى صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه و
شيطانه غلب وحصل له النصر ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب و
قهر واسر وصار ذليلا اسيرا في يد شيطانه وهواه كما قيل شعرا

اذا المرء لم يغلب هواه اقامه ❊ بمنزلة فيها العزيز ذليل

غيره

رب مستور سبته شهوة ❊ فتعرى ستره فانهتكا
صاحب الشهوة عبد فاذا ❊ غلب الشهوة صار الملكا

قال ابن المبارك رحمه الله من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما
اقل ما يتمتع وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب و
وصف بعضهم الاحنف بن قيس فقال كان اشد الناس سلطانا على نفسه
وقيل ان فلانا يمشي على الما فقال من مكنه الله من مخالفة هواه فهو اقوى
ممن يمشي على الماء واعلم ان نفسك بمنزلة دابتك ان عرفت منك الجد
جدت وان عرفت منك الكسل طمعت فيك وطلبت منك حظوظها وشهواتها
كان ابو سليمان الداراني يقول كنت بالعراق امر على تلك القصور والمراكب
والملابس والمطاعم التي للملوك فلا تلتفت نفسي الى شيء من ذلك وامر على التمرة
فتكاد

فتكاد نفسي تقع عليها فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال تلك الشهوات ايست نفسك
منها فايست والتمرة اطمعتها فيها فطمعت كما قيل شعرا

صبرت عن اللذات حتى تولت ❊ والزمت نفسي هجرها فاستمرت
وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ❊ فان طمعت تاقت والا تسلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة ❊ فلما رأت عزمي على الذل ذلت

فقوله صلى الله عليه وسلم ان النصر مع الصبر يشمل الصبر على جهاد
العبد لعدوه الظاهر وجهاده لعدوه الباطن وهو نفسه وهواه وكان
السلف يفضلون هذا الصبر على الصبر على البلا قال ميمون بن مهران الصبر
صبران الصبر على المصيبة حسن وافضل من ذلك الصبر عن المعاصي وقال
سعيد بن جبير الصبر على نوعين احدهما الصبر عن ما حرم الله والصبر لما
افترض الله من عبادته وذلك افضل الصبر والصبر الاخر في المصايب
وقد ورد في هذا حديث مرفوع من حديث علي لكنه لا يثبت وقوله صلى الله
عليه وسلم وان الفرج مع الكرب هذا يشهد له قوله تعالى وهو الذي يرسل
الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء الى قوله فاذا اصاب به
من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من
قبله لمبلسين وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي رزين العقيلي
ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره خرجه الامام احمد وخرج ابنه
عبد الله من حديث ابي رزين ايضا انه ليشرف عليكم ازلين قنطين فيظل يضحك
علم ان غيثكم الى قريب والمعنى انه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند
احتباس المطر عنهم وخوفهم واشفاقهم ويأسهم من الرحمة وقد قدر الله
تغيير هذه الحال عن قرب بانزال المطر ولكنهم لا يشعرون وهذا كما اشتكى
ذلك الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يخطب يوم الجمعة احتباس
المطر وجهد الناس فسألوه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه فاستسقى
لهم فنشأ السحاب ومطروا الى الجمعة الاخرى حتى قاموا اليه صلى الله عليه وسلم فسألوه
ان يستصحي لهم ففعل فاقلعت السماء وقد قص الله تعالى في كتابه قصصا

كثيرة تتضمن وقوع الفرج بعد الكرب والشدة كما قص نجاة نوح ومن معه
في الفلك من الكرب العظيم مع اغراق سائر اهل الارض وكما قص نجاة ابرهيم
عليه السلام من النار التي القاه المشركون فيها وانه جعلها عليه بردا وسلاما
وكما قص قصة ابرهيم عليه السلام مع ولده الذي امر بذبحه ثم فداه الله
بذبح عظيم وكما قص قصة موسى عليه السلام مع امه لما القته في اليم حتى
التقطه آل فرعون وقصته مع فرعون لما نجى الله موسى في البحر واغرق عدوه
وكما قص قصة ايوب ويونس ويعقوب ويوسف عليهم السلام وقصة قوم
يونس لما آمنوا وكما قص قصص محمد صلى الله عليه وسلم ونصره على اعدائه
وانجائه منهم في عدة مواطن مثل قصته في الغار وقصته يوم بدر ويوم
احد ويوم حنين وكما قص سبحانه قصة عائشة رضي الله عنها في حديث الافك
وبرأها الله مما رميت به وقصة الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه
ثم تاب عليهم ليتوبوا وفي السنة من هذا المعنى شيء كثير ايضا مثل قصة الثلاثة
الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة فدعوا الله باعمالهم الصالحة ففرج
عنهم ومثل قصة ابرهيم وسارة مع الجبار الذي طلبها من ابرهيم ورد الله
كيد الفاجر والحكايات في هذا المعنى في الاسلام وقبله كثيرة جدا لا يمكن
حصرها واستقصاؤها وكثير منها مذكور في الكتب المصنفة في الفرج بعد الشدة
لابن ابي الدنيا وغيره وكتاب مجابي الدعوات لابن ابي الدنيا وكتاب المستغيثين
بالله والمستصرخين به وكتب كرامات الاولياء واخبار الصالحين وفي كتب التواريخ
وغيرها ونحن نذكر طرفا هاهنا يسيرا من اظرف ما حكي في هذا الباب
ليعتبر به ذكر بعض العلما في مصنف له واظنه من المغاربة انه سمع من
ابي ذر الهروي الحافظ يحكي انه كان ببغداد يقرأ على ابي حفص بن شاهين في
دكان عطار وانه شاهد رجلا جاء الى العطار فدفع اليه عشرة دراهم وطلب
منه حوائج وجعلها في طبق ووضعه على راسه فزلق طبقه وتفرقت حوائجه
فبكى واشتد بكاؤه وقال لقد ضاع مني في قافلة كذا وكذا هميان فيه
اربعمائة دينار او قال اربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها اكثر من
ذلك فما جزعت لضياعها ولكن ولد لي الليلة ولد فاحتجنا في البيت الى
ما

ما نحتاج اليه النفسا ولم يكن عندي غير هذه العشرة الدراهم فلما قدر الله
بما قدر جزعت وقلت لا انا عندي ما ارجع به اليوم الى اهلي ولا اما اكتسبه غدا و
لم يبق لي حيلة الا الفرار عنهم وتركهم على هذه الحال فيهلكون بعدي فلم املك نفسي
ان جزعت هذا الجزع قال ابو ذر ورجل من شيوخ الجند جالس على باب داري
فسمع هذا كله فسأل الجندي ابا حفص ان يدخل هو واصحابه والرجل المصاب معه
في بيته ففعل وطلب من الرجل المصاب اعادة حكايته في الهميان فاعاد ذلك عليه
وسأله عمن كان في تلك القافلة وعن المكان الذي ضاع فيه الهميان فاخبره ثم
سأله عن صفة الهميان وعلامته فاخبره بذلك فقال لو رأيته كنت تعرفه
قال نعم قال فاخرجه اليه فلما رآه قال هذا الهميان الذي سقط وفيه من الاحجار
ما صفته كذا وكذا افتح الهميان فوجد الاحجار على ما وصف فدفعه اليه وخرج
من عنده وقد صار من الاغنيا فلما خرج بكى الشيخ الجندي بكاء شديدا
فسئل عن سبب بكائه فقال انه لم يكن بقي لي في الدنيا امل ولا امنية
الا ان يأتي الله بصاحب هذا المال فيأخذه فلما قضى الله ذلك بفضله
ولم يبق لي امل علمت انه قد حان اجلي قال ابو ذر فما انقضى شهر
حتى توفي وصلينا عليه رحمه الله وخرج هذا المصنف ايضا في كتابه عن رجل
حكى بالموصل ان رجلا كان عندهم تاجر يسافر بتجارته الى البلدان
فسافر مرة بجميع ماله او ما يملكه الى الكوفة فوافقه في ذلك السفر رجل
فخدمه فاحسن خدمته فانس به حتى وثق به فاستغفله في بعض المنازل
واخذ دابته وما عليها من المال والمتاع ولم يبق له شيأ البتة واجتهد في
طلبه فلم يقع له على خبر ولا اثر فرجع الى بلده راجلا جائعا فدخل المدينة
ليلا وهو على تلك الحال فطرق بابه فلما احس به اهله سروا وقالوا الحمد لله
الذي جاء بك هذا الوقت فان اهلك قد ولدت اليوم ولدا وما وجدنا ما
نشتري به ما نحتاج اليه النفسا ولقد كانت هذه الليلة طاوية فاشترينا
دقيقا ودهنا نسرج به فلما سمع ذلك زاد في غمه وكربه وكره ان يخبرهم
بما جرى له فيحزنهم فخرج الى حانوت رجل كان بالقرب من داره فسلم عليه

واخذ منه دهنا وغيره مما يحتاج فبينما هو يخاطبه اذ التفت
فرأى خرجه الذي هرب به خادمه مطروحا في داخل الحانوت
فسأله عنه فقال ان رجلا ورد علي بعد العشا واشترى مني عشاه
واستضافني فاضفته فجعلت خرجه في حانوتي ودابته في دار
جارنا والرجل بايت في المسجد فنهض الى المسجد ومعه الخرج فوجد الرجل
نايما فرفسه فاستيقظ مذعورا فقال له اين مالي يا خاين فقال
هو ذا على عنقك والله ما فقد منه ذرة واستخرج الدابة من موضعه
ووسع على اهله واخبرهم حينئذ بخبره ويشبه هذه
الحكايتين ما حكاه التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة و
الحكاية طويلة ملخصها ان رجلا كان ببغداد في زمن الرشيد و
كان صيرفيا فابتاع جارية بخمسماية دينار وشغف بها حتى تعطل
عن معاشه بسبب ملازمتها وانفق راس ماله حتى لم يبق معه
شيء وحملت جاريته فصار ينقض داره ويبيع انقاضها
حتى فرغت ولم يبق له حيلة فضربها الطلق وهو على تلك الحالة
وطلبت منه ما يصلح للنسا وشكت اليه انها تموت ان لم يعجل
عليها بذلك فبكى وخرج على وجهه وهم ان يغرق نفسه في دجلة
ثم خاف عقاب الله فامتنع وخرج ماشيا على قدميه من قرية الى
قرية حتى بلغ خراسان فاقام بها واكتسب بها مالا وكتب الى
بلده ستة وستين كتابا ليعترف خبر الجارية فلم يعد اليه
جوابا فلم يشك ان الجارية ماتت ثم رجع الى بغداد بعد مدة طويلة
ومعه قيمة عشرين الف دينار فخرج على قافلته اللصوص فاخذ ما كان
معه كله وعاد شابه فقيرا ولم يزل يتوصل حتى دخل بغداد فقيرا كما خرج
منها بعد ان غاب عنها قريبا من ثلاثين سنة فقصد داره فوجدها عامرة
وبابها حسن وعليه بواب وغلمان وبغال فسأل عن الدار لمن هي فقيل
هي

هي دار لابن فلان الصيرفي وسموا الرجل باسمه قالوا وهو من
داية امير المؤمنين وهو جهبذه وصاحب بيت ماله ف
اخبره الذي ساله ان ابا هذا الرجل صاحب الدار كان صيرفيا جليلا فافتقر وان
ام الصبي ضربها الطلق فخرج ابوه يطلب لها شيأ ففقد فهلك وان امه ارسلت
الى بعض الجيران تستغيث بهم فقاموا اليها بحوايج الولادة ثم انه ولد لامير
المؤمنين ولد ذكر وذلك الولد هو المامون وانه عرض عليه جميع الدايات فلم
يقبل ثدي احداهن فارشدوا الى ام هذا الصبي فحملت الى دار الرشيد فحين وضع
فم المولود على ثديها قبله وارتضع وصارت عندهم في حال جليلة ثم
لما ولي المامون الخلافة كانت المرأة وابنها معه فبنى ابنها هذه الدار وساله
عن امه احية قال نعم وهي تمضي الى دار الخليفة اياما وتكون عند ابنها اياما
فجاء الرجل الصيرفي حتى دخل الدار مع الناس فرآها في غاية الحسن ورأى
في صدرها شابا يشبهه وبين يديه الكتاب والموازين والاموال يقبضون
ويقبضون فجلس الرجل في غمار الناس حتى تفرقوا ولم يبق غيره فقال له الشاب
يا شيخ هل من حاجة قال نعم انا ابوك قال فتغير وجهه ووثب مسرعا ثم
استدعاه الى داره واجلسه على كرسي وهناك ستارة فقال له الشيخ لعلك
ان تختبر صدق قولي من جهة فلانة وذكر اسم جاريته ام الصبي فسمعت
الجارية صوته فرفعت الستارة وخرجت الى مولاها وجعلت تقبله وتبكي
واخبرها بخبره ومن حين خروجه من عندها الى ان رجع فقام ولده و
اعتذر اليه من تقصيره واصلح حاله ثم ادخله على المامون فحدثه بحديثه
فخلع عليه وصيره جهبذا له على ما كان عليه ابنه واجرى له الرزق وقلد
ابنه عملا اجل من عمله وروى المعافا ابن زكريا النهرواني باسناده عن
سوار القاضي انه خرج يوما من دار المهدي فدخل داره فدعا بغدائه فجاشت
نفسه فرده ثم دعا بجاريته فلم تطب نفسه فدخل للقايلة فلم ياخذه النوم
فنهض وركب بغلته فلقي وكيلا له في الطريق ومعه الفا درهم فقال له امسكها معك
واتبعني وخلى بغلته فذهبت به فحضرت الصلاة وهو في بعض الشوارع فدخل
فصلى في مسجد هناك فلما قضى صلاته اذا هو باعمى يتلمس فقال له ما تريد قال له

اريدك قال وما حاجتك قال شممت منك ريح الطيب فظننت انك من اهل النعم
فاردت ان القي اليك شيا قال قل قال هل ترى هذا القصر لقصر هناك قال نعم قال فانه كان لابي
فباعه ثم خرج الى خراسان فخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا فيها فتقدمت فاتيت صاحب
الدار لاسئله شيا يصلني به واصير الى سوار القاضي فانه كان صديقا لابي قال سوار فقلت
من ابوك قال فلان بن فلان فاذا هو اصدق الناس الي فقلت له فان الله قد اتاك بسوار
منعه الطعام والشراب والنوم وجاء به بين يديك ثم دعا سوار وكيله واخذ منه الدراهم
فدفعها اليه وقال له اذا كان غدا فصر الي قال سوار ثم دخلت على المهدي فحدثته بهذا
الحديث فاعجبه وامر للاعمى بالفي دينار وامر لسوار بثلثة الف دينار قال سوار فجاءني
الاعمى فدفعت اليه الفي دينار وقلت له قد رزق الله بكرامة ابيك خيرا كثيرا واعطيته
من مالي الفي دينار ايضا وخرج ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة باسناده عن
وضاح ابن خيثمة قال امرني عمر بن عبد العزيز باخراج من في السجن فاخرجتهم الا يزيد ابن ابي
مسلم فنذر دمي فاني لبافريقية اذ قيل قدم يزيد ابن ابي مسلم يعني اميرا على افريقية
فهربت منه وارسل في طلبي فاخذت فاتي بي اليه فقال والله لطال ما سئلت الله ان يمكنني
منك فقلت وانا والله طال ما استعذت الله من شرك قال والله ما اعاذك والله لاقتلنك ثم
والله لاقتلنك ثم والله لاقتلنك لو سابقني ملك الموت الى قبض روحك لسبقته علي بالسيف
والنطع قال فجيء بالنطع فاقعدت عليه وكتفت وقام قائم على راسي بالسيف مشهورا
واقيمت الصلاة فخرج الى الصلاة فلما سجد اخذته سيوف الجند فقتل فجاءني رجل فقطع
كتافي بسيفه وقال لي انطلق وعن عمر السرايا وكان يغير في بلاد الروم
وحده فبينا هو نائم ذات يوم اذ ورد عليه علج منهم فحركه برجله فانتبه
فقال يا اعرابي اختر ان شئت مطاعنة وان شئت مسايفة وان شئت
مصارعة فقلت اما المطاعنة والمسايفة فلا بقاء لهما ولكن المصارعة
فنزل فصرعني وجلس على صدري وقال اي قتلة اقتلك فرفعت راسي فقلت
اشهد ان كل معبود ما دون عرشك الى قرار الارضين باطل غير وجهك الكريم قد
ترى ما انا فيه ففرج عني قال فاغمي علي فافقت فاذا الرومي قتيل الى جنبي وروى
ابو الحسن ابن جهضم باسناده عن حاتم الاصم قال لقينا الترك فكان بيننا جولة
فرماني تركي فقلبني عن فرسي ونزل فقعد على صدري واخذ بلحيتي واخرج من خفه سكينا
فما كان قلبي عنده ولا عند سكينه وانما كان عند سيدي فقلت سيدي ان قضيت علي ان تذبحني
هذا فعلى الراس والعين وانما انا لك وملكك فبينما انا على هذه الحال اذ رماه بعض المسلمين
بسهم فما اخطا حلقه فسقط عني فقمت انا اليه واخذت السكين من يده فذبحته بها فما هو
الا ان يكون قلوبكم عند السيد حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الاباء والامهات وهذا
باب يطول ذكره جدا فلنقتصر على ما ذكرناه ففيه كفاية

قوله صلى ا

ما تحتاج اليه النفسا ولم يكن عندي غير هذه العشرة الدراهم فلما
قدر الله بما قدر جزعت وقلت لا انا عندي ما ارجع به اليوم الى اهلي ولا
ما اكتسب غدا ولم يبق لي حيلة الا الفرار عنهم وتركهم على هذه الحال فيهلكون
بعدي فلم املك نفسي ان جزعت هذا الجزع قال ابو ذر ورجل من شيوخ
الجند جالس على باب داره فسمع هذا كله فسئل الجندي ابا حفص ان يدخل
هو واصحابه والرجل المصاب معه الى بيته ففعل وطلب من الرجل اعادة
حكايته في الهميان فاعاد ذالك عليه وسال عمن كان في تلك القافلة و
عن المكان الذي ضاع فيه الهميان فاخبره ثم ساله عن صفة الهميان و
علامته فاخبره بذالك فقال لو رايته كنت تعرفه قال نعم قال فاخرجه اليه
فلما راه قال هذا الهميان الذي سقط وفيه من الاحجار ما صفته كذا وكذا
ففتح الهميان فوجد الاحجار على ما وصف فدفعه اليه وخرج من عنده وقد
صار من الاغنيا فلما خرج بكى الشيخ الجندي بكاء شديدا فسئل عن سببه فكانه
فقال انه لم يكن بقي لي في الدنيا امل ولا امنية اتمناها الا ان ياتي الله بصاحب
هذا المال فياخذه فلما قضى الله ذالك بفضله ولم يبق لي امل علمت انه قد
حان اجلي قال ابو ذر فما انقضى شهر حتى توفي وصلينا عليه رحمه الله وفي
هذا المعنى حكايات كثيرة عجيبة تركناها قوله صلى الله عليه وسلم وان مع
العسر يسرا هذا منتزع من قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا و
قوله فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وروى حميد بن حماد بن
ابي الحوار ثنا عائذ بن شريح سمعت انس بن مالك يقول كان النبي
صلى الله عليه وسلم جالسا وحياله جحر فقال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر
لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا اخرجه ابن ابي حاتم في تفسيره وخرجه البزار في مسنده
ولفظه لو جاء العسر حتى يدخل هذا الجحر لجاء اليه اليسر حتى يخرجه ثم قال
ان مع العسر يسرا وحميد بن حماد هذا ضعيف وخرج ابن ابي حاتم من رواية حميد
مبارك بن ابي فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين

ع المصابيح

اثنين وخرج ابن جرير من رواية معمر عن الحسن قال خرج النبي صلى الله
عليه يوما مسرورا فرحا وهو يقول لن يغلب عسر يسرين فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا وخرجه ايضا من رواية عوف ويونس
عن الحسن مرسلا ايضا ومن حديث قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشر اصحابه بهذه الآية فقال لن يغلب عسر يسرين
ومن حديث عبد الله بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده ان ابا عبيدة
حصر فكتب اليه عمر يقول مهما ينزل بامرء من شدة يجعل الله له بعدها فرجا
وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تعالى يقول اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون وكذا قال ابن عباس وغيره من المفسرين في
هذه الآية لن يغلب عسر يسرين كان بعض المتقدمين ليلة في البادية
في غم شديد فالقي في روعه بيت من الشعر فقال اري الموت لمن اصبح
مغموما له اصلح فلما جن عليه الليل سمع هاتفا يهتف شعرا

الا ايها المرء الذي بالهم لم يبرح ◦ وقد انشد بيتا لم يزل في ذكره يسنح
اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح ◦ فعسر بين يسرين اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله غمي وقد اكثر الشعرا من القول في هذا
المعنى ونذكر قطعة منتخبة من محاسن ما قيل في ذلك

تصبر فان عقبى الصبر خير ◦ ولا تجزع لنائبة تنوب
فان اليسر بعد العسر يأتي ◦ وعند الضيق تنكشف الكروب
وكم جزعت نفوس من امور ◦ اتى من دونها فرج قريب

ولبعضهم

فلا تجزع وان اعسرت يوما ◦ فقد ايسرت في الزمن الطويل
ولا تظن بربك ظن سوء ◦ فان الله اولى بالجميل
ولا تيأس فان اليأس كفر ◦ لعل الله يغني عن قليل
فان العسر يتبعه يسار ◦ وقيل الله اصدق كل قيل

ولبعضهم

مفتاح باب الفرج الصبر ◦ وكل عسر بعده يسر
فالدهر لا يبقى على حالة ◦ والامر يأتي بعده الامر

ولبعضهم

فالدهر لا يبقى على حالة ◦ والامر يأتي بعده الامر ولبعضهم اذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب ◦ واوطنت المكاره واطمانت ◦ وارست في اماكنها الخطوب

ولبعضهم

عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى ◦ له فرجا مما الح به الدهر
عسى فرج يأتي به الله انه ◦ له كل يوم في خليقته امر
اذا لاح عسر فارج يسرا فانه ◦ قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

ولنختم الكتاب بذكر نبذة يسيرة من لطائف البلايا وفوائدها وحكمها
فمنها تكفير الخطايا بها والثواب على الصبر عليها وهل يثاب على البلا بنفسه
فيه اختلاف بين العلما ومنها تذكير العبد ذنوبه فربما تاب ورجع منها الى
الله عز وجل ومنها زوال قسوة القلب وحدوث رقتها قال بعض السلف ان العبد
ليمرض فيذكر ذنوبه فيخرج منه مثل راس الذباب من خشية الله فيغفر له
ومنها انكساره لله عز وجل وذله له وذلك احب الى الله من كثير من طاعات
الطائعين ومنها انها توجب للعبد الرجوع بقلبه الى الله عز وجل والوقوف
ببابه والتضرع له والاستكانة وذلك من اعظم فوائد البلا وقد ذم الله
من لا يستكين له عند الشدائد قال تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا
لربهم وما يتضرعون وقال ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء
والضراء لعلهم يتضرعون وفي بعض الكتب السابقة ان الله ليبتلي العبد وهو يحبه
ليسمع تضرعه وقال سعيد بن عبد العزيز قال داود عليه السلام سبحان مستخرج
البلا بالدعا وسبحان مستخرج الشكر بالرخا ومر ابو جعفر محمد بن علي بمحمد بن
المنكدر وهو مغموم فسئل عن سبب غمه فقيل له الدين قد فدحه فقال ابو
جعفر افتح له في الدعا قيل نعم قال لقد بورك لعبد في حاجة اكثر منها من دعاء
ربه كائنة ما كانت وكان بعضهم اذا فتح له في الدعا عند الشدائد لم يحب
تعجيل اجابته خشية ان يقطع عما فتح له وقال ثابت اذا دعا الله المؤمن
بدعوة وكل الله جبريل بحاجته فيقول الله لا تعجل باجابته فاني احب ان اسمع
صوت عبدي المؤمن وروي مرفوعا من وجوه ضعيفة راى بعض السلف رب
العزة في نومه فقال يا رب كم ادعوك ولا تجيبني قال اني احب ان اسمع صوتك و
منها ان البلا يوصل الى قلبه لذة الصبر عنه او الرضا به وذلك مقام عظيم جدا
وقد تقدمت الاشارة الى فضل ذلك وشرفه ومنها ان البلا يقطع قلب المؤمن
عن الالتفات الى المخلوق ويوجب له الاقبال على الخالق وحده وقد حكى الله عن
المشركين اخلاص الدعا له عند الشدائد فكيف بالمؤمن فالبلا يوجب للعبد

تحقيق التوحيد بقلبه وذالك اعلى المقامات واشرف الدرجات وفي الاسرائيليات
يقول الله عز وجل البلى يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك
فصل واذا اشتد الكرب وعظم الخطب كان الفرج حينئذ قريبا
في الغالب كما قال تعالى حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
وقال تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله
قريب واخبر عن يعقوب عليه السلام انه لم ييأس من لقاء يوسف وقال
لاخوته اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله وقال
فائدة عسى الله ان يأتيني بهم جميعا **ومن لطائف** اسرار اقتران الفرج باشتداد
الكرب ان الكرب اذا اشتد وعظم وتناهى ووجد الاياس من كشفه من جهة المخلوقين
ووقع التعلق بالخالق وحده استجاب له وكشف عنه **فان التوكل** هو قطع الاستشراف
باليأس من المخلوقين كما قال الامام احمد واستدل عليه بقول ابراهيم عليه السلام
لما عرض له جبرئيل في الهوى وقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا **والتوكل** من اعظم
الاسباب التي تطلب بها الحوائج فان الله يكفي من توكل عليه كما قال تعالى ومن يتوكل على
الله فهو حسبه **وقال الفضيل** والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئا
لاعطاك مولاك كل ما تريد **ومنها** ان العبد اذا اشتد عليه الكرب فانه
يحتاج حينئذ الى مجاهدة الشيطان لانه يأتيه فيقنطه ويسخطه فيحتاج
العبد الى مجاهدته ودفعه فيكون ثواب مجاهدة عدوه ودفعه دفع البلى
عنه ورفعه **ولهذا** في الحديث الصحيح يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت
فلم يستجب لي فيدع الدعا **ومنها** ان المؤمن اذا استبطأ الفرج وايس منه
ولا سيما بعد كثرة دعائه وتضرعه ولم يظهر له اثر الاجابة رجع الى نفسه
باللائمة ويقول لها انما اتيت من قبلك ولو كان فيك خير لاجبت **وهذا
اللوم** احب الى الله من كثير من الطاعات فانه يوجب انكسار العبد لمولاه
واعترافه له بانه ليس باهل لاجابة دعائه فلذلك يسرع اليه حينئذ
باجابة الدعاء وتفريج الكرب فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من اجله
وعلى قدر الكسر يكون الجبر **قال وهب** تعبد رجل زمانا ثم بدت له الى الله
حاجة فصام سبعين سبتا يأكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سأل الله حاجته
فلم يعطها فرجع الى نفسه فقال منك اتيت لو كان فيك خير اعطيت حاجتك
فنزل اليه عند ذلك ملك فقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك
التي

التي مضت وقد قضى الله حاجتك **شعرا**

اهين لهم نفسي لكي يكرمونها ❊ ولن تكرم النفس التي لا تهينها ❊

فمن تحقق هذا وعرفه وشاهده بقلبه علم ان نعم الله على عبده
المؤمن بالبلاء اعظم من نعمه في الرخاء **وهذا** تحقيق معنى الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الله للمؤمن من قضاء الا كان خيرا له ان
اصابته سراء فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له
وليس ذلك الا للمؤمن **ومن ههنا** كان العارفون بالله لا يختارون احدى
الحالتين على الاخرى بل ايهما قدر الله رضوا به وقاموا بعبوديته اللائقة و
في المسند والترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي
ربي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا
جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك **وقال**
عمر ما ابالي اصبحت على ما احب او على ما اكره لاني لا ادري الخير فيما احب
او فيما اكره **وقال عمر** بن عبد العزيز اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القضا
والقدر **يا هذا** كم نستدعيك الينا وانت تفر منا ❊ نسبغ عليك النعم
فتشتغل بها عنا وتنسانا فنفرغ عليك البلى لترد الينا وتقف على بابنا
ونسمع تضرعك البلاء يجمع بيننا وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك

شعرا ❊ ان جرا بيننا وبينك عتب ❊ او تناءت منا ومنك الديار ❊

❊ فالوداد الذي عهدت مقيم ❊ والايادي الذي عهدت غزار ❊

❊ كم لنا في طي البلايا من منح ❊ وعطايا وفي الزوايا خبايا ❊

يا هذا ان شكرت نعمنا عليك فتوفيقك للشكر من جملة نعمنا فاشكره ❊
وان صبرت على بلائنا فالصبر من جملة فضلنا فاذكره ❊ فكل ما تتقلب
فيه فهو من نعمنا فلا تكفره ❊ وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان
لظلوم كفار **شعرا**

❊ اذا كان شكري نعمة الله نعمة ❊ علي له في مثلها يجب الشكر ❊

❊ فكيف وقوع الشكر الا بفضله ❊ وان طالت الايام واتصل العمر ❊

اذا مس بالسراء عم سرورها * وان مس بالضراء اعقبها الاجر *
وما منهما الا له فيه منة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر *

آخره والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد و
واله وصحبه اجمعين تم الكتاب ولله الحمد والمنه على يد
كاتبه لنفسه عبده عبدالله بن ابراهيم بن محمد بن
ربيعه المعروف بالربيعي وذالك في عشية
الاربعاء يوم ستة وعشرين رجب
١٣٣٣ سنة
ولله الحمد والمنه
على بدايته وختامه
جعله الله معونة على
طاعته ومقربا الى
رضاه وكرامته
امين

بلغ مقابلة وتصحيحا على حسب الطاقة على يد كاتبه غفر الله له ولوالديه والمسلمين انه ارحم الراحمين وذالك في ١٠ شوال ١٣٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الاسلام
ابن تيمية رحمه الله تعالى فصل في قوله تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها الآية في سورة الانعام وقوله من جاء بالحسنة
فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم
في النار الآية وكذالك في آخر سورة القصص من جاء بالحسنة فله خير منها و
من جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيآت الا ما كانوا يعملون وقال في سورة
البقرة بلى من كسب سيئة الآية قال فالذين قالوا ان الحسنة هي التوحيد
والسيئة هي الشرك كما ذكر ذالك عن الصحابة والتابعين ولم يذكر خلافا قوله
تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة
فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون وذالك لان جميع اعمال البر
داخلة في التوحيد والتوحيد هو معنى قول لا اله الا الله وهو ان يعبد الله و
حده بما شرع وامر وهو العمل لله بامر الله كما قال تعالى بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكل عمل من اعمال
الله فهو جزء من التوحيد ومن العمل لله توحيده في العمل له ومن عبادة الله
توحيده

[illegible]

توحيده ومن فروع ذالك قال تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها الايات فالكلمة
الطيبة هي كلمة التوحيد وهي كالشجرة الطيبة والاعمال الصالحة ثمارها في كل وقت
فجميع الاعمال الصالحة الحسن يضاعف لصاحبها وجميعها من عبادة الله وحده
وهي فروع قول لا اله الا الله بل الاعمال الصالحة هي حقيقة قول لا اله الا الله
فان الايمان قول وعمل وهو بضع وستون او بضع وسبعون شعبة اعلاها
قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق فمن قال الحسنة لا اله الا
الله لم يرد ان هذه الكلمة وحدها هي الحسنة دون العمل بمقتضاها بل هي عنده
هي الشجرة الجامعة فالاعمال فروعها وثمارها هي داخلة فيها ثمرها وفروعها و
كذالك السيئة فان السيئة هي العمل لغير الله وهذا هو الشرك فان الانسان هو
همام حارث لا بد له من عمل ولا بد له من مقصود يعمل لاجله فالعمل لله هو الاخلاص
والتوحيد والعمل لغيره هو الشرك وان عمل العبد لله ولغيره فذالك ايضا شرك
والذنوب كلها جزء من الشرك وفروع لها فانها جميعها من طاعة الشيطان و
اتباع خطواته وعبادته كما قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقال تعالى انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه الى قوله مشركون
وقال الشيطان اني كفرت بما اشركتموني من قبل وفي دعاء ابي بكر الذي علمه اياه
النبي صلى الله عليه وسلم واعوذ بك من الشيطان وشركه ولكن اذا كان الانسان موحدا
وقد فعل بعض الذنوب نقص بذالك ايمانه وتوحيده بحسبه كما قال صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ومن ليس بمؤمن ليس بمخلص فانه
لله مؤمن وفي الصحيح ايضا تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش ان اعطي رضي و
ان لم يعط سخط وقال من حلف بغير الله فقد اشرك وقال الشرك في هذه الامة اخفى
من دبيب النمل فهذا قد خلص من الشرك الاكبر واما الاصغر فلا يخلص منه الا من خلص
من الذنوب وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وهو يعلم ان لا اله الا
الله دخل الجنة وقال اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من شهد ان لا اله الا الله
خالصا من قلبه وقال من شهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد

غير شاك فيهما فيحجب عن الجنه وقال من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله حرمه على النار وقال ما من رجل يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار وقال من قال لا اله الا الله مستيقنا بها
قلبه بشره بالجنة وقال لا يشهد احد ان لا اله الا الله واني رسول الله فيدخل
النار او فتطعمه النار وقال من قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل
الجنة وان زنى وان سرق قال البخاري هذا عند الموت اذا تاب وندم و
قال لا اله الا الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من مات لا يشرك بالله شيا
دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيا دخل النار وهذه الاحاديث انما
هي فيمن قالها ومات على ذلك كما جاءت مقيدة وقالها خالصا من قلبه مستيقنا
بها قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد انجذاب الروح
الى الله جملة فمن شهد ان لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لان الاخلاص
انجذاب القلب الى الله بان يتوب من الذنوب توبة خالصة نصوحا فاذا مات
على هذه الحال نال ذلك فانه قد تواترت الاحاديث بانه يخرج من النار من قال
لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ما يزن خردلة ما يزن
ذرة وتواترت بان كثيرا من يقول لا اله الا الله يدخل النار ثم يخرج منها بالشفاعة
وتواترت بان الله حرم على النار ان تاكل آثار السجود من ابن آدم فهؤلاء كانوا
يصلون ويسجدون لله فمن اخلص لله الدين وصدق في العمل وقال لا اله الا
الله امتنع ان تكون سياته ارجح من حسناته فاذا رجحت حسناته حرم على النار
لانه اذا قالها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصرا على ذنب فان كمال
اخلاصه ويقينه يوجب ان يكون الله احب اليه من كل شيء واخوف عنده
من كل شيء فاذا لا يبقى في قلبه ارادة ما حرم الله ولا كراهته لما امر الله و
هذا هو الذي يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك فان هذا الايمان
والتوبة محيا ذلك فان قالها على وجه الكمال المانع من الشرك والاصغر فهذا
غير مصر على ذنب اصلا وان قالها على وجه يخلص من الشرك الاكبر دون الاصغر
ولم يات بما ينا قض ذالك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيات فترجح
بها الحسنات كما جاء في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته
في الجنة بقدر ذنوبه بخلاف من رجحت سياته ومن مات وهو مصر على ذالك
فانه

فانه يستوجب النار وان كان قد قال لا اله الا الله وتخلص بها من الشرك الاكبر
لكنه لم يمت على ذالك بل اتى بعد ذالك سيات رجحت على حسنة توحيده
فانه في حال قولها كان مخلصا لكنه اتى بذنوب اوهت ذالك التوحيد و
الاخلاص فاضعفته وقويت نار الذنوب حتى احرقت ذالك بخلاف المخلص
المتيقن فان حسناته لا تكون الا راجحة على سياته ولا يكون مصرا على سيئة
فان مات على ذالك دخل الجنة وانما يخشى على المخلص ان ياتي بسيات راجحة
فيضعف ايمانه فلا يقولها باخلاص ويقين مانع من جميع السيات ويخشى
عليه من الشرك الاكبر والاصغر فان سلم من الاكبر بقي معه من الاصغر و
الاصغر ثم يضيف الى ذالك سيات تنضم اليه فترجح جانب السيات فهؤلاء
لم يقولوها بكمال الصدق واليقين بل يقولونها من غير يقين وصدق ويموتون
على ذالك ولهم سيات كثيرة تمنعهم دخول الجنة واذا كثرت الذنوب ثقل اللسان
بقولها وقسى القلب عن قولها وكره العمل الصالح وثقل عليه سماع القرآن و
استبشر بذكر غير الله واطمأن الى الباطل واستحلى الرفث واحب مخالطة
اهل الغفلة وكره مخالطة اهل الحق فمثل هذا اذا قالها قال بلسانه ما
ليس في قلبه وبقلبه ما ليس يصدقه عمله كما قال الحسن ليس الايمان بالتحلي
ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال خيرا وعمل
خيرا قبل منه ومن قال خيرا وعمل شرا لم يقبل منه وقال بكر بن عبد الله المزني
ما سبقهم ابو بكر بكثير صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره فمن قال
لا اله الا الله ولم يقم بموجبها بل اكتسب مع ذالك ذنوبا وسيات وكان صادقا
في قولها موقنا بها لكن ذنوبه اضعفت صدقه ويقينه وانضاف
الى ذالك الشرك الاصغر العملي رجحت هذه الاشياء على هذه الحسنة ومات مصرا
على الذنوب بخلاف من يقولها بيقين وصدق تام فانه لا يموت مصرا على الذنوب
واذا اسلم من الشركين والذين يدخلون النار ممن قالها قد فاتهم احد هذين
الشرطين اما انهم لم يقولوها بصدق ويقين تامين ينافيان السيات او
رجحان السيات او قالوها واكتسبوا بعدها سيات رجحت على حسناتهم فقول
السلف في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ امنون

وان هذه الحسنة قول لا اله الا الله فانما هي حسنة وافا بها العبد
ربه يوم القيمة لم يشبها بشرك من الاكبر والاصغر ولا اضعفتها الذنوب
بحيث رجحت السيات عليها بل قابلها كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصدق ويقين ثم مات على ذلك فان مثل هذا يكون قائما بالواجبات مجتنبا
للمحرمات او تكون حسناته ارجح من سياته واما السيئة التي من جاء
بها كب على وجهه في النار فهي الشرك الاكبر فان الله لا يغفر ان يشرك به
والموجبات من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك بالله
شيا دخل النار وكثير من الناس يدخل في الايمان والتوحيد ثم ينافق فيدخل
عليه انواع من الشرك والنفاق والشرك نوعان اكبر واصغر فمن خلص
منهما وجبت له الجنة البتة ومن مات على الشرك الاكبر وجبت له النار
ومن خلص من الاكبر وحصل له بعض الاصغر مع حسنات راجحة عليه دخل
الجنة ناقص الدرجة فان تلك الحسنات هي توحيد كثير مع يسير من الشرك
الاصغر ومن خلص من الاكبر ولكن كثر فيه الشرك الاصغر حتى رجحت سياته على حسناته
دخل النار فالشرك سواء كان اكبر او اصغر قال بعض السلف هو داخل في
عموم قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به قلت اما الاصغر القليل في جانب
الاخلاص فهو مغمور وفي جانب الاخلاص من الاكبر فترجح حسناته على سياته
وان رجحت سياته على حسناته فقد نجا من الاكبر الذي يستحق به الخلود في النار
فيخرج منها برحمة الله وبما كان معه من التوحيد واما قوله تعالى بلى
من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فقال ابو الفرج ابن الجوزي السيئة ههنا
الشرك في قول ابن عباس وعكرمة وابي وائل وابي العالية ومجاهد وقتادة و
مقاتل ولم يحك الخلاف لانه يعتمد ان القول الآخر يقتضي خلود اهل التوحيد
وليس هو قول اهل السنة فاعرض عنه كما اعرض في قوله وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة عن قول منتظرة الى ثواب ربها وكذلك البغوي اعرض في ذكر
هذه الآية عن هذا واما آية سورة البقرة فقال بلى من كسب سيئة يعني
الشرك واحاطت به خطيئته اي احدقت به خطيئته والاحاطة الاحداق بالشيء
من جميع نواحيه كالحائط قال ابن عباس وعطا والضحاك وغيرهم في الشرك
يموت عليه وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة ان يصر عليها فيموت غير تائب
منها قال عكرمة والربيع ابن خثيم وقال مجاهد هي الذنوب تحيط في القلب
كلما

كلما عمل ذنبا ارتفع البنا في ذلك الحائط حتى يغشى القلب وهو الرين وقال
الكلبي اوبقت ذنوبه دليله الا ان يحاط بكم اي تهلكوا عن آخركم قلت
الصواب ذكر اقاويل السلف وان كان فيها مرجوح فهي اولى من ذكر المتاخرين كقول
ابن الجوزي وغيره فان ذلك القول ضعيف والحجة تبين ضعفه فلا يعدل عن
اقوال السلف لكونه قد وافقها طائفة من اهل البدع بل تذكر ويبين ضعفها
بالحجة وهم ينقلون عن بعض السلف ان هذه الآية غلط اخطأ فيها الكاتب كما في
قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه قال انما هو وصى ربك وكذلك قوله و
اذ اخذ الله ميثاق النبيين قال بعضهم ميثاق اهل الكتاب وقال انكر بعضهم
كثيرا من القرآن وكانت هذه الاقوال خطاء ومن انكر شيا من القرآن بعد تواتره
استتيب فان تاب والا قتل واما قبل التواتر فلا يستتاب بل يبين له ضعفه
وكذلك الاقوال التي جاءت الاحاديث بخلافها مثل قول من قال ان الله لا يرى
في الآخرة ونحو ذلك واقوال السلف ليست مصرحة في هذه الآية بخلود الكفار
وليس في الآية ما يدل على ذلك وانما فيها فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ولم يقل ابدا. وابن ابي حاتم ذكر الخلاف هنا ولم يذكره في آية الروم ولا في لابثين فيها
احقابا واما عبد بن حميد وامثاله وائمة العلما فذكروا اقوال السلف في هذا
وهذا وهذا هو الصواب وهو اعطاء العلم حقه قال عبد الرحمن بن مهدي اهل العلم
يكتبون ما لهم وما عليهم واهل الاهوى لا يكتبون الا ما لهم وقد روى ابن ابي حاتم
قال حدثنا ابو سعيد الاشج حدثني عبد الحميد حدثنا رجل يعني النظر الحفد
عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية بلى من كسب سيئة قال الشرك قال ابو محمد
وهكذا روي عن ابي وائل وابي العالية ومجاهد عن عطا وقتادة والحسن والربيع
ابن انس قال وروي عن الحسن قول آخر قال السيئة الكبيرة من الكبائر وروي عن
السدي نحوه وروي عن مجاهد قوله احاطت به خطيئته تغلبه وتعلوه وعن ابن
عباس من رواية ابن اسحاق وعن محمد بن ابي محمد عن سعيد بن جبير او عكرمة عن
ابن عباس واحاطت به خطيئته قال من قبل اعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم حتى يحيط
كفره ما له من حسنة وروي باسناده عن ابي هريرة واحاطت به خطيئته
قال احاط به شركه قال ابن ابي حاتم وروي في تفسير هذه الخطيئة ثلاثة اقاويل
احدها ما تقدم والوجه الثاني حدثني ابو سعيد الاشج واحمد بن سنان قال

حدثني ابو يحيى الحماني حدثني الاعمش عن ابي رزين عن الربيع بن خثيم واحاطت
به خطيئته قال الذي يموت على خطاياه وعن ابي ذر والاعمش نحوه والوجه
الثالث رواه من طريق ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية واحاطت
به خطيئته قال الكثيرة من الذنوب الموجبة قال وروي عن الحسن من رواية
سلام بن مسكين ومجاهد وقتادة والربيع ابن انس نحو ذلك قلت هؤلاء
الذين جعلوا اصحاب الكبائر الذين يموتون عليها داخلين في هذا الوعيد لم يقولوا
انهم لا يخرجون من النار لا بشفاعة ولا غيرها كما من ذلك من لم يحك اقوالهم
بل الحسن البصري هو ممن قال ذلك وقد ثبت عنه في الصحيحين انه روى
حديث الشفاعة في اهل الذنوب عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم و
انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فيكون عند هؤلاء
قوله اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان هذا خلود اهل الذنوب من اهل التوحيد
ليس مؤبدا وقد جاء لفظ التابيد في قوله صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل
نفسه بحديدة فحديدته في بطنه يتوجا بها في نار جهنم خالدا مخلدا فيها
ابدا ومن تردى من مكان شاهق فمات فهو يتردى من شاهق في نار جهنم
خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا
فيها ابدا والمعصية تتناول الذنوب والشرك وقد قال تعالى ومن يعص الله
ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا وقد بسط الكلام في الفرق بين
خلود اهل التوحيد وخلود المشركين في غير هذا الموضع وبين ان هؤلاء لا يخرجون
من النار مع ان هؤلاء ماكثون فيها ابدا لكن هل تفنى النار فيفنى عذابها على قولين
روى ذلك غير واحد من السلف كما قد بسط الكلام في غير هذا الموضع والله اعلم
انتهى كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وله ايضا ليس شيء يبطل
جميع السيئات الا التوحيد كما انه ليس شيء يبطل الحسنات الا الردة انتهى
قال الحسن البصري في كلام له قال الله عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته وما تدبر آياته الا اتباعه اما والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده
حتى ان احدهم ليقول قد قرأت القرآن كله فما اسقطت منه حرفا وقد اسقطه والله
كله وقال ابن مسعود من كفر بحرف منه يعني من القرآن فقد كفر به اجمع قال ابن الجوزي
الطباع كالماء تجري فاذا رد بسكر وقف عن جريانه فكما ينبغي ان تتعاهد ذلك السكر
بالاحكام ينبغي ان تتعاهد هذه الطباع بالزواجر العظام

كتاب العقيدة الواسطيه تاليف الشيخ الامام وقدوة العلما الاعلام شيخ الاسلام تقي الدين ابي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه واسكنه فسيح جنته آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله وكفى بالله شهيدا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له اقرارا به وتوحيدا واشهد ان محمدا
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما مزيدا اما
بعد فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام
الساعة اهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره
وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه
في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من
غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون
بان الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن
مواضعه ولا يلحدون في اسماء الله وآياته ولا يكيفون و
لا يمثلون صفاته بصفات خلقه لانه سبحانه وتعالى لا سمي
له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه وتعالى
اعلم بنفسه وبغيره واصدق قيلا واحسن حديثا من خلقه

ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا
يعلمون ولهذا قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين فسبح نفسه عما
وصفه به المخالفون لرسله وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه
من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه
بين النفي والاثبات فلا عدول لاهل السنة والجماعة عما جاءت به
المرسلون فانه الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما
وصف به نفسه في سورة الاخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث
يقول قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد وما وصف به نفسه في اعظم آية في كتاب الله تعالى حيث يقول
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم الآية وقوله
ولا يؤده حفظهما اي لا يكرثه ولا يثقله ولهذا كان من قرأ هذه
الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى
يصبح وقوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده و
قوله سبحانه هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم
وقوله سبحانه وهو العليم الحكيم وهو العليم الخبير وقوله يعلم ما
يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
الا في كتاب مبين وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه و
قوله لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء
علما وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقوله ليس كمثله
شيء

شيء وهو السميع البصير وقوله ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا
بصيرا وقوله ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا
بالله وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم
البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما
اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقوله احلت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد و
قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان
يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء وقوله و
احسنوا ان الله يحب المحسنين واقسطوا ان الله يحب المقسطين فما
استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين ان الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين فسوف يأت الله بقوم يحبهم و
يحبونه وقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقوله بسم الله الرحمن الرحيم وقوله
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وكان بالمؤمنين رحيما ورحمتي
وسعت كل شيء كتب ربكم على نفسه الرحمة وهو الغفور الرحيم فالله
خير حافظا وهو ارحم الراحمين وقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه
وقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب
الله عليه ولعنه وقوله ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا
رضوانه وقوله فلما آسفونا انتقمنا منهم وقوله ولكن كره الله
انبعاثهم فثبطهم وقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون و
قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي
الامر هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض
آيات ربك كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا

وقوله وهو الغفور الودود

ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله و
يبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام كل شيئ هالك الا وجهه وقوله
ما منعك ان لا تسجد لما خلقت بيدي وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق
كيف يشاء وقوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا وحملناه على
ذات الواح ودسر تجري باعيننا جزاء لمن كان كفر والقيت عليك
محبة مني ولتصنع على عيني وقوله قد سمع الله قول التي تجادلك
في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما
قالوا ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون
وقوله انني معكما اسمع وارى وقوله الم يعلم بان الله يرى وقوله الذي
يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم وقوله الم
يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وقوله وهم يجادلون في الله
وهو شديد المحال وقوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين و
مكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقوله انهم يكيدون كيدا و
اكيد كيدا وقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان
الله كان عفوا قديرا وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم و
الله والله غفور رحيم وقوله ولله العزة ولرسوله وقوله عن ابليس
فبعزتك لاغوينهم اجمعين وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وقوله فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ولم
يكن له كفوا احد فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ

لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من
الذل وكبره تكبيرا يسبح لله ما في السموات وما في الارض له
الملك وله الحمد وهو على كل شيئ قدير تبارك الذي نزل
الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات
والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل
شيئ فقدره تقديرا وقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض
سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون قل
انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي
بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون وقوله الرحمن على العرش استوى في سبعة
مواضع في سورة الاعراف قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش وقال في سورة يونس
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش وقال في سورة الرعد الله الذي رفع السموات بغير
عمد ترونها ثم استوى على العرش وقال في سورة طه الرحمن
على العرش استوى وقال في سورة الفرقان ثم استوى على العرش
الرحمن فاسئل به خبيرا وقال في الم السجده الله الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
وقال في سورة الحديد هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام

ثم استوى على العرش وقوله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقوله
بل رفعه الله اليه وقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه وقوله يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب
السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا ءامنتم من في السماء
ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير وقوله هو الذي خلق السموات و
الارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج
منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما
تعملون بصير ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم
ولا ادنى من ذالك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم
القيمة ان الله بكل شيء عليم وقوله لا تحزن ان الله معنا وقوله انني
معكما اسمع وارى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون واصبروا
ان الله مع الصابرين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله و
الله مع الصابرين وقوله ومن اصدق من الله حديثا ومن اصدق
من الله قيلا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم وقوله وتمت كلمات ربك
صدقا وعدلا وكلم الله موسى تكليما منهم من كلم الله ولما جاء موسى
لميقاتنا وكلمه ربه وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه
نجيا واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين فناداهما ربهما الم
انهكما عن تلكما الشجرة ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين
كنتم تزعمون وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وان
احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وقد كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون يريدون
ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
لا مبدل لكلماته ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون

يختلفون وهذا كتاب انزلناه مبارك لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله واذا بدلنا آية مكان آية
والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله
روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين وقوله وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة على الارائك ينظرون للذين احسنوا الحسنى وزيادة
لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد وهذا الباب كثير في كتاب الله
من تدبر القرآن طالبا للهدى منه تبين له طريق الحق فصل
ثم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه
وتعبر عنه وما وصف الرسول به من الاحاديث الصحاح التي تلقاها
اهل المعرفة بالقبول وجب الايمان بها مثل قوله صلى الله عليه
وسلم ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر
فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرني
فاغفر له متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة
عبده من احدكم براحلته الحديث متفق عليه وقوله يضحك
ربنا الى رجلين يقتل احدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة متفق
عليه وقوله عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيثه ينظر غيره خ
اليكم ازلين قنطين فيظل يضحك يعلم ان فرجكم قريب حديث حسن
وقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول
هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه
فينزوي بعضها الى بعض وتقول قط قط متفق عليه وقوله صلى الله عليه وسلم

يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان
الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار متفق عليه و
قوله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس
بينه وبينه ترجمان متفق عليه وقوله في رقية المريض ربنا
الله الذي في السماء تقدس اسمك امرك في السماء والارض كما رحمتك
في السماء اجعل رحمتك في الارض اغفر لنا حوبنا وخطايانا انت رب
الطيبين انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع
فيبرأ حديث حسن رواه ابو داود وقوله الا تأمنوني وانا امين
من في السماء رواه البخاري وغيره وقوله والعرش فوق الماء و
الله فوق العرش وهو يعلم ما انتم عليه حديث حسن رواه ابو
داود والترمذي وغيرهما ومالك في الموطا وفي السنن عن محمد
ابن البريد ان امه اوصت ان يعتق عنها رقبة فقال يا رسول الله
ان امي اوصت بكذا وهذه جارية سوداء نوبية اتجزي عنها قال
ائتني بها فقال لها اين الله فقالت في السماء قال من انا قالت رسول
الله قال اعتقها فانها مؤمنة وهذه الجارية غير جارية معاوية
ابن الحكم وذكر ستة احاديث وقال وهذه الاحاديث تدل على جواز
القول باين الله وجواز الاخبار بانه محمد وقوله افضل الايمان
ان تعلم بان الله معك حيث ما كنت حديث حسن وقوله اذا قام
احدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه فلا يبصق قبل وجهه
ولا عن يمينه ولكن عن يساره او تحت قدمه متفق عليه و
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم
ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل و
القرآن اعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها
انت

انت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء و
انت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء
اقض عني الدين واغنني من الفقر رواه مسلم وقوله لما رفع
اصحابه اصواتهم بالذكر ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم
لا تدعون اصما ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا بصيرا ان
الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته متفق عليه و
قوله اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه
فان الله قبل وجهه ولا عن يمينه ولكن عن يساره او تحت
قدمه متفق عليه وقوله انكم سترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا
متفق عليه الى امثال هذه الاحاديث التي يخبر فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبره به فان الفرقة
الناجية اهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما
اخبر الله به في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط في فرق الامة كما ان الامة
هي الوسط في الامم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه
بين اهل التعطيل الجهمية واهل التمثيل المشبهة وهم
وسط في باب افعال الله تعالى بين القدرية والجبرية وغيرهم
وفي باب وعيد الله بين المرجئة وبين الوعيدية من القدرية
وغيرهم وفي باب اسم الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة
وبين المرجئة والجهمية وفي اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الرافضة والخوارج فصل وقد دخل فيما ذكرناه من

الايمان بالله الايمان بما اخبر الله به في كتابه وتواتر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمع عليه سلف الامة
من انه سبحانه فوق سمواته على عرشه علي على خلقه وهو معهم
اينما كانوا يعلم ماهم عاملون كما جمع بين ذالك في قوله وهو الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم
ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج
فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وليس معنى قوله
وهو معكم انه مختلط بالخلق فان هذا لا توجبه اللغة وهو
خلاف ما اجمع عليه سلف الامة وخلاف ما فطر الله عليه
الخلق بل القمر آية من آيات الله من اصغر مخلوقاته وهو موضوع
في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر اينما كانوا وهو سبحانه
فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم الى غير
ذالك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكر من انه فوق
العرش وانه معنا حق على حقيقته لا يحتاج الى تحريف ولكن يصان
عن الظنون الكاذبة مثل ان يظن ان ظاهر قوله في السماء ان السماء
تظله او تقله فهذا باطل باجماع اهل العلم والايمان فان الله
قد وسع كرسيه السموات والارض وهو الذي يمسك السموات و
الارض ان تزولا ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره ودخل في ذالك الايمان
بانه قريب من خلقه مجيب كما قال تعالى واذا سألك عبادي عني
فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني الآية وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان الذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته
وما ذكر في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من ونعته
علوه وفوقيته فانه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو
علي في

علي في دنوه قريب في علوه فصل ومن الايمان به وبكتبه
الايمان بان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه
يعود وانه متكلم به حقيقة وان هذا القرآن الذي انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم هو كلامه حقيقة لا كلام غيره ولا يجوز
اطلاق القول بانه حكاية عن كلام الله او عبارة عنه بل اذا قرأه
الناس او كتبوه في المصاحف لم يخرج بذالك عن ان يكون كلام الله
حقيقة هو كلام الله حروفه ومعانيه ليس كلام الله الحروف
دون المعاني ولا المعاني دون الحروف فان الكلام انما يضاف
حقيقة الى من قاله مبتديا لا الى من قاله مبينا مبلغا مؤديا
فصل وقد دخل ايضا فيما ذكرناه من الايمان به وبكتبه
ورسله الايمان بان المؤمنين يرونه سبحانه يوم القيمة عيانا بابصارهم
كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب او كما يرون القمر ليلة البدر
لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وتعالى وهم في عرصات
القيمة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله سبحانه وتعالى
فصل ومن الايمان باليوم الآخر الايمان بكل ما اخبر به
النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت فيؤمنون بفتنة
القبر وبعذاب القبر وبنعيمه فاما الفتنة فان الناس يفتنون
في قبورهم فيقال للرجل من ربك وما دينك ومن نبيك فيثبت
الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن ربي الله والاسلام
ديني ومحمد نبيي واما المرتاب فيقول هاه هاه لا ادري سمعت
الناس يقولون شيأ فقلته فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح
صيحة يسمعها كل شيء الا الانس والجن ولو سمعها الانسان لصعق
ثم بعد هذه الفتنة اما نعيم واما عذاب الى يوم القيمة الكبرى فتعاد

الارواح الى الاجساد فتقوم القيمة التي اخبر الله عنها في كتابه
وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم واجمع عليها المسلمون فيقوم الناس
من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس و
يلجمهم العرق وتنصب الموازين فيوزن فيها اعمال العباد فمن
ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك
الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون وتنشر الدواوين وهي صحايف
الاعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله او من وراء
ظهره كما قال سبحانه وتعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا والآية بعدها ويحاسب
الله الخلق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف
ذلك في الكتاب والسنة واما الكفار فلا يحاسبون حساب محاسبة
من توزن حسناته وسيآته فانهم لا حسنات لهم ولكن تعد
اعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها ويجزون بها وفي
عرصات القيمة الحوض المورود لمحمد صلى الله عليه وسلم ماؤه
اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء
طوله شهر وعرضه شهر من شرب منه شربة لم يظما بعدها
ابدا والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة
والنار يمر الناس عليه على قدر اعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر
ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر
كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركاب الابل ومنهم من يعدو عدوا
ومنهم من يمشي مشيا ومنهم من يزحف زحفا ومنهم من يخطف
خطفا فيلقى في جهنم فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس باعمالهم
فمن مر على الصراط دخل الجنة فاذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة

بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا و
نقوا اذن لهم في دخول الجنة واول من يستفتح باب الجنة
محمد صلى الله عليه وسلم واول من يدخل الجنة من الامم امته
وله في القيمة ثلاث شفاعات اما الشفاعة الاولى فيشفع في
اهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد ان يتراجع الانبياء آدم ونوح
وابراهيم وموسى وعيسى الشفاعة حتى تنتهي اليه واما الشفاعة
الثانية فيشفع في اهل الجنة ان يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان
خاصتان له واما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ان
لا يدخلها وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم
ويشفع فيمن استحق النار ان لا يدخلها ويشفع فيمن دخلها ان يخرج
منها ويخرج الله من النار اقواما بغير شفاعة بل بفضل الله و
رحمته ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من اهل الدنيا فينشئ
الله لها اقواما فيدخلهم الجنة واصناف ما تضمنته الدار الآخرة
من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل
ذلك مذكور في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور
عن الانبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم ما يكفي
من ذلك ويشفي فمن ابتغاه وجده فصل وتؤمن الفرقة
الناجية اهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والايمان بالقدر
على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الاولى الايمان بان
الله تعالى عليم بما الخلق عاملون به بعلمه القديم الذي هو
موصوف به ازلا وابدا وعليم بجميع احوالهم من الطاعات والمعاصي
والارزاق والآجال ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق
فاول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو
كائن الى يوم القيمة فما اصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما اخطأه
لم يكن ليصيبه جفت الاقلام وطويت الصحف كما قال سبحانه وتعالى

الم تعلم ان الله يعلم ما في السمآء والارض ان ذالك في كتاب ان
ذالك على الله يسير وقال ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذالك على الله يسير وهذا
التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا
فقد كتب في اللوح المحفوظ ماشاء واذا خلق جسد الجنين قبل
نفخ الروح فيه بعث اليه ملكا فيؤمر باربع كلمات فيقال اكتب
رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ونحو ذالك فهذا التقدير
قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكره اليوم قليلا واما
الدرجة الثانية فهي مشيئة الله تعالى النافذة وقدرته
الشاملة وهو الايمان بان ماشآء الله كان ومالم يشأ لم يكن
وانه ما في السموات والارض من حركة ولا سكون الا بمشيئة
الله سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه الا ما يريد وانه على كل شيء
قدير من الموجودات والمعدومات فما من مخلوق في الارض و
لا في السمآء الا الله سبحانه خالقه لا خالق غيره ولا رب سواه
ومع ذالك فقد امر العباد بطاعته وطاعة رسوله ونهاهم
عن معصيته وهو سبحانه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب
المقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب
الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يامر بالفحشآء ولا يرضى
لعباده الكفر ولا يحب الفساد والعباد فاعلون حقيقة والله خالق
افعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصايم و
للعباد قدرة على اعمالهم ولهم ارادة والله خالقهم وخالق قدرتهم و
ارادتهم كما قال لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء
الله رب العالمين وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية
الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الامة ويغلو فيها قوم
من اهل الاثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخرجون
عنه

عنه افعال الله واحكامه وحكمها ومصالحها فصل ومن اصول
الفرقة الناجيه ان الدين والايمان قول وعمل قول القلب و
اللسان وعمل القلب واللسان والجوارح وان الايمان يزيد بالطاعة
وينقص بالمعصية وهم مع ذالك لا يكفرون اهل القبلة بمطلق المعاصي
والكبائر كما تفعله الخوارج بل الاخوة الايمانية ثابتة مع
المعاصي كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص فمن عفي له من اخيه
شيء وقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان
بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان
فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين
انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم ولا يسلبون الفاسق
الملي اسم الايمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة
بل الفاسق يدخل في قوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة وقد لا يدخل
في اسم الايمان المطلق كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم وقول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين
يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة ذات
شرف يرفع الناس اليها ابصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن
ويقولون هو مؤمن ناقص الايمان ومؤمن بايمانه فاسق
بكبيرته فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم فصل
ومن اصول اهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم والسنتهم
لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في
قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين
سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف

وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا تسبوا اصحابي
فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ
مد احدهم ولا نصيفه ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة و
الاجماع في فضائلهم ومراتبهم فيفضلون من انفق من قبل الفتح و
هو صلح الحديبية وقاتل على من انفق من بعده وقاتل و
يقدمون المهاجرين على الانصار ويؤمنون بان الله تعالى قال لاهل
بدر وكانوا ثلاثمئة وبضعة عشر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
وبانه لا يدخل النار من بايع تحت الشجرة كما اخبر به النبي صلى الله
عليه وسلم بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه وكانوا اكثر من الف
واربعمئة ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله
عليه وسلم كالعشرة وكثابت بن قيس بن شماس وغيرهم من
الصحابة ويقرون بما تواتر به النقل عن امير المؤمنين علي بن
ابي طالب وغيره من ان خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم
عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي كما دلت عليه الآثار وكما
اجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع ان بعض اهل السنة
كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على تقديم ابي بكر
وعمر ايهما افضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي و
قدم قوم علي وقوم توقفوا لكن استقر امر اهل السنة والجماعة
على تقديم عثمان ثم علي وان كانت هذه المسئلة مسئلة عثمان
وعلي ليست من الاصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور اهل
السنة لكن المسئلة التي يضلل المخالف فيها هي مسئلة الخلافه
وذلك بانهم يؤمنون بان الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه
ابى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن طعن في خلافة احد من هؤلاء الائمة

الائمة فهو اضل من حمار اهله ويحبون اهل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال يوم غدير خم اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وقال ايضا
للعباس وقد شكى اليه ان بعض قريش يجفون بني هاشم فقال والذي نفسي بيده
لا يؤمنون حتى يحبونكم لله ولقرابتي وقال ان الله اصطفى اسماعيل واصطفى من
بني اسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريش واصطفى من قريش بني هاشم و
اصطفاني من بني هاشم ويتولون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين و
يؤمنون بانهن ازواجه في الآخرة خصوصا خديجة ام اكثر اولاده واول من آمن
به وعاضده على امره وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق التي
قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام
ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب
الذين يؤذون اهل البيت بقول او عمل ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون ان
هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما هو قد زيد فيه
ونقص وغير عن وجهه والصحيح منه هم فيه معذورون اما مجتهدون مخطئون
واما مجتهدون مصيبون وهم مع ذلك لا يكفرون اهل القبلة ويعتقدون ان كل
واحد من الصحابة غير معصوم من كبائر الاثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في
الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم ان صدر
حتى انهم يغفر لهم من السيآت ما لا يغفر لمن بعدهم لان لهم من الحسنات التي تمحو السيآت
ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم خير القرون وان
المد من احدهم اذا تصدق به كان افضل من جبل احد ذهبا ممن بعدهم ثم ان كان قد
صدر عن احدهم ذنب فيكون قد تاب منه او اتى بحسنات تمحوه او غفر له بفضل سابقته
او بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم احق الناس بشفاعته او ابتلي ببلاء في الدنيا يكفر
عنه به فاذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالامور التي كانوا فيها مجتهدين ان اصابوا
فلهم اجران وان اخطأوا فلهم اجر واحد والخطأ مغفور لهم ثم القدر الذي ينكر من فعل
بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الايمان بالله ورسوله والجهاد
في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة
وما من الله به عليهم من الفضائل علم علم اليقين انهم خير الخلق بعد الانبياء لا كان ولا
يكون مثلهم وانهم هم الصفوة من قرون هذه الامة التي هي خير الامم واكرمها على الله

ومن اصول اهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الاولياء وما يجري الله على ايديهم
من خوارق العادات في انواع العلوم والمكاشفات وانواع القدرة والتاثيرات كالماثور
عن سالف الامم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الامة من الصحابة والتابعين وساير
قرون الامة وهي موجودة فيها الى يوم القيمة **فصل** ثم طريقة اهل السنة والجماعة
اتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا واتباع سبيل السابقين الاولين من
المهاجرين والانصار واتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ويعلمون ان اصدق الكلام
كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم فيؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام
اصناف الناس ويقدمون هدي محمد صلى الله عليه وسلم على هدي كل احد ولهذا سموا اهل الكتاب
والسنة وسموا اهل الجماعة لان الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة وان كان لفظ الجماعة
قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين والاجماع هو الاصل الثالث الذي يعتمد عليه
في العلم والدين وهم يزنون بهذه الاصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من اقوال واعمال
باطنة وظاهرة مما له تعلق بالدين والاجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه
السلف الصالح اذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الامة **فصل** ثم هم
مع هذه الاصول يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة
ويرون اقامة الحج والجهاد والجمع والاعياد مع الامرا ابرارا كانوا او فجارا
ويحافظون على الجماعة ويدينون بالنصيحة للامة ويعتقدون معنى قوله صلى
الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين اصابعه
وقوله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد
اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ويامرون بالصبر عند
البلا والشكر عند الرخا والرضا بمر القضا ويدعون الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال
ويصدقون ويعتقدون معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المؤمنين ايمانا
احسنهم خلقا ويندبون الى ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك ويامرون ببر الوالدين وصلة الارحام وحسن الجوار والاحسان الى
الايتام والمساكين وابن السبيل والرفق بالمماليك وينهون عن الفخر والخيلا والبغي
والاستطالة على الخلق بحق او بغير حق ويامرون بمعالي الاخلاق وينهون عن
سفسافها وكلما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فانما هم فيه متبعون
للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الاسلام الذي بعث الله به محمدا صلى الله
عليه

عليه وسلم لكن لما اخبر ان امته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة وفي حديث عنه انه قال هي من
كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي صار المتمسكون بالاسلام
المحض الخالص عن الشوب هم اهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون
والشهداء والصالحون ومنهم اعلام الهدى ومصابيح الدجى واولوا
المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الابدال وفيهم الائمة صح ائمة الدين
الذين اجمع المسلمون على هدايتهم وهم الطائفة المنصورة التي قال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة **فنسئل**
الله العظيم ان يجعلنا منهم وان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا وان
يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب والحمد لله رب العالمين
قال ابو عمر ابن عبد البر اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات
كلها الواردة في الكتاب والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة
لا على المجاز الا انهم لا يكيفون ولا يجدون فيه صفة محصورة انتهى كلامه بلغ
رحمه الله والحمد لله على التمام وحسن الختام تم نسخها ولله الحمد ومقابلة
المنة على يد ناسخها لنفسه عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ربيعة الربيعي وتصحيحا
وذالك في آخر يوم من شهر رجب سنة ١٣٣٣ حسب الطاقة

الكلام على سورة الاخلاص لابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم **الحمد لله** رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم **قال ابن رجب** رحمه الله تعالى الكلام على
سورة الاخلاص **في موضع نزولها** قولان احدهما انها مكية والثاني مدنية
وذالك في فصول في فضلها وسبب نزولها وتفسيرها اما فضائلها فكثيرة جدا منها
انها نسبة الله عز وجل **خرج الطبراني** من طريق عثمان بن عبد الرحمن الطرايفي عن
الوازع بن نافع عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد ليس باجوف
الوازع ضعيف جدا وعثمان يروي المناكير وسياتي في سبب نزولها ما يشهد له



ومنها انها صفة الرحمن وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث عائشة ان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو
الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شيء يصنع
ذلك فسالوه فقال لانها صفة الرحمن وانا احب ان اقرأ بها فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اخبروه ان الله يحبه ومنها ان حبها يوجب محبة الله لهذا الحديث
المذكور آنفا ومنه قول ابن مسعود من كان يحب القرآن فهو يحب الله ومنها
ان حبها يوجب دخول الجنة ذكره البخاري في صحيحه تعليقا وقال عبيد الله عن
ثابت عن انس قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قبا فكان كلما افتتح
سورة يقرا بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله احد حتى يفرغ منها
ثم يقرأ سورة اخرى معها فكان يصنع ذلك في كل ركعة وذكر الحديث وفيه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان ما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة فقال اني
احبها فقال حبك اياها ادخلك الجنة وخرجه الترمذي في جامعه عن البخاري عن
اسماعيل ابن ابي اويس عن الدراوردي عن عبيد الله بن عمر به وغربه وقال
روى مبارك بن فضالة عن ثابت عن انس ان رجلا قال يا رسول الله اني احب
هذه السورة قل هو الله احد قال ان حبك اياها ادخلك الجنة وقد خرجه احمد
في المسند عن ابي النضر عن مبارك بن فضالة وروى مالك عن عبيد الله بن عبد الرحمن
عن عبيد بن حنين قال سمعت ابا هريرة يقول اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فسمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت
وما وجبت قال الجنة واخرجه النسائي والترمذي وقال حسن صحيح لا نعرفه
الا من حديث مالك وروى ابو نعيم من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة عن مهاجر
سمعت رجلا يقول صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسمع رجلا يقرا
قل يا ايها الكافرون فقال قد برئ من الشرك وسمع آخر يقرا قل هو الله احد قال
غفر له ومنها انها تعدل ثلث القرآن ففي صحيح البخاري من حديث ابي سعيد
ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم و
الذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وروى عن ابي سعيد عن قتادة بن
النعمان به وفي صحيح البخاري ايضا من طريق الاعمش عن ابراهيم النخعي والضحاك
المشرقي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز
احدكم

احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله
فقال هو الله الواحد الصمد ثلث القرآن وفي المسند من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن
يزيد عن ابي الهيثم عن ابي سعيد قال بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله
احد فذكر ذلك للنبي صلى الله عليهم وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
انها لتعدل ثلث نصف القرآن او ثلثه وفي المسند ايضا من طريق ابن لهيعة حدثنا
يحيى بن عبد الله عن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ان ابا ايوب الانصاري كان في مجلس وهو يقول
الا يستطيع احدكم ان يقوم بثلث القرآن كل ليلة فقالوا وهل يستطيع ذلك احد قال
فان قل هو الله احد ثلث القرآن قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسمع ابا ايوب
فقال صدق ابو ايوب وروى يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان عن ابي حازم قال الترمذي
اسمه سلمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فاني سأقرأ عليكم
ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرأ قل هو الله احد ثم
دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن و
اني لارى هذا خبر جاء من السماء ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال اني قلت سأقرأ
عليكم ثلث القرآن الا وانها تعدل ثلث القرآن اخرجه مسلم وروى الامام احمد عن عبد الرحمن
ابن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو
ابن ميمون عن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن امراة من الانصار عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فانه من قرا قل هو الله احد الله الصمد في
ليلة فقد قرأ ليلته ثلث القرآن ورواه النسائي والترمذي عن بندار وروى الترمذي عن
قتيبة ايضا عن ابن مهدي فهو لهما عشاري ولاحمد تساعي وفي رواية الترمذي عن امراة
ابي ايوب عن ابي ايوب به وذكر اختلافا في اسناده وروى احمد عن هشيم عن حصين عن
هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابي بن كعب او رجل من الانصار قال قال رسول الله
عليه وسلم من قرا بقل هو الله احد فكانما قرا بثلث القرآن ورواه النسائي في اليوم والليلة
من طريق هشيم عن حصين عن ابي ليلى به من غير ذكر هلال بن يساف وروى الامام احمد ايضا عن
وكيع عن سفيان عن ابي قيس عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن ورواه ابن ماجة والنسائي في اليوم والليلة من طريق
وفي بعض طرقه وقفه ورواه ابو نعيم من طريق مسعر عن ابي قيس عن عمرو بن ميمون عن ابي مسعود
الانصاري كذا قال ومن طريق شعبة عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود وروى ابو نعيم
من طريق علي بن عاصم عن حصين عن هلال بن يساف عن ربيع بن خثيم عن ابي ليلى عن كعب بن

عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل هو الله احد في يوم وليلة ثلاث مرات كان
يعدل ثلث القرآن ورواه شعبة عن علي بن مدرك عن ابراهيم النخعي عن الربيع بن خثيم عن
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو نعيم حدثنا ابراهيم النخعي عن الربيع بن محمد
ابن يحيى ثنا احمد بن حمدون بن ابي سلم ثنا طي بن اشكاب بن شجاع بن الوليد ثنا زياد
ابن خيثمة عن محمد بن جحادة عن الحسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قل هو الله
احد ثلث القرآن قال ابراهيم هكذا حدثني به وكتبه ابي بحفظه وانما يحفظ الاسناد
قراءة يسير وروى يوسف بن عطية الصفار حدثنا هرون بن كثير عن زيد ابن اسلم عن
ابيه عن ابي امامة عن ابي ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله
احد فكانما قرا ثلث القرآن وكتب له من الحسنات بعدد من اشرك بالله وآمن به و
في صحيح مسلم من طريق قتادة عن سالم بن ابي الجعد عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدرداء
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا كل يوم ثلث القرآن قالوا نعم
قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فقل هو الله احد ثلث القرآن وروى امية بن خالد
عن ابن اخي ابن شهاب عن عمه عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن امه ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن رواه
احمد والنسائي في اليوم والليلة ورواه ايضا من طريق مالك عن الزهري عن حميد
من قوله ورواه ايضا من طريق بن اسحاق عن الحرث بن فضيل عن الزهري وحميد ان
نفرا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قل هو
الله احد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها وروى الحافظ ابو يعلى عن قطن بن نسير عن
عبيس بن ميمون عن يزيد الرقاشي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اما يستطيع
احدكم ان يقرا قل هو الله احد ثلاث مرات في ليلة فانها تعدل ثلث القرآن اسناده ضعيف
ويستدل به على ان المراد بكونها تعدل ثلث القرآن اجره وثوابه كما يستدل بحديث ابي
لعله جزء الدرداء المتقدم على انها جز التوحيد من القرآن وانه ثلاثة اجزاء توحيد وتشريع
وقصص ومنها ان قراءتها يكفي من الشر ويمنعه وقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه قرأها مع المعوذتين ومسح ما استطاع من
جسده وروى ابو داود والترمذي والنسائي من طريق معاذ بن عبد الله بن خبيب عن ابيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال له قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا تكفك كل
يومك وصححه الترمذي ورواه النسائي من طريق اخرى عن معاذ عن عبد الله بن خبيب
عن ابيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه تكفك كل شيء وقال البزار في مسنده حدثنا ابراهيم
ابن سعيد الجوهري ثنا غسان بن عبيد عن ابي عمران الجوني عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد

فقد
أمنت من كل شيء الا الموت ومنها انها افضل سورة في القرآن فروى الدارمي في مسنده
عن ابي المغيرة عن صفوان عن ايفع بن عبد الكلاعي قال قال رجل يا رسول الله اي سورة القرآن
اعظم قال قل هو الله احد وفي المسند من طريق معاذ بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن
ابي امامة عن عقبة بن عامر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك خير ثلاث سور
انزلت في التوراة والانجيل والزبور والقرآن العظيم قلت بلى قال فاقرأني قل هو الله احد و
قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم قال لي يا عقبة لا تنساهن ولا تبت ليلة
حتى تقرأهن وروى الترمذي بعض هذا الحديث وحسنه ورواه احمد ايضا بطوله من طريق
اسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد عن عقبة بن عامر به ومنها ان الدعاء
بها مستجاب ففي السنن الاربعة عن عبد الله بن بريدة عن ابيه ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع
رجلا يصلي يدعو يقول اللهم اني اسئلك باني اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد ساله باسمه الاعظم
الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب وقال الترمذي حسن غريب وفي المسند
عن محجن بن الادرع ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو برجل قد قضى صلاته
وهو يتشهد وهو يقول اللهم اني اسئلك بانك الواحد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد ان تغفر لي ذنوبي انك انت الغفور الرحيم فقال نبي الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث مرات قد غفر له قد غفر له قد غفر له وقد ورد في تكرير قراءتها خمسين
مرة او اكثر من ذلك وعشر مرات عقيب كل صلاة احاديث كثيرة فيها ضعف وكذلك حديث
معاوية بن معاوية الليثي خرجه الطبراني وابو يعلى من طرق كلها ضعيفة فلم نذكرها واما
سبب نزولها ففي المسند والترمذي عن ابي سعيد الصاغاني محمد بن بشر عن ابي جعفر لعله مبشر
الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي ابن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
انسب لنا ربك يا محمد فانزل الله قل هو الله احد ورواه الترمذي من طريق عبيد الله بن موسى
عن ابي جعفر عن الربيع عن ابي العالية مرسلا وقال هذا اصح من حديث ابي سعيد وروى ابو يعلى
الموصلي والطبراني وابن جرير من طريق شريح بن يونس عن اسماعيل بن مجالد عن مجالد عن
الشعبي عن جابر ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انسب لنا ربك فانزل الله
قل هو الله احد الى آخرها وروي مرسلا وروى عبيد بن اسحاق العطار عن قيس بن الربيع
عن عاصم عن ابي وائل عن ابن مسعود قال قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك
فنزلت هذه السورة قل هو الله احد قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن عاصم عن ابي
وائل مرسلا وروى ابن ابي حاتم في تفسيره حدثنا ابو زرعة ثنا العباس بن الوليد حدثنا

يزيد بن زريع ثنا علي بن الحسين ثنا ابو عبد الله الجرايشي ثنا ابو خلف عبد الله بن عيسى
ثنا داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
منهم حيي ابن اخطب وكعب بن الاشرف فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل
الله قل هو الله احد الله الصمد لم يلد فيخرج منه الولد ولم يولد فيخرج من شيء و
اما التفسير فقوله قل هذا افتتاح للسورة بالامر بالقول كما في المعوذتين وسورة
الجن وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن المعوذتين فقال قيل لي فقلت ذلك اشارة منه
الى انه مبلغ محض لما يوحى اليه ليس فيه تصرف لما اوحاه الله اليه بزيادة ولا نقص و
انما هو مبلغ لكلام ربه كما اوحاه اليه فاذا قال قل هو الله احد كان امتثالا للقول
الذي قيل له بلفظه لا بمعناه وهو اسم مضمر قيل انه ضمير الشان وقيل لا واحد هل والله
احد ان قيل هو ضمير الشان فالجملة مبتدا وخبر وان قيل لا ففيه وجهان احدهما
ان هو مبتدا والله احد مبتدا وخبرها خبر للمبتدا الاول ولا حاجة فيه الى
رابط لان الخبر هو المبتدا بعينه والثاني ان هو مبتدا والله خبره واحد بدل منه
واحد اسم من اسماء الله يسمى الله به ولا يسمى غيره من الاعيان به فلا يسمى شيء من
الاسماء احدا في الاثبات الا في الاعداد المطلقة وانما يسمى به في النفي وما اشبهه
من الاستفهام والنهي والشرط كقوله ولم يكن له كفوا احد وقوله هل تحس منهم من
احد وقوله فلا تدعو مع الله احدا وقوله وان احد من المشركين استجارك ونحوه
والاحد هو الواحد في الهيته وربوبيته وفسره اهل الكلام بما لا يتجزى ولا
ينقسم فان اريد بذلك انه ليس مؤلفا مركبا من اجزاء متفرقة فصحيح او انه غير
قابل للقسمة فصحيح وان اريد انه لا يتميز منه شيء عن شيء وهو المراد بالجسم عندهم
فباطل قال ابن عقيل الذي يصح من قولنا مع اثبات الصفات انه واحد في الهيته
لا غير والاحد هو الواحد قال ابن الجوزي قاله ابن عباس وابو عبيدة وفرق قوم
لعله الفرق بينهما قال الخطابي الفرد بين الاحد والواحد وان الواحد هو المتفرد بذاته فلا
يضاهيه احد والاحد المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها احد وقيل بينهما فرق
آخر وهو ان الاحد نص في العموم بخلاف الواحد فانه محتمل للعموم وغيره فتقول
ما في الدار احد ولا يقال بل اثنان ويجوز ان يقال ما في الدار واحد بل اثنان وفرق
بعض فقهاء الحنفية بينهما فقال الاحدية لا تحتمل الجزئية والعددية بحال والواحد
يحتملهما لانه يقال مائة واحدة والف واحدة ولا يقال مائة احد ولا الف احد وبنى ذلك
مسئلة محمد بن الحسن التي ذكرها في الجامع الكبير اذا كان لرجل اربع نسوة فقال والله
لا اقرب

لا اقرب واحدة منكن صار موليا منهن جميعا ولم يجز له ان يقرب واحدة منهن
الا بكفارة ولو قال والله لا اقرب احداكن لم يصر موليا الا من احداهن والبيان اليه
وقال العسكري اصل احد اوحد مثل اكبر واحدى مثل كبرى فلما وقعا اسمين
وكانا كثيري الاستعمال هربوا الى الكسرة ليخف وحذفوا الواو ليفرقوا بين الاسم و
الصفة وذلك ان اوحد اسم والكثر منه والواحد فاعل من وحد يحد وهو واحد
مثل وعد يعد فهو واعد سؤال قوله الله احد ولم يقل الاحد كما قال الصمد
جوابه ان الصمد يسمى غير الله كما ياتي ذكره فاتى فيه بالالف واللام ليدل على انه سبحانه
هو المستحق لكمال الصمدية فان الالف واللام تاتي لاستغراق الجنس تارة ولاستغراق
خصائصه اخرى كقولك زيد هو الرجل اي الكامل في صفات الرجولية فلذلك قوله الله
الصمد اي الكامل في صفات الصمدية واما الاحد فلم يتسم به غير الله فلم يحتج فيه
الى الالف واللام قوله الله الصمد اعاد الاسم المبتدا تاكيدا للجملة وخبره الصمد وقيل
هو نعت والخبر ما بعده و الصمد اختلفت عبارات السلف في معناه وهي متقاربة او
متفقة والمشهور منها قولان احدهما ان الصمد هو السيد الذي يصمد اليه الخلق
في حوائجهم ومطالبهم وهذا مروي عن ابن عباس وغيره من السلف قال ابن الانباري
لا خلاف بين اهل اللغة ان الصمد السيد الذي ليس فوقه احد الذي يصمد اليه الناس
في حوائجهم وامورهم وقال الزجاج هو الذي ينتهي اليه السودد فقد صمد له كل شيء
اي قصد قصده وانشدوا

لقد بلى الناعي بخير بني اسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وانشدوا ايضا

علوته بحسامي ثم قلت له ... خذها حذيف فانت السيد الصمد

وفي تفسير ابن ابي حاتم باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال الصمد الذي تصمد اليه
الاشياء اذا نزل بهم كربة او بلاء وعن ابراهيم قال الذي يصمد اليه العباد في حوائجهم وعن
علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس قال الصمد السيد الذي قد كمل في سودده والشريف الذي
قد كمل في شرفه والعظيم الذي قد كمل في عظمته والحليم الذي قد كمل في حلمه والعليم الذي
قد كمل في علمه والحكيم الذي قد كمل في حكمته وهو الذي قد كمل في انواع الشرف والسودد
وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي الا له ليس له كفو وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد
القهار والقول الثاني ان الصمد الذي لا جوف له وانه الذي لا ياكل ولا يشرب والذي

لاحشو له وانه الذي لايدخل فيه شيء ولايخرج منه شيء ونحو هذه العبارات المتقاربة في المعنى وروي عن ذالك عن ابن مسعود وقد سبق في حديث ابي هريرة المذكور في اول تفسير السورة والصمد الذي ليس باجوف وروي عن ابن جرير وابن ابي حاتم من طريق عبيد الله بن سعيد قائد الاعمش حدثني صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال لا اعلم الا انه قد رفعه قال الصمد الذي لاجوف له وعن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابن مسعود قال الصمد ليس له احشاء وروي عن ابن عباس ايضا وعن عكرمة الصمد الذي لايطعم وعنه الصمد الذي لم يخرج منه شيء وعن الشعبي الصمد الذي لاياكل ولايشرب وعن مجاهد هو المصمت الذي لاجوف له **وقالت طائفة** الصمد الذي لم يلد ولم يولد كانهم جعلوا ما بعده تفسيرا له وهو مما تقدم انه الذي لم ينفصل منه شيء وروي عن ابي بن كعب والربيع ابن انس **وتوجيه ذالك** ان الولادة والتوليد انما يكون من اصلين وما كان عينا قائما بنفسه من المتولدات فلابد له من مادة تخرج منها وما كان عرضا قائما بغيره فلابد له من محل تقوم به فالاول نفاه بقوله احد **فان الاحد** هو الذي لاكفو له ولانظير فيمتنع ان يكون له صاحبة والتولد انما يكون بين شيئين وكونه تعالى احدا ليس احد كفوا له وايضا فالتولد يحتاج الى زوجة وهي مكافية لزوجها من وجه وذالك ايضا ممتنع ولهذا قال انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة **وقد فسر مجاهد** الكفو هاهنا بالصاحبة **واما** الثاني وهو انفصال المادة فنفاه سبحانه بانه الصمد وهذا المتولد من اصلين يكون من جزئين ينفصلان من الاصلين كتولد الحيوان من ابيه وامه بالمني الذي ينفصل منهما وكالنار المتولدة من بين الزندين سواء كانا خشبين او حجرين او حجرا وحديدا وهو سبحانه صمد لايخرج منه شيء منفصل عنه والحيوان نوعان متوالد وهو ما وَلَده من جنسه وهو الانسان وما يخلق من ابوين من البهائم والطير وغيرهما ومتولد وهو ما يخلق من غير جنسه كدود الفاكهة والخل وكالقمل المتولد من الوسخ والفار والبراغيث وغير ذالك مما يخلق من التراب والماء وانما يتولد من اصلين ايضا كما خلق آدم من تراب وماء والا فالتراب المحض الذي لم يختلط به ماء لايخلق منه بشيء لاحيوان ولانبات والنبات جميعه انما يتولد من اصلين ايضا والمسيح خلق من مريم ونفخة جبريل وهي حملت به كما تحمل النساء وولدته فلهذا يقال له ابن مريم بخلاف حوى فانها خلقت من ضلع آدم فلا يقال انه ابوها ولا هي ولده وكذالك سائر المتولدات من غيرهما كما ان آدم لايقال انه ولد التراب ولا الطين والمتولد من جنسه اكمل من المتولد من غير

قال الطبري والبيهقي كلها قيل في تفسير هذه اللفظة حق مراد وهذا قد ينبني على حمل المشترك على معانيه اه

بياض

من غير جنسه ولهذا كان خلق آدم اعجب من خلق اولاده **فاذا نزه** الرب عن المادة العلى وهي المتولد من النظير فتنزيهه عن تولده من غير النظير اولى كما ان تنزيهه عن الكفو تنزيه له عن ان يكون غيره افضل منه بطريق الاولى **فتبين** ان ما يقال انه متولد من غيره من الاعيان القائمة بنفسها لايكون الا من مادة تخرج من ذالك الوالد ولاتكون الا من اصلين والرب تعالى صمد فيمتنع ان يخرج منه شيء وهو سبحانه لم يكن له صاحبة فيمتنع ان يكون له ولد **واما تولد** الاعراض كتولد الشعاع وتولد العلم عن الفكرة والشبع عن الاكل والحرارة عن الحركة ونحو ذالك فهذا ليس من تولد الاعيان مع ان هذا لابد له من محل ولابد له من اصلين كالشعاع فانه يحتاج الى محاذات جسم نوري لجسم آخر يقابله فينعكس عليه شعاعه **فقد** تضمنت هذه السورة العظيمة نفي نوعين عن الله **احدهما** المماثلة ودل على نفيها قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد مع دلالة قوله قل هو الله احد على ذالك لان احديته تقتضي انه متفرد بذاته وصفاته فلا يشاركه في ذالك احد **والثاني** النقائص والعيوب وقد نفي منها المتولد من الطرفين وتضمنت اثبات جميع صفات الكمال باثبات الاحدية والصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص والاحد يثبت الانفراد بذالك فان الاحد يقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته والصمدية اثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقدمها فان السيد الذي يصمد اليه لايكون الا متصفا بجميع صفات الكمال التي استحق ان يكون لاجلها صمدا وانه لم يزل كذالك ولايزال فان صمديته من لوازم ذاته لاينفك عنه بحال ومن هنا فسر الصمد بالسيد الذي قد انتهى سودده وفسره عكرمة بالذي ليس فوقه احد وروي عن علي وعن كعب انه الذي لايكافيه احد في خلقه وعن ابي هريرة قال هو المستغني عن كل احد المحتاج اليه كل احد وعن سعيد بن جبير قال هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وعن الربيع قال هو الذي لاتعتريه الآفات وعن مقاتل بن حيان قال هو الذي لاعيب فيه وعن ابن كيسان هو الذي لايوصف بصفته احد وعن قتادة الصمد الباقي بعد خلقه وعن مجاهد ومعمر هو الدائم وعن مرة الهمداني هو الذي لايبلى ولايفنى وعنه ايضا هو الذي يحكم ما يريد ويفعل ما يشاء لامعقب لحكمه ولاراد لقضائه **فقد تضمنت** هذه السورة العظيمة اثبات صفات الكمال ونفي النقائص والعيوب من خصائص المخلوقين من التولد والمماثلة **واذا كان** منزها عن ان يخرج منه مادة الولد التي هي اشرف المواد

نسخة: مرة

فلان ينزه عن خروج مادة غير الولد اولى وكذلك تنزيهه نفسه ان يولد فلان
يكون من مثله تنزيه له عن ان يكون من ساير المواد بطريق الاولى فمن اثبت لله
ولدا فقد شتمه وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من
اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم اولد
ولم يكن لي كفوا احد وفي صحيح البخاري ايضا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما
تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد
فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا وقد رد الله على من زعم انه لا يعيد الخلق وعلى
من زعم ان له ولدا كما تضمنه هذا الحديث وفي قوله ويقول الانسان ءاذا مامت
لسوف اخرج حيا الى قوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جيئتم شيا ادا وفي صحيح
البخاري ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله
انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم فهذه السورة الكريمة تضمنت
نفي ما هو من خصايص آلهة المشركين عن رب العالمين حيث جاء في سبب النزول
انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه من اي شيء هو أمن كذا أم من كذا او
ممن ورث الدنيا ولمن يورثها حيث كانوا قد اعتادوا آلهة يلدون ويولدون و
يرثون ويورثون وآلهة من مواد مصنوعة منها فانزل الله هذه السورة وفي المسند
من حديث ابي ابن كعب بعد ذكر نزولها لانه ليس احد يولد الا يموت ولا احد يرث
الا يورث يقول كل من عبد من دون الله وقد ولد مثل المسيح والعزير وغيرهما
من الصالحين ومثل الفراعنة المدعين الالهية فهذا مولود يموت وهو وان كان قد و
رث من غيره ماهو فيه فاذا مات ورثه غيره والله سبحانه حي لا يموت ولا يورث
سبحانه وتعالى والله اعلم سؤال نفى سبحانه الولادة قبل نفي التولد والتولد
اسبق وقوعا من الولادة في حق من هو متولد وجوابه ان الولادة لم يدعها احد
في حقه سبحانه وانما ادعى انه ولد فلذلك قدم نفسه لانه المهم المحتاج الى نفيه
سؤال آخر كيف نفى ان يكون مولودا ولم يعتقده احد جوابه من وجهين احدهما
انهم سالوا عمن ورث الدنيا ولمن يورثها وهذا يشعر بان منهم من اعتقد ذلك
والثاني

والثاني انه نفى عن نفسه سبحانه خصايص آلهة المشركين فان منهم من عبد المسيح
ومنهم من عبد العزير وهما مولودان ومنهم من عبد الملايكة والعجل وهي متولدات
وقد تقدم ان نفي الولادة تدل على نفي التولد بطريق الاولى فايده قال ابن عطية
كفوا خبر كان واسمها احد والظرف ماض وسيبويه يستحسن ان يكون الظرف اذا تقدم خبرا
لكن قد يجي ملغى في اماكن يقتضيها المعنى لهذه الاية وكقول الشاعر انشده سيبويه
مادام فيهن فصيل حيا ويحتمل ان يكون كفوا حالا لما قدم من كونه وصفا للنكرة
كما قال كثير لعزة لمية موحشا طلل قال سيبويه وهذا افعل في الكلام وبابه الشعر
فهذه السورة تتضمن انفراده ووحدانيته وانه منقطع النظير وانما نزه عن
ان يكون من اجناس المخلوقات لان افراد كل جنس من هذه الاجناس متكافية متماثلة فالذهب
يكافي الذهب والانسان يكافي الانسان ويزاوجه ولهذا قال تعالى ومن كل شيء خلقنا
زوجين فما من مخلوق الا وله كفو هو زوجه ونظيره وعدله ومثيله فلو كان الحق من
جنس شيء من هذه الاجناس كان له كفو وعدل وقد علم انتفاؤه بالشرع والعقل
فهذه السورة هي نسب الرحمن وصفته وهي التي انزلها الله في نفي ما اضاف اليه
المبطلون من تمثيل وتجسيم واثبات اصل وفرع فدخل فيها ما يقوله من يقوله
من المشركين والصابية واهل الكتاب ومن دخل فيهم من منافقي هذه الامة من تولد
الملايكة او العقول او النفوس او بعض الانبيا او غير الانبيا ودخل فيها ما يقوله من
يقوله من المشركين واهل الكتاب من تولده عن غيره كالذين قالوا في المسيح انه الله
والذين يقولون في الدجال انه الله والذين يقولون ذلك في علي وغيره ودخل ما يقوله
من يقوله من المشركين واهل الكتاب من اثبات كفو له في شيء من الاشيا مثل من يجعل
له بتشبيهه او تجسيمه كفوا او يجعل له بعبادة غيره كفوا او يجعل له باضافة
بعض خلقه الى غيره كفوا فلا كفو له في شيء من صفاته ولا في ربوبيته ولا في الهيته فتضمنت
هذه السورة تنزيهه وتقديسه عن الاصول والفروع والنظرا والامثال وليس في
المخلوقات شيء الا ولابد ان ينسب الى بعض هذه الاعيان والمعاني فالحيوان من الادمي
وغيره ولابد ان يكون له اما والد واما مولود واما نظير هو كفوه وكذلك الجن والملايكة
كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون قال بعض السلف لعلكم تذكرون
فتعلمون ان خالق الازواج واحد قال تعالى والشفع والوتر قال مجاهد كل شيء خلقه الله
فهو شفع قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون الكفر والايمان والهدى و

لعله نفي ج

بيا حمر

الضلالة والشقا والسعادة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس والوتر الله تبارك وتعالى وهذا الذي ذكره البخاري في صحيحه فانه يعتمد قول مجاهد لانه اصح التفسير قال الثوري اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به واختاره الشيخ مجد الدين بن تيمية وحقيقة الكفو هو المساوي والمقاوم فلا كفو له تعالى في ذاته ولا في صفاته ولا في اسمائه ولا افعاله ولا في ربوبيته ولا في الهيته ولهذا كان الايمان بالقدر نظام التوحيد كما قال ابن عباس لان القدرية جعلوا له كفوا في الخلق واما توحيد الالهية فالشرك فيه تارة يوجب الكفر والخروج من الملة والخلود في النار ومنه ما هو اصغر كالحلف بغير الله والنذر له وخشية غير الله ورجايه والتوكل عليه والذل له وقول القائل ما شاء الله وشئت ومنه ابتغاء الرزق من عند غير الله وحمد غيره على ما اعطى والغنية عن حمده ومنه العمل لغير الله وهو الريا وهو اقسام ولهذا حرم التشبه بافعاله بالتصوير وحرم التسمي باسمائه المختصة به كالله والرحمن والرب وانما يجوز التسمية به مضافا الى غير من يعقل وكذلك الجبار والمتكبر والقهار ونحو ذلك كالخلاق والرزاق والدائم ومنه ملك الملوك وقد جعل ابن عقيل التسمية بهذا مكروهة قال ابن عقيل كلما انفرد به الله كالله ورحمان وخالق لا يجوز التسمي به وكلما وجد معناه في الادمي فان كان يوجب تكبرا كالملك العظيم والاعظم وملك الملوك والجبار فمكروه والصواب الجزم بتحريمه فاما ما يتسمى به المخلوقون من اسمائه كالسميع والبصير والقدير والعليم والرحيم فان الاضافة قاطعة للشركة وكذلك الوصفية فقولنا زيد سميع بصير لا يفيد الا صفة المخلوق وقولنا الله سميع بصير يفيد صفته اللايقة به فانقطعت المشابهة من الوجوه ولهذا قال تعالى هل تعلم له سميا وفيه قولان احدهما نفي التسمية والثاني نفي المساواة وقد نفى سبحانه عن نفسه المثلية بقوله ليس كمثله شيء ونفى عنه العدل والتسوية بقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ونفى عنه الند بقوله فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا وفي الحديث اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وقال للذي قال له ما شاء الله وشئت اجعلتني لله ندا وفي رواية اجعلتني لله عدلا وقال كعب السموات السبع والارضون السبع اسست على هذه السورة قل هو الله احد ومعنى هذا والله اعلم ان السموات والارض انما خلقت بالحق وهو العدل والتوحيد كما قال وما خلقنا

خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ومن شعر امية بن ابي الصلت

وسبحان ربي خالق النور لم يلد ... ولم يك مولودا بذلك اشهد

وسبحانه من كل افك وباطل ... وكيف يلد ذو العرش ام كيف يولد

هو الله باري الخلق والخلق كلهم ... اماء له طوعا جميعا واعبد

هو الصمد الله الذي لم يكن له ... من الخلق كفو قد يضاهيه مضدد

وانى يكون الخلق كالخالق الذي ... يدوم ويبقى والخليقة تنفد

وليس لمخلوق على الدهر جدة ... ومن ذا الذي على مر الحوادث يخلد

ونفنى ولا يبقى سوى القاهر الذي ... يميت ويحيي دائما ليس يمهد

لعله زايده

آخر ما وجد من كلام ابي الفرج تغمده الله برحمته من الكلام على قل هو الله احد والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا بقلم الفقير الى الله عبده عبد الله بن ابراهيم ابن محمد الربيعي غفر الله له ولوالديه والمسلمين وذلك في ١٦ محرم سنة ١٣٣٤ تم ذلك والحمد لله رب العالمين

بلغ

الكلام على حديث شداد بن اوس

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الامام العالم العلامة ابو الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله خرج الامام احمد من حديث شداد بن اوس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا انتم هؤلاء الكلمات اللهم اني اسالك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسالك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسالك قلبا سليما واسالك لسانا صادقا واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب وخرجه الترمذي مختصرا وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وله طرق متعددة عن شداد وفي بعض طرقه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم ان يدعوا بهذه الكلمات في الصلاة او في دبر الصلاة فقوله صلى الله عليه وسلم اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا انتم هؤلاء الكلمات اشارة الى ان كنز هذه الكلمات انفع من كنز الذهب والفضة فان هذه الكلمات نفعها يبقى والذهب والفضة تفنى قال الله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقد روي ان سليمان بن داود عليهما السلام مر في موكبه ومعه الجن والانس بحراث فقال الحراث لقد اوتي ابن داود ملكا عظيما فاتاه



سليمان فقال له تسبيحة واحدة خير من ملك سليمان لان التسبيحة تبقى وملك سليمان
يفنى وفي الحديث المشهور عن ثوبان انه قال لما نزلت هذه الآية الذين يكنزون الذهب
والفضة فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب والفضة فقالوا يا رسول الله فما
نتخذ قال ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة صالحة تعين احدكم على ايمانه
قال بعضهم انما سمي الذهب ذهبا لانه يذهب وسميت الفضة فضة لانها تنفض يعني
تذهب بسرعة فلا بقاء لهما فمن كنزهما فقد اراد بقاء من لا بقاء له فان نفعهما ماهو
الا بانفاقهما في وجوه البر وسبل الخير قال الحسن بئس الرفيقان الدرهم والدينار لا ينفعانك
حتى يفارقانك فهما اذا امامكنوزين فهما يضران ولا ينفعان وانما نفعهما بانفاقهما في الطاعات
قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم
فذوقوا ما كنتم تكنزون والآية ذم ووعيد لمن يمنع حقوق ماله الواجبة من الزكاة و
صلة الرحم واقراء الضيف والانفاق في النوائب وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم
القيمة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه و
ظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد
فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل ماله يوم القيمة شجاعا اقرع له
زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزميه يعني بشدقيه ثم يقول انا مالك
انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية وفيه ايضا عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون كنز احدكم يوم القيمة شجاعا اقرع يفر منه
صاحبه ويطلبه ويقول انا كنزك فلن يزال يطلبه حتى يبسط يده فيلقمها فاه وفي
صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من صاحب كنز لا يفعل فيه حقه الا جاء
كنزه يوم القيمة شجاعا اقرع يتبعه فاتحا فاه فاذا اتاه فر منه فيناديه خذ كنزك
الذي خباته فانا عنه غني فاذا رأى ان لا بد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل
والشجاع الحية الذكر والاقرع الذي قد تمعط شعر فروة راسه لكثرة سمه فلهذا
ورد الشرع باكتناز ما يبقى نفعه بعد الموت من الايمان والاعمال الصالحة والكلمات
الطيبة فان نفع ذلك يبقى وبه يحصل الغنى الاكبر قال ابن مسعود نعم كنز الصعلوك البقرة
وآل عمران يقوم بهما من آخر الليل وآخر سورة البقرة من كنز تحت العرش اعطيته هذه
الامة مع سورة الفاتحة ولا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفي بعض الآثار
الاسرائيلية كنز المؤمن ربه يعني انه لا يكنز سوى طاعته وخشيته ومحبته والتقرب
اليه

اليه فمن كان كنزه ربه وجده وقت حاجته اليه كما في وصية النبي صلى
الله عليه وسلم لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ✿ أنت كنزي أنت ذخري
أنت عزي أنت فخري ✿ كيف اخشى الفقر اذ ما ✿ كنت أمني عند فقري
من كان الله كنزه فقد ظفر بالغنى الاكبر قال بعض العارفين من استغنى
بالله امن من العدم ✿ من لزم الباب اثبت في الخدم ✿ ومن اكثر ذكر الموت
اكثر من الندم ✿ تنقضي الدنيا وتفنى والفتى فيها معنى ✿ ليس في الدنيا نعيم
لا ولا عيش مهنا ✿ يا غنيا بالدنا نسي محب الله اغنى ✿ والمقصود هنا
شرح الكلمات التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بكنزها واشار الى نفعها خير وانفع
من الذهب والفضة وهي تتضمن طلب العبد من ربه لاهم الامور الدينية
فقوله صلى الله عليه وسلم اسالك الثبات في الامر المراد بالامر الدين والطاعة
فسأل الثبات على الدين الى الممات ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الذين
قالوا ربنا الله كثير ولكن اهل الاستقامة قليل كان عمر يقول في خطبته
اللهم اعصمنا بحفظك وثبتنا على امرك فالاستقامة والثبات لا قدرة
للعبد عليه بنفسه فلذلك يحتاج ان يساله ربه كان الحسن اذا قرأ
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة
كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقيل
له في ذلك فقال ان القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه
وان شاء ان يزيغه ازاغه وفي رواية للترمذي قلنا يا رسول الله آمنا بك و
بما جئت به فهل تخاف علينا فقال نعم ثم ذكر الحديث كيف يأمن من قلبه بين
اصبعين كيف يطيب عيش من لا يدري بما يختم له كم من عامل خاشع وقع على
قصة عمله عاملة ناصبة تصلى نارا حامية رب صائم حظه من صيامه
الجوع والعطش وقائم حظه من قيامه السهر كان بعض الصالحين يسرد الصيام
فاذا افطر بكى ويقول اخشى ان يكون حظي منه الجوع والعطش في الصحيح ان
احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع ثم يسبق عليه
الكتاب كم من عامل يعمل الخير اذا بقي بينه وبين الجنة ذراع واشرف مركبه
ساحل النجاة ضربه موج الهوى فغرق المحنة العظمى ان امرك كله بيد من لا
يبالي بوجودك ولا عدمك كم اهلك قبلك مثلك قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد

كان الحسن يبكي ويطيل البكاء
ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا
ويقول اخاف ان يطرحني في النار ولا يبالي قال ابو الدردا ما اهون العباد على الله
اذا عصوه ۞ يا قلب الى ما تطالبني بلقا الاحباب وقد رحلوا ۞ ارسلتك في طلبهم لتعود
فضعت وما حصلوا ۞ سلم واصبر واخضع لهم ۞ كم مثلك قبلك قد قتلوا ۞ ما احسن
ما علقت به آمالك منهم لو فعلوا ۞ العبد يحتاج الى الثبات في طول حياته
واحوج ما يحتاج اليه عند مماته في الطبراني لقنوا موتاكم لا اله الا الله وقولوا
الثبات الثبات ولا قوة الا بالله ويحتاج الى الثبات ايضا بعد الموت قال الله
تعالى يثبت الله الذين آمنوا في الحيوة الدنيا وفي الآخرة وفي الصحيح انها نزلت
في سؤال القبر يسئل المؤمن في قبره فيشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وفي سنن ابي داود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت يقول اسلوا له
التثبيت فانه الآن يسئل من دخل في الطاعة فهو يحتاج الى الثبات عليها
يا معشر التائبين ان تقاتلوا جنود الهوى بجنود التقوى فاصبروا وصابروا ورابطوا
لا تقولوا جنود الهوى لا طاقة لنا بها ولكن اصبروا ان الله مع الصابرين يا جنود
العزائم اثبتوا واحذروا هتيكة الهزيمة ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين ۞ لا تجزعن من كل خطب عرى ۞ ولا ترى الاعداء ما يشمتوا ۞
يا قوم بالصبر ينال المنى ۞ اذا لقيتم فئة فاثبتوا ۞
يا قوم الثبات الثبات والمداومة المداومة الى الممات احب العمل الى الله
ادومه وان قل قال الحسن ان الله لم يجعل لعمل المؤمن اجلا دون الموت
ثم قرأ واعبد ربك حتى ياتيك اليقين في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا
يا معشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم
اللقا لا يطولن عليكم الامد باستبطاء الاجل فان معظم نهار الصيام قد ذهب
وعيد اللقا قد قرب ۞ وما هي الا ساعة ثم تنقضي ۞ ويذهب هذا كله ويزول ۞
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه من كان يرجو لقاء الله فان
اجل الله لآت ما سار طريق العبودية الى لقاء الحبيب فلا بد من مواصلة السير (لعله من سار في طريق)
حتى يصل فان وقف في الطريق او رجع هلك فان اشتد عليه الم السير فليذكر
راحة الوصول وقد زال التعب
لها احاديث من ذكراك تشغلها ۞ عن الشراب وتلهيها عن الزاد ۞ لها

بوجهك نور تستضيء به ۞ وقت المسير وفي اعقابها حادي ۞
اذا اشتكت من كلال السير اوعدها ۞ روح القدوم فتحيا عند ميعاده ۞
قوله صلى الله عليه وسلم والعزيمة على الرشد العزيمة على الرشد مبدا الخير فان الانسان
قد يعلم الرشد وليس عليه عزم فاذا عزم على فعله افلح والعزيمة هي القصد الجازم (لعله عنده عليه عزم)
المتصل بالفعل وقيل استجماع قوى الارادة على الفعل ولا قدرة للعبد على ذلك
الا بالله فلهذا كان من اهم الامور سؤال الله العزيمة على الرشد وفي المسند
عن عمران بن حصين قال الرجل اللهم قني شر نفسي واعزم لي على ارشد امري فالعبد
يحتاج الى الاستعانة بالله والتوكل عليه في تحصيل العزم وفي العمل بمقتضى العزم بعد
حصول العزم قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين والرشد
هو طاعة الله ورسوله قال الله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى والرشد
ضد الغي قال الله تعالى قد تبين الرشد من الغي فمن لم يكن رشيدا فهو اما غاو واما ضال
كما قال تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى فالغاوي من تعمد خلاف الحق والضال من لم يتعمد و
العزم نوعان احدهما عزم المريد على الدخول في الطريق وهو من البدايات والثاني العزم
على الاستمرار على الطاعات بعد الدخول فيها وعلى الانتقال من حال كامل الى حال اكمل منه
وهو من النهايات ولهذا سمى الله تعالى خواص الرسل اولو العزم وهم خمسة وهم افضل
الرسل فالعزم الاول يحصل للعبد الدخول في كل خير والتباعد من كل شر اذ به يحصل للكافر
الخروج من الكفر والدخول في الاسلام وبه يحصل للعاصي الخروج من المعصية والدخول في
الطاعة فاذا كانت العزيمة صادقة وصمم عليها صاحبها وحمل على هوى نفسه و
على الشيطان حملة صادقة ودخل فيما امر به من الطاعات فقد فاز وعون الله للعبد على
قدر قوة عزيمته وضعفها فمن صمم على ارادة الخير اعانه وثبته كما قيل
على قدر اهل العزم تاتي العزائم ۞ وتاتي على قدر الكرام المكارم ۞
لما افضيت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعد سليمان بن عبد الملك
فاول ما اشتغل بدفن سليمان فلما رجع من دفنه وصفت له مراكب الخلافة فوقف وانشد
ولولا النهى ثم التقى خشية الردى ۞ لعاصيت في حب الصبا كل زاجر ۞
قضى ما قضى فيما مضى ثم لا ترى ۞ له عودة اخرى الليالي الغوابر ۞
ثم قال ما شاء الله لا قوة الا بالله قربوا لي بغلي فركب دابته التي كان يركبها ولا وسا

مستصحبا لتلك العزيمة فعلم الله صدقه فيها فاعانه فاول ما بدا به انه سار
بين يديه اهل الموكب فنحاهم وقال انما انا رجل من المسلمين ثم نزل فقعد فقام
الناس بين يديه فاقعدوا وقال انما تقوم الناس لرب العالمين ثم عزم على رد
المظالم فادركته القايلة وكان قد تعب وسهر تلك الليلة لموت سليمان بن عبد
الملك فدخل ليقيل ثم يخرج فيرد المظالم وقت صلاة الظهر فجاء ابنه عبد الملك
فقال له اتنام وما رددت المظالم فقال اذا صليت الظهر رددتها فقال عبد الملك و
من لك ان تعيش الى الظهر وان عشت فمن لك ان تبقى لك نيتك فقام وخرج ونادى
الصلاة جامعة فاجتمع الناس فرد المظالم وجاء بكتب القرى والاملاك التي كانت
في يده من اقطاع بني عمه فمزقها كلها ورد تلك القرى الى بيت مال المسلمين وكان
يقول ان لي نفسا تواقة ما نالت شيا الا تاقت الى ما هو افضل منه فلما نالت الخلافة
وليس فوقها في الدنيا منزلة تاقت الى الآخرة واذا كانت النفوس كبارا تعبت
في مرادها الاجساد ثم لما ولي الخلافة سمعوا في بيته صراخا عاليا من النسا فسئل
عن ذلك فقيل انه خير امراته وجواريه فقال من ارادت منكن ان تذهب فلتذهب
ومن ارادت ان تقيم فلتقم وليس لها مني نصيب فاني قد نزل بي امر شغلني عنكن فبكين
اياسا منه ذكروه مرة شيا مما كان فيه قبل الخلافة من النعيم فبكى حتى بكى الدم
وكان اكثر ما يقتات به حال خلافته العدس والزيت فاذا عوتب في ذلك يقول هذا
اهون علينا من معالجة الاغلال غدا في النار ودخل مرة على بناته وقد كن تعشين بعدس
فيه بصل فكرهن ان يشم منهن رائحة ذلك فلما رايته هربن فبكى وقال يا بناتي اما
تغفلن ان تتعشين الالوان ويذهب بابيكن الى النار وكان يقول لاولاده ان اباكم
خير بين ان تفتقروا ويدخل الجنة وان تستغنوا ويدخل النار فكان ان تفتقروا و
يدخل الجنة احب اليه ۞ كم احمل في هواك ذلا وعنا ۞ كم اصبر فيك تحت ضر وضنا
لا تطردني فليس لي عندك غنا ۞ خذ روحي ان اردت روحي ثمنا كان يقول لبعض اعوانه
اذا رايتني ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني فقل ما تصنع يا عمر

من اجلك قد تركت خدي ارضا ۞ للشامت والحسود حتى ترضى

مولاي الى متى بهذا احظى ۞ عمري يفنى وحاجتي ما تقضى

لا زال ينحل جسمه حتى كان اضلاعه يعدها من رآه عدا ۞ حبي والفراق اورثاني سقما
هذا جسدي يعد عظما عظما ۞ دعني فالشوق قد كفاني خصما ۞ يا سهم البين قد اصبت المرما

اخفي

اخفي شجني ولوعتي تبديه ۞ والدمع ينم بالذي اخفيه

قلبي قلق يحب من يضنيه ۞ لا اعذله فما به يكفيه

كم كان يعذل على حاله ويلام ۞ والمحبة تنهاه ان يصغي الى عذل او ملام

لو قطعني الغرام اربا اربا ۞ ما ازددت على الملام الا حبا

لا زلت بكم اسير وجد وصبا ۞ حتى اقضي على هواكم نحبا

ما زالت به المحبة حتى رقته الى درجة الرضى بمر القضا فكان يقول اصبحت وما لي سرور
في غير مواقع القضا والقدر ومات اعوانه على الخير كلهم في ايام متوالية ابنه
عبد الملك واخوه سهل ومولاه مزاحم فكان يقول بعد موتهم في مناجاته انت تعلم
اني ما ازددت لك الا حبا ولا فيما عندك الا رغبة ولما دفن ابنه عبد الملك وكان
احب الخلق اليه قال ما زلت ارى فيه السرور وقرة العين من يوم ولد الى يومي هذا فما
رايت فيه امرا قط اقر لعيني من امر رايته فيه اليوم وكتب الى الامصار ان الله احب
قبضه واعوذ بالله ان تكون لي محبة في شي من الامور تخالف محبة الله فان خلاف ذلك
لا يصلح في بلائه عندي واحسانه الي ونعمته علي

ان سكان الغضا رضوا بقتلي فرضي ۞ والله لا كنت لما يهوى الحبيب مبغضا

صرت لهم عبدا ۞ وما للعبد ان يتعرضا

اخواني الخير كله منوط بالعزيمة الصادقة على الرشد وهي الحملة الاولى التي تهزم
جيوش الباطل وتوجب الغلبة لجنود الحق

زجر الحق فؤادي فارعوى ۞ وافاق القلب مني وصحى

هزم العزم جيوشا للهوى ۞ سادتي لا تعجبوا ان صلحا

قال ابو حازم اذا عزم العبد على ترك الآثام اتته الفتوح يشير الى ما يفتح عليه
تيسير الانابة والطاعة ومقام العارفين سئل بعض السلف متى ترتحل الدنيا من
القلب قال اذا وقعت العزيمة ترحلت الدنيا من القلب ودرج القلب في ملكوت السما
واذا لم تقع العزيمة اضطرب القلب ورجع الى الدنيا من صدق العزيمة ييس
منه الشيطان ومتى كان العبد مترددا طمع فيه الشيطان وسوفه ومناه يا هذا
كلما رآك الشيطان قد خرجت من مجلس الذكر كما دخلت وانت غير عازم على الرشد فرح
بك ابليس وقال قد فديت من لا يفلح يا من شاب وما تاب ولا عزم على الرشد ولا
اناب لقد افرحت الشيطان واسخطت الرحمن شعرا

واذا تكامل للفتى من عمره ۞ خمسون وهو الى التقى لا يجنح
عكفت عليه المخزيات فما له ۞ متأخر عنها ولا متزحزح
واذا رأى الشيطان غرة وجهه ۞ حياه وقال فديت من لا يفلح

قوله صلى الله عليه وسلم واسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك هذا كما وصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا ان يقول في دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك فهذان امران احدهما شكر النعم وهو مامور به قال تعالى واشكروا لي ولا تكفرون وقال واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون والشكر بالقلب واللسان والعمل بالجوارح فالشكر بالقلب الاعتراف بالنعم للمنعم وانها منه وبفضله وجاء من حديث عائشة مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة فيعلم انها من عند الله الا كتب له شكرها ومن الشكر بالقلب محبة الله على نعمه ومنه حديث ابن عباس المرفوع احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه قال بعضهم اذا كانت القلوب جبلت على محبة من احسن اليها فواعجبا لمن لا يرى محسنا الا الله كيف لا يميل بكليته اليه وقال بعضهم

اذا انت لم تزدد على كل نعمة ۞ لموليكها حبا فلست بشاكر
اذا انت لم تؤثر رضى الله وحده ۞ على ما تهوى فلست بصابر

والشكر باللسان الثنا بالنعم وذكرها وتعدادها واظهارها قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وفي حديث النعمان ابن بشير المرفوع التحدث بالنعم شكر وتركها كفر وقال عمر بن عبد العزيز ذكر النعم شكرها وكان يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك ان ابدل نعمتك كفرا وان اكفرها بعد معرفتها او انساها فلا اثني بها قال فضيل كان يقال من شكر النعمة ان تحدث بها وجلس ليلة هو وابن عيينة يتذاكرون النعم الى الصباح والشكر بالجوارح ان لا يستعان بالنعم الا على طاعة الله عز وجل وان يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه قال تعالى اعملوا آل داود شكرا قال بعض السلف لما قيل لهم هذا لم تات عليهم ساعة الا وفيهم مصل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه ويقول افلا اكون عبدا شكورا ومر ابن المنكدر بشاب يقاوم امرأة فقال يا بني ما هذا جزاء نعمة الله عليك العجب ممن يعلم ان كل ما به من النعم من الله ۞ ثم لا يستحيي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه

الناظم

هب البعث لم تأتنا رسله ۞ وجاحمه لم تضرم
اليس من الواجب المستحق ۞ حياء العباد من المنعم

من كثرت عليه النعم فليقيدها بالشكر والا ذهبت

اذا كنت في نعمة فارعها ۞ فان المعاصي تزيل النعم
وحافظ عليها بشكر الاله ۞ فشكر الاله يزيل النقم

دخل صفوان على عمر بن عبد العزيز فقال يا امير المؤمنين ان الله لم يرض ان يكون احد فوقك فلا ترض ان يكون احد اولى بالشكر له منك فبكى عمر حتى غشي عليه

والامر الثاني حسن العبادة وحسن العبادة اتقانها والاتيان بها على اكمل وجوهها والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فاشار الى مقامين احدهما ان يعبد الله العبد مستحضر الرؤية الله اياه ويستحضر قرب الله منه واطلاعه عليه فيخلص له العمل فيجتهد في اتقانه وتحسينه والثاني ان يعبده على مشاهدته اياه بقلبه فيعامله معاملة حاضر لا معاملة غائب وقد وصى صلى الله عليه وسلم رجلا ان يصلي صلاة مودع يعني يستشعر انه يصلي صلاة لا يصلي بعدها صلاة اخرى فيحمله ذلك على اتقانها وتكميلها واحسانها وقد وردت احاديث في فضائل الاعمال مقيدة باحسان العمل كما في حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اسلم العبد فحسن اسلامه كتب الله له بكل حسنة كان ازلفها ومحي عنه كل سيئة كان ازلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله عز وجل خرجه البخاري تعليقا وفي رواية قيل استأنفوا العمل وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وفيه ايضا عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ فاحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ومن اساء في الاسلام اخذ بالاول والآخر وكان السلف يوصون باتقان العمل وتحسينه دون الاكثار منه فان العمل القليل مع التحسين والاتقان افضل من الكثير مع الغفلة وعدم الاتقان قال بعض السلف ان الرجلين ليقومان في الصف وبين صلاتيهما كما بين السماء والارض كم بين من تصعد صلاته لها نور وبرهان كبرهان الشمس وتقول حفظك الله كما حفظتني وبين من تلف صلاته كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وتقول ضيعك الله كما ضيعتني ولهذا قال ابن عباس وغيره صلاة ركعتين في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه قال بعض السلف لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل يشير الى قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين ولهذا قال من قال من الصحابة لو علمت ان الله تقبل مني ركعتين كان احب الي من كذا وكذا فمن اتقى الله في العمل قبله

منه ومن لم يتقه فيه لم يتقبله منه والتقوى في العمل ان يأتي به على وجه
الكمال واجباته الظاهرة والباطنة وان ارتقى الى الاتيان بادابه وفضائله كان
اكمل والقبول هنا يراد به الرضا بالعمل والمدح لعامله والثناء عليه في الملأ الاعلى
ومباهاة الملائكة وقد يراد بالقبول الثواب على العمل وان لم يرض به ولم يمدح
عامله فيجازى عليه بانواع من الجزاء فضلا من الله واحسانا وان لم يرض عن
عامله كما رؤي بعض العلماء المفرطين في النوم فسئل عن حاله فقال غفر لي واعرض
عني وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم ويطلق القبول على اسقاط الفرض وكونه
وان لم يثب عليه بثواب غير سقوط العقوبة والمطالبة باداء الفرض به والعارفون
كلهم انما يطلبون القبول بالوجه الاول وهو الرضا ويخافون من فواته اشد الخوف
قال مالك بن دينار وددت ان الله اذا جمع الخلائق يقول لي يا مالك فاقول لبيك
فياذن لي اسجد بين يديه سجدة فاعرف انه قد رضي عني ثم يقول لي يا مالك كن
اليوم ترابا فاكون ترابا كان بعضهم يقول في سجوده متى القاك وانت عني راضي
وعذبتني بكثرة الاعراض واعتاض ولست عنه بالمعتاض يا من بوصاله شفا
امراضي هل انت علي ساخط ام راضي رضاه الرب من الجنة ونعيمها فليس
للعارفين هم سواه لعلك غضبان وقلبي غافل سلام على الدارين ان كنت راضيا
قوله صلى الله عليه وسلم واسالك قلبا سليما ولسانا صادقا القلب واللسان
وخرج هما عبارة عن الانسان كما يقال الانسان باصغريه بقلبه ولسانه
ابن سعد من رواية عروة بن الزبير مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما راى
اشج عبد القيس وكان رجلا ذميما فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يستقى في مسوك
الرجال انما يحتاج من الرجل الى اصغريه لسانه وقلبه وقال المتنبي

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ❊ فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فمن استقام قلبه ولسانه استقام شانه كله فالقلب السليم هو الذي ليس فيه
شيء من محبة ما يكرهه الله فدخل في ذلك سلامته من الشرك الجلي والخفي ومن الاهواء
والبدع ومن الفسوق والمعاصي كبائرها وصغائرها الظاهرة والباطنة كالرياء والعجب
والغل والغش والحقد والحسد وغير ذلك وهذا القلب السليم هو الذي لا ينفع يوم القيمة
سواه قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اذا سلم القلب
لم يسكن فيه الا الرب في بعض الاثار يقول الله ما وسعني سمائي ولا ارضي ولكن وسعني
قلب

بلغ

قلب عبدي المؤمن ❊ ساكن في القلب يعمره ❊ لست انساه فاذكره
غاب عن سمعي وعن بصري ❊ فسويدا القلب تبصره
متى سكن في القلب غير الله فالله اغنى الاغنياء عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة
اصنام الهوى ❊ اردناكم صرفا فلما مزجتم ❊ بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لا تسكنوا القلب غيرنا ❊ فاسكنتم الاغيار ما انتم منا
سلامة الصدور من الريا والغل والحسد والغش والحقد وتطهيرها من ذلك افضل
من التطوع باعمال الجوارح قال بعضهم ما بلغ عندنا من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة
ولكن بسلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة وكثرة اعمال الجوارح مع تدنس القلب
بشيء من هذه الاوصاف لا يزكوا وهو كزرع في ارض كثيرة الآفات لا يكاد يسلم ما نبت
فيها واما اللسان الصادق فهو من اعظم المواهب من الله والمنح
وفي الحديث اعظم الخطايا اللسان الكذوب وكذلك اللسان الصادق اعظم الحسنات وروى ابن
نعيم باسناده ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان جالسا فاقبل اليه سبيع الحميري فقال
عبد الله قد اتاكم اعرف من عليها فلما جلس قال له عبد الله اخبرنا عن الخيرات الثلاث قال
نعم الخيرات الثلاث لسان صدوق وقلب نقي وامراة صالحة والشرات الثلاث لسان
كذوب وقلب فاجر وامراة سوء فقال عبد الله قد قلت لكم وفي الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة واياكم
والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ولا يزال الرجل يصدق و
يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا وفيه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فالكذب اساس النفاق الذي بني عليه
كما ان الصدق اساس الايمان قال ابن مسعود ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ثم تلى قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال كعب بن مالك ان من توبتي ان لا
احدث الا صدقا قال انما نجاني الله بالصدق قال بعضهم حقيقة الصدق ان يصدق العبد
في موطن يرى انه لا ينجيه فيه الا الكذب كان الربيع بن خراش موصوفا بالصدق يقال انه لم
يكذب قط وكان له ابنان عاصيان للحجاج وكان يطلبهما فقدما على ابيهما فبعث الحجاج
الى الربيع وقال سيعلم بنو عبس ان شيخهم يكذب فقال له اين ابناك فقال تركتهما في البيت
والله المستعان فقال قد عفونا عنهم بصدقك ومتى طهر اللسان من الكذب طهر من غيره
من الكلام السيء المحرم واستقام حال العبد كله ومن لم يستقم اللسان فسد حال العبد

كله وربما يعبر عن صدق اللسان باستقامة المقال كله كما في قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله تعالى وجعلنا لهم لسان صدق في الآخرين وقوله واجعل لهم لسان صدق عليا يريد ثناء عليهم بحق وكما تنقسم الاقوال الى صدق وغير صدق والمراد بالصدق ماله نفع ودوام فكذلك اقوال الصدق قد يراد بها ما هو حق له نفع وثبات وجاء من حديث انس مرفوعا لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه خرجه الامام احمد ويروى من حديث ابي سعيد رفعه اذا اصبح ابن آدم فان الاعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فانا استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا خرجه الترمذي وصح وقفه وقال مطرف من صفا عمله صفا لسانه ومن خلط خلط له وقال يونس بن عبيد ما رايت احدا لسانه منه على بال الا رايت ذلك صلاحا في سائر عمله ومن مراسيل زيد بن اسلم ما من عضو من الاعضاء الا وهو يشتكي الى الله ما يلقى من اللسان على حدته قال الحسن اللسان امير البدن فاذا جنى على الاعضاء جنت واذا عف عفت وقد روي عن طايفة من السلف ان اللسان ترجمان القلب والقلب ملك الاعضاء وبقية الجوارح جنوده فاذا صلح الملك وترجمانه صلحت الجنود كلها واذا فسد فسدت الجنود كلها فاذا كان الملك سليما من الهوى والترجمان صادقا امينا فالرعية معهما في عافية وان كان الملك جايرا والترجمان غير امين فلا تسال عن فساد حال الرعية معهما ومتى كان الترجمان غير امين فقد يلتبس ولكن حال الجاير لا تخفى وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وقد تقدم حديث انس المرفوع لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وفي المسند ايضا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه وفي سنن ابن ماجة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلنا يا رسول الله من خير الناس قال ذو القلب المخموم واللسان الصادق قلنا قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم قال هو التقي النقي الذي لا اثم فيه ولا غل ولا بغي ولا حسد وفي المسند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل اذنه مستمعة وعينه ناظرة فاما الاذن فقمع والعين مقرة بما يوعى القلب فقد افلح من جعل قلبه واعيا وفي حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه وسدد لساني واسلل سخيمة صدري خرجه الترمذي و سخيمة الصدر ما فيه من الغل والغش والحسد ونحو ذلك قال خالد الربعي امر سيد لقمان لقمان تذبح شاة وقال له ائتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له اما وجدت فيها اطيب من هذين قال لا ثم امره ان يذبح شاة اخرى وقال له القِ اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال له اما كان فيها اخبث من هذين قال لا فساله عن فعله الاول والثاني فقال

فقال انه ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا

تعاهد لسانك ان اللسان ۞ سريع المرء في قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد ۞ يدل الرجال على عقله

اذا سلم القلب وصدق اللسان ترجم اللسان الصادق عن القلب السليم بانواع السلامة فهذا المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده واذا فسد القلب فسد اللسان فترجم عن القلب بانواع الفساد وهذا الفاجر المعلن بفجوره فان ترجم عن القلب الفاسد بالسلامة فهذا اللسان الكذوب وهو المنافق الذي يختلف ظاهره وباطنه وقوله وفعله يا من يقول بلسانه ما ليس في قلبه لا تبع ما ليس عندك لا تنسب احكام فرعون الى موسى قوله صلى الله عليه وسلم واسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم هذا سؤال جامع لطلب كل خير والاستعاذة من كل شر وسواء علمه الانسان او لم يعلمه وهذا السؤال العام بعد سؤال تلك الامور الخاصة الخ هو من باب ذكر العامة بعد الخاصة وقد كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع من الدعاء ويامر بها كما خرجه الامام احمد وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم علمها هذا الدعا اللهم اني اسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم واعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم اعلم اللهم اني اسالك من خير ما سالك منه عبدك ونبيك واعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ونبيك اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل واسالك ما قضيت لي من قضاء ان تجعل عاقبته لي رشدا وخرجه الحاكم وعنده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة عليك بالكوامل وذكر الحديث وخرجه الفريابي في كتاب الدعا وفي روايته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة عليك بالجوامع وخرج الترمذي من حديث ابي امامة قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا قلت يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقال الا ادلكم على ما يجمع ذلك كله تقول اللهم اني اسالك خير ما سالك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وانت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة الا بالله وسمع سعد بن ابي وقاص ابنا له يدعو يقول اللهم اني اسالك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحو من هذا واعوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها فقال لقد سالت الله خيرا كثيرا وتعوذت بالله من شر كثير واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون قوم يعتدون في الدعاء وقرا هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وان بحسبك ان تقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل خرجه الامام احمد وخرج الطبراني وغيره من حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعاء له طويل اللهم اني اسالك

فواتح الخير وخواتمه وجوامعه واوله وآخره وظاهره وباطنه وخرج ابو
داود من حديث قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الجوامع
من الدعاء ويدع ما بين ذلك قوله صلى الله عليه وسلم واستغفرك لما تعلم
انك انت علام الغيوب ختم الدعا بالاستغفار فانه خاتمة الاعمال الصالحة
وقوله واستغفرك لما تعلم جميع ما يجب الاستغفار منه من ذنوب العبد
وقد لا يكون العبد عالما بذلك كله فان من الذنوب ما لا يشعر العبد بانه ذنب بالكلية
كما في الحديث المرفوع الشرك اخفى في هذه الامة من دبيب النمل على الصفا قالوا
فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك ونحن نعلم ونستغفرك
لما لا نعلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم اغفر لي ما قدمت
وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر
لا اله الا انت ومن الذنوب ما ينساه العبد ولا يذكره وقت الاستغفار
فيحتاج العبد الى استغفار عام من جميع ذنوبه ما علم منها وما لم يعلم والكل
قد علمه الله واحصاه فلهذا قال واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب قال ابراهيم
قال الله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه
التيمي لانا على ذنوبي التي لا اذكرها اخوف مني على الذنوب التي اذكرها لاني استغفر
من التي اذكرها من اهمته ذنوبه صارت نصب عينيه ولم ينسها ومن لم تهمه
ذنوبه هانت عليه فنسيها فلم يذكرها الا يوم يتذكر الانسان وانى له الذكرى
اذا نشر ديوانه قال ابن مسعود السيآت لتفضح ارباب الجرائم من صغارها قبل كبارها ويقولون
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
المؤمن يرى ذنوبه كانه في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه
كذباب طار على انفه فقال هكذا قال عون بن عبد الله جرائم التائبين منصوبة
بالندامة نصب اعينهم لا تقر للتائب في الدنيا عين كلما اجترح على نفسه قال
الفضيل بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله وبقدر ما يعظم عندك يصغر
عند الله قال كعب ان العبد ليعمل الذنب الصغير فيحتقره ولا يندم عليه ولا يستغفر
الله منه فيعظم عند الله حتى يكون مثل الطود ويعمل الذنب العظيم فيندم عليه
ويستغفر منه فيصغر عند الله حتى يغفره قال واصاب رجل ذنبا فحزن عليه فجعل
يجيء ويذهب ويقول بما ارضي ربي فكتب صديقا وقال ابو ايوب الانصاري ان
الرجل ليعمل بالمحقرات حتى يأتي الله وقد احطن به ويعمل بالسيئة فيفرق منها حتى
يأتي الله آمنا قال بعض السلف ان الرجل لتعرض عليه ذنوبه يوم القيمة فيمر بذنب
فيقول

فيقول اما اني كنت مشفقا منك فيغفر له وقال بعضهم كفاك همك بذنبك من
تعبتك اقلاعا وانابة قال الاوزاعي كان يقال من الكبائر ان تعمل الذنب فتحتقره
من هنا قال بعضهم لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت وقال الوبير
لهرم بن حيان لا تنظر الى صغر ذنبك ولكن انظر من عصيت فان صغرت ذنبك فقد صغرت
الله وان عظمت ذنبك فقد عظمت الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص من ذكر خطيئة
عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله منها لم يحبسها شيء حتى يمحوها عنه الرحمن
قال الفضيل في قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب قال هو الرجل يذكر ذنوبه في الخلا
فيستغفر الله منها كان السلف لقلة ذنوبهم يعدونها قال رباح القيسي لي
نيف واربعون ذنبا قد استغفرت لكل ذنب مائة الف مرة ركب ابن سيرين الدين
فقال هذا بذنب اذنبته منذ اربعين سنة قلت لرجل يا مفلس فذكرت ذلك لابي
سليمان فقال قلت ذنوبهم فعرفوا من اين اتوا وكثرت ذنوبنا فلم نعرف من اين نؤتى
كان معروف الكرخي رحمه الله ينشد

اي شيء تريد مني الذنوب ۔ شغفت بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوب لو اعتقتني ۔ رحمة لي فقد علاني المشيب

ما يامل احد يرجون اليه غير الله والى ذلك اشار بقوله والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
الخطاؤن الا رحمة من اسبل على خطاياهم ذيل الكرم فسترها ولولا ان حلمه وسع
الخلق لهلكوا قال هارون بن رياب حملة العرش اربعة يتجاوبون التسبيح يقول
اثنان منهم سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك ويقول الآخران سبحانك وبحمدك
على عفوك بعد قدرتك لما يرون من ذنوب بني آدم قال محمد بن النضر الحارثي
اصبت في بعض الكتب ان الله تعالى يقول ابن آدم لو يعلم الناس منك ما اعلم
لنبذوك فقد سترت عليك وغفرت لك على ما كان منك ما لم تشرك بي شيئا
وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يدعو بالعبد يوم
القيمة فيضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول اتذكر ذنب كذا اتذكر ذنب كذا
فلا يزال يقرره حتى اذا رأى انه هلك قال له اني سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها
لك اليوم وفي رواية يأتي الله يوم القيمة بالمؤمن فيقربه حتى يجعله في حجابه من
جميع الخلق فيقول له اقرأ فيعرفه ذنبا ذنبا اتعرف اتعرف فيقول نعم ثم يلتفت العبد
يمنة ويسرة فيقول الله لا باس عليك يا عبدي انت في ستري من جميع خلقي

ليس بيني وبينك اليوم احد يطلع على ذنوبك غيري اذ فقد غفرتها لك اليوم
بحرف واحد من جميع ما أتيتني به قال ما هي يا رب قال كنت لا ترجو عفوًا من
احد غيري **اخواني** هب انه تجاوز عن الزلل فاين ما يلقاه العاصي عند تقريره
بذنوبه من الحيا والخجل العارفون يشتد قلقهم من الحيا من الله عند الوقوف بين
يديه **قال بعضهم** ما يمر بي اشد من الحيا من الله وكان الفضيل يقول واسوأتاه
منك وان غفرت وقال غيره لو خيرت بين ان ابعث فاوقف بين يديه ثم يامر بي الى
الجنة وبين ان لا ابعث لاخترت ان لا ابعث ولا ارى الجنة وقال آخر لو امر بي من الموقف
الى النار لكان اهون علي من ان يقفني بين يديه ثم يامر بي الى الجنة **قال ابو**
يدني الله العبد يوم القيمة فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع اليه
كتابه في ذلك الستر فيقول اقرأ يا ابن آدم كتابك فيقرأ فيمر بالحسنة فيبيض
لها وجهه ويسر بها قلبه فيقول الله اتعرف يا عبدي فيقول نعم فيقول اني قبلتها
منك فيسجد فيقول ارفع رأسك وعد في كتابك فيمر بالسيئة فيسود لها و
جهه ويوجل منها قلبه وترتعد منها فرائصه ويأخذه من ربه ما لا يعلمه غيره
فيقول اتعرف يا عبدي فيقول نعم يا رب اعرف فيقول اني قد غفرتها لك فيسجد فلا
يرى منه الخلائق الا السجود حتى ينادي بعضهم بعضا طوبى لهذا العبد الذي
لم يعص الله قط ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين الله عز وجل فيما قد و
قفه الله عليه شعرا

استغفر الله مما يعلم الله ❁ ان الشقي لمن لا يرحم الله
هبه تجاوز لي عن كل مظلمة ❁ يا سوأتا من حيائي يوم القاه
ما احلم الله عمن لا يراقبه ❁ كل مسيء ولكن يحلم الله
استغفر الله ما كان من زلل ❁ طوبى لمن كف عما يكره الله
طوبى لمن حسنت ايضا سريرته ❁ طوبى لمن ينتهي عما نهى الله

آخر الكلام على الحديث والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم
تم بقلم كاتبه لنفسه عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن ربيعة الربيعي غفر الله له ولوالديه
والمسلمين اجمعين وذلك في يوم ٢٢ محرم ١٣٣٤
بلغ

غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع تصنيف الامام زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن
كمثل خامة الزرع من حيث اتتها الريح كفأتها فاذا اعتدلت تكفأ بالبلاء والفاجر
كالارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله اذا شاء وهذا لفظ البخاري وخرجا ايضا من حديث
كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة
وتعدلها مرة ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة وخرجه الامام احمد
بمعناه ففي هذه الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثل المؤمن في اصابة البلاء
لجسده بخامة الزرع التي تفيئها الريح يمنة ويسرة والخامة الرطبة من النبات ومثل المنافق
والفاجر بالارزة وهي الشجرة العظيمة التي لا تحركها الرياح ولا تزعزعها حتى يرسل الله عليها ريحا عاصفا
فتقلعها من الارض دفعة وقد قيل انها شجرة الصنوبر قاله ابو عبيد وغيره وقيل انها شجرة
تشبه شجر الصنوبر ففي هذا فضيلة عظيمة للمؤمن بابتلائه في الدنيا في جسده بانواع البلا كلها
وتميز له عن الفاجر والمنافق بانه لا يصيبه البلاء حتى يموت بحاله فيلقى الله بذنوبه
فيستحق العقوبة عليها **والنصوص** في تكفير ذنوب المؤمن بالبلاء والمصائب كثيرة جدا ففي الصحيحين
عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه
حتى الشوكة يشاكها وفيهما ايضا عن عطا ابن يسار عن ابي سعيد الخدري وابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفيهما ايضا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما
من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة وفي
رواية يصيبه اذى شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها **وخرج الامام**
احمد والنسائي والترمذي من حديث سعد ابن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال البلايا
بالعبد حتى تتركه يمشي على الارض ما به خطيئة **وخرج الامام احمد** والترمذي وابن حبان من
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تزال البلايا بالمؤمن والمؤمنة في جسده وماله و
ولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة **وفي صحيح ابن حبان** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل فلا يزال الله يبتليه بما يكره
حتى يبلغه اياها **وفي المسند** عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمرض مؤمن ولا مؤمنة
ولا مسلم ولا مسلمة الا حط الله عنه من خطاياه وخرجه ابن حبان وزاد كما يحط الورق عن الشجرة
وفيه عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تزال الصداع والمليلة بالمؤمن وان ذنبه
مثل احد فما يدعه وعليه من ذلك مثقال حبة من خردل وانما يعرف قدر البلاء اذا كشف
الغطا يوم القيمة كما في الترمذي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يود اهل العافية يوم القيمة
حين يعطى اهل البلاء الثواب لو ان جلودهم قرضت بالمقاريض في الدنيا **وفي سنن ابي داود**

عن عامر الرام قال جلست الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الاسقام فقال ان المؤمن اذا اصابه
السقم ثم اعفاه الله منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل وان المنافق
اذا مرض ثم اعفي كان كالبعير عقله اهله ثم ارسلوه فلم يدر لم عقلوه ولم ارسلوه فقال رجل
ممن حوله يا رسول الله وما الاسقام والله ما مرضت قط قال قم عنا فلست منا وهذا كما قال
الذي يساله عن الحمى فلم يعرفها من سره ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا فجعل الفرق
بين اهل الجنة واهل النار اصابة البلا والمصائب كما جعل ذلك فرقا بين المؤمنين والمنافقين و
الفجار في هذه الاحاديث المذكورة هاهنا وفي المسند عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه ذكر اهل النار فقال كل شديد جعظري هم الذين لا يالمون رؤسهم وفي المسند عن انس ان
امراة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ابنة لي كذا وكذا ذكرت حسنها و
جمالها اثرتك بها قال قد قبلتها فلم تزل تمدحها حتى ذكرت انها لم تصدع ولم تشتك شيا
قط قال لا حاجة لي في ابنتك وخرجه ابن ابي الدنيا من وجه آخر مرسلا وفيه قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا حاجة لنا في ابنتك اتجيئنا تحمل خطاياها لا خير في مال لا يرزا منه وجسد
لا ينال منه وروى باسناده عن قيس ابن ابي حازم قال طلق خالد ابن الوليد امراته ثم احسن
عليها الثنا فقيل له يا ابا سليمان لاي شيء طلقتها قال ما طلقتها لامر رابني منها ولكن لم يصبها عندي
بلاء وباسناده عن عمار بن ياسر انه ذكر الاوجاع فقال اعرابي عنده ما اشتكيت قط فقال عمار
ما انت منا ولست منا ان المسلم يبتلى ببلاء فيحط عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها وان الكافر
والفاجر يبتلى ببلاء فمثله مثل البعير اطلق فلم يدر لم اطلق وعقل وباسناده عن كعب قال
اجد في التوراة لولا ان يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد لا يصدع ابدا
وعن الحسن قال كان الرجل منهم او من المسلمين اذا مر به عام لم يصب في نفسه ولا في ماله قال ما لنا
ان يودع الله عنا وقال الحسن انما انتم بمنزلة الغرض يرمى كل يوم ليس من مرضه الا قد اصابتهم
منه رمية عقل من عقل وجهل من جهل حتى تجيء الرمية التي لا تخطئ وعن صالح ابن مسمار
انه دخل على مريض يعوده فقال له ان ربك قد عاتبك فاعتبه وعن ابن عباس انه كان اذا راى
الناقه قال له لربك وروي مرفوعا من حديث خوات بن جبير واسناده ضعيف
وقال الحسن في ايام الوجع اما والله ما هي بشر ايام المسلم ايام قورب له فيها اجله وذكر
فيها ما نسي من معاده وكفر بها من خطاياه وكان اذا دخل على مريض قد عوفي قال له يا هذا ان الله
قد ذكرك فاذكره واقالك فاشكره ففي الاسقام والبلايا والاوجاع كلها كفارات للذنوب
الماضية ومواعظ للمؤمنين حتى يتعظوا بها ويرجعوا بها في المستقبل عن سيء ما كانوا عليه
قال الفضيل انما جعلت العلل ليؤدب بها العباد وليس كل من مرض مات والى هذا المعنى الاشارة
بقوله عز وجل اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وبعض
المتقدمين شعرا في كل عام مرضت ثم نقهت وتنعى ولا تنعى متى ذا الى متى واعلم ان تمثيل — لعله نقهت
المؤمن بالزرع وتمثيل المنافق والفاجر بالشجر العظام يشتمل على فوائد جليلة نذكر ما تيسر الله
منها ان الزرع ضعيف مستضعف والشجر قوي مستكبر متعاظم فالشجر لا
من حر ولا برد ولا من كثرة ماء ولا من ريح والزرع بخلاف ذلك وهذا هو الفرق بين المؤمن والكافر
وبين اهل الجنة والنار كما في الصحيحين عن حارثة ابن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا
اخبركم

اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال الضعفا المغلوبون الا انبئكم باهل النار قالوا بلى قال كل شديد
جعظري هم الذين لا يالمون رؤسهم وخرجه ايضا بمعناه من حديث سراقة بن مالك وعبد الله
ابن عمرو وخرجاه في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار
فقالت الجنة ما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وقالت النار ما لي لا يدخلني الا الجبارون
والمتكبرون الحديث وقد ورد في القرآن تشبيه المنافقين بالخشب المسندة مع حسن منظرهم
قال اذا رايتهم تعجبك اجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كانهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة
عليهم فوصفهم بحسن الاجسام وتمامها وحسن المقال وفصاحته حتى يعجب من منظرهم
من راهم ويسمع قولهم من سمعه سماع اصغاء واعجاب به ومع هذا فبواطنهم خراب ومعانيهم
فارغة فلهذا امثلهم بالخشب المسندة التي لا روح لها ولا احساس وقلوبهم مع هذا
ضعيفة في غاية الضعف يحسبون كل صيحة عليهم وهكذا كل مريب يظهر خلاف ما يضمر
يخاف من ادنى شيء ويحسبه عليه واما المؤمن فبعكس هذه الصفات غالبهم مستضعفون
في ظاهر اجسامهم ولباسهم وكلامهم لانهم اشتغلوا بعمارة قلوبهم وارواحهم عن عمارة اجسادهم
فقلوبهم ثابتة قوية عامرة فيكابدون بها الاعمال الشاقة في طاعة الله من الجهاد والعبادات
والعلوم وغيرها مما لا يستطيع المنافق مكابدته لضعف قلبه ولا يخافون من ظهور ما في قلوبهم
الا خشية الفتنة على نفوسهم فان بواطنهم خير من ظواهرهم وسرهم اصلح من علانيتهم
قال سليمان التيمي اتاني آت في منامي فقال يا سليمان ان قوة المؤمن في قلبه فالمؤمن
لما اشتغل بعمارة قلبه عن عمارة قالبه استضعف ظاهره وربما ازدري ولو علم الناس ما في
قلبه لما فعلوا ذلك قال علي لاصحابه كونوا في الناس كالنحل في الطير كل الطير يستضعفها ولو
علموا ما في جوفها ما فعلوا ومن قوة قلب المؤمن وثباته انه ثابت على الايمان فالايمان الذي في
قلبه كمثل شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء فيعيش على الايمان ويموت على الايمان
ويبعث عليه وانما الرياح وهي بلايا الدنيا تقلب جسمه يمنة ويسرة وقلبه لا تصل اليه
الرياح لانه محروس بنور الايمان والكافر والمنافق بعكس ذلك قوي جسمه لا تقلبه رياح
الدنيا واما قلبه فانه ضعيف تلاعب به الاهوية المضلة فتقلبه يمنة ويسرة فلهذا الك
كان مثل قلبه كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار كشجر الحنظل ونحوه
ليس له اصل ثابت في الارض وقال علي في صفة الهمج الرعاع اتباع كل ناعق يميلون
مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق وبهذا يظهر الجمع
بين حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع والفاجر بشجرة الارز وبين حديث تمثيل المؤمن
بالنخلة فان التمثيل بالزرع بجسده لتوالي البلا عليه والتمثيل بالنخلة ايمانه
وعمله وقوله يدل عليه قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة فجعلها مثلا بكلمة الشهادة التي هي اصل الاسلام وثبوتها في قلب المؤمن كثبوت
اصل النخلة في الارض وارتفاع عمل المؤمن الى السماء كارتفاع النخلة وتجدد عمل المؤمن من
كل حين وقد روي عن ابي هريرة ان المؤمن الضعيف مثل الزرع والقوي مثله كمثل

النخلة وخرجه البزار وغيره مرفوعا ولا يصح رفعه انما هو موقوف قاله الدارقطني وغيره و
منها ان ثمرة الزرع وهو السنبل يستضعف ويطمع فيه كل احد لقرب تناوله فيطمع الادمي
في الاكل منه وفي قطعه وسرقته والبهائم في رعيه والطير في الاكل منه وكذلك المؤمن يستضعفه
فيعاديه عموم الناس لان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا فعموم الخلق
يستضعفه ويستغربه ويؤذيه لغربته بينهم واما الكافر والمنافق او والفاجر الذي
كالصنوبرة فانه لا يطمع فيه فلا الرياح تزعزع بدنه ولا يطمع في تناول ثمرته لامتناعها
وفي كتاب الزهد للامام احمد عن عصام ابن يحيى الحضرمي قال شكى الحواريون الى المسيح
عليه السلام من ولع الناس بهم وبغضهم اياهم فقال المسيح كذلك المؤمنون مبغضون
في الناس وانما مثلهم كمثل حبة القمح ما احلى مذاقها واكثر اعدائها وقال كعب في
التوراة ما كان حليم قط في قوم الا بغوا عليه وحسدوه وكان خيثمة يقول كلاما
معناه ان من الناس من اجتهد في نفعه وهو يجتهد في أذاي انه لا يحب منافقو مومنا
ومنها ان المؤمن يمشي مع البلاء كيف ما مشى به فيلين فيقلبه البلا يمنة ويسرة
ابدا فكلما اداره استدار معه فيكون عاقبته العافية من البلا وحسن الخاتمة وتوفي ميتة
السوء فلهذا كان مثله كمثل السنبلة تفيئها الرياح يمنة ويسرة فلا تقدر الرياح كما
وقال في امثال العرب اذا رايت الريح عاصفا فتطامن اي اذا رايت الامر غالبا فاخضع له
الحكماء لا يرد العدو القوي بمثل الخضوع له ومثله مثل الريح العاصف يسلم منها الزرع
للينه لها ومعها وتتقصف منها الشجر العظام لانتصابها لها فان الفاجر لقوته وتعاظمه
يتقاوى على الاقدار ويستعصي عليها كشجرة الصنوبر التي تستعصي على الرياح ولا تطاوعها
فتسلط عليه ريح قاصف لا يقوى عليها فتقلعه من اصله بعروقه فتهلكه وهذا
كما حكى الله عن عاد قال فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من اشد منا
قوة الايتين فالمؤمن لما تواضع لعظمة الله وصبر على بلائه كانت عاقبته الحسنى و
سلم في الدنيا والآخرة من البلا وكانت العافية له والفاجر لما تكبر وتعاظم وتقاوى على
اقدار الله عجل الله عقوبته فسلط عليه بلاء يستأصله ولا يقدر على الامتناع منه
كالشجر العظام التي تقتلعها الرياح بعروقها قال بعضهم شعرا

ان الرياح اذا عصفن فانما ❊ تولي الاذية شامخ الاغصان

وقال غيره

من احمل النفس احياها وروحها ❊ ولم يبت طاويا منها على ضجر
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها ❊ فليس ترمي سوى العالي من الشجر

ومنها ان الزرع وان كانت كل طاقة منه ضعيفة ضئيلة الا انه يتقوى بما يخرج
معه وحوله ويعتضد به بخلاف الشجر العظام فان بعضها لا يشد بعضا وقد ضرب
الله تعالى مثل نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه بالزرع لهذا المعنى قال ومثلهم في
الانجيل

الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه وقوله اخرج
شطأه اي فراخه فآزره اي ساواه وصار مثل الام وقوي به فاستغلظ اي غلظ
فاستوى على سوقه جمع ساق فالزرع مثل النبي صلى الله عليه وسلم اذ خرج وحده
فامده باصحابه وهم شطأ الزرع كما قوي الطاقة من الزرع بما ينبت منها حتى غلظت
واستحكمت وفي الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع وقد قال عز وجل و
المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال والمنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض فالمؤمنون بينهم ولاية وهي مودة ومحبة باطنة كما قال تعالى انما المؤمنون
اخوة لان المؤمنين قلوبهم على قلب رجل واحد فيما يعتقدونه من الايمان واما
المنافقون فقلوبهم مختلفة كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فاهواؤهم
مختلفة ولا ولاية بينهم في الباطن وانما بعضهم من جنس بعض في الكفر والنفاق
وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضا وشبك بين اصابعه وفيهما ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل
المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائره بالحمى والسهر ومنها ان الزرع ينتفع به بعد حصاده
فانه يحصده اربابه ثم يبقى منه بعد حصاده ما يلتقطه المساكين وترعاه البهائم
وتاكله الطير وربما استخلف بعضه فاخرج منه ثانية ويبيع منه من الحب
ما ينبت مرارا وهكذا مثل المؤمن يموت ويخلف ما ينتفع منه من علم نافع
وصدقة جارية وولد صالح ينتفع به واما الفاجر فاذا انقلع من الارض
لم يبق فيه نفع بل ربما اثر ضررا فهو كالشجرة المنجعفة لا تصلح الا للوقيد
النار ومنها ان الزرع في حمله مبارك كما ضربه الله مثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء وليس كذلك الشجر
لان كل حبة مما يغرس منه لا تزيد على نبات شجرة واحدة منها ومنها
ان الحب الذي ينبت منه الزرع هو قوت الادميين وغذا ابدانهم وسبب
حياة اجسادهم فكذلك الايمان هو قوت القلوب وغذاء الارواح وسبب
حياتها ومتى فقدته القلوب ماتت وموت القلوب لا يرجى معه حياة
ابدا بل هو هلاك الدنيا والاخرة كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت ❊ انما الميت ميت الاحياء

فلذلك شبه المؤمن بالزرع حيث كان الزرع حياة الاجساد والايمان حياة
الارواح واما ثمر بعض الاشجار العظام كالصنوبر ونحوه فليس له كبير نفع

وربما لا يتضرر بفقده فكذلك مثل الفاجر او المنافق بهذه العجرة لقلة نفع ثمرها
لما كانت الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فصاحب السجن لا يزال في بلاء
حتى يخرج منه فاذا خرج من السجن افضى الى الرخى والنعيم الدائم وصاحب الجنة اذا
خرج منها وقع في السجن الدائم اذا صبغ انعم الناس كان في الدنيا صبغة في العذاب
فقيل له هل مر بك نعيم قط قال لا يا رب واذا صبغ ابأس الناس في الدنيا في النعيم
صبغة ثم قيل له هل مر بك بؤس قط قال لا يا رب ما كانه تعب من استراح ولا
استراح من تعب ⁂ فما هي الا ساعة ثم تنقضي ⁂ ويذهب هذا كله ويزول
لا يجد اهل الجنة من الم نصب الدنيا شيا بل ينقلب راحة ابدا

جميع الام لسع النحل يذهبها ⁂ ما يجتني المجتني من لذة العسل

من طمع في الوصول الى المعالي صبر على مواصلة نصب النهار بسهر الليالي من اراد
غدا قربنا فليصبر اليوم على الم ضربنا فما يحس بالم من صدق في حبنا لا بد من البلوى
والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و
الصابرين ونبلو اخباركم الراحة لا تنال بالراحة

لولا المشقة ساد الناس كلهم ⁂ الجود يفقر والاقدام قتال

مراتب الدنيا لا تنال الا بالصبر على البلا في طلبها والمجاهدة فكيف من اراد مقعد
صدق عند مليك مقتدر ⁂ كم صبروا حتى قدروا ⁂ كم غضوا حتى نظروا ⁂ ما وصلوا
الى المنزل الابعد طول السجن ما نالوا لذة الراحة الا بعد ان صبروا على المشقة

لو قرب الدر على طلابه ⁂ ما لجج الغائص في طلابه
ولو اقام لازما اصدافه ⁂ لم تكن التيجان في حسابه
ما لولو البحر ولا مرجانه ⁂ الا وراء الهول من عبابه

آخر ما وجدنا والحمد لله اولا وآخرا وظاهرا وباطنا وصلى الله على عبده ورسوله
محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا تم ذلك بمعونة الله في اليوم
الثاني عشر من ربيع اول ١٣٣٤ بقلم الفقير الى الله عبد الله بن ابراهيم الربيعي

بلغ

ويليها البشارة العظمى للمؤمن بان حظه من النار الحمى تاليف
الشيخ الامام زين الدين عبد الرحمن بن احمد بن رجب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

خرج الامام احمد من حديث ابي الحصين الشامي عن ابي صالح الاشعري عن ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم فما اصاب المؤمن منها كان
حظه من النار وفي رواية له كان حظه من جهنم اختلف في اسناد هذا الحديث عن ابي
صالح

صالح الاشعري فقال ابو الحصين الفلسطيني عن ابي امامة وخالفه اسماعيل بن عبد الله
فرواه عن ابي صالح الاشعري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عاد مريضا
ومعه ابو هريرة من وعك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشر فان الله يقول
هي ناري اسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة خرجه ابن
ماجة من طريق ابي اسامة عن عبد الرحمن بن يزيد عن اسماعيل به وعبد الرحمن بن يزيد بن
تميم الدمشقي ضعيف ومن قال انه جابر فقد وهم وقد خرجه الطبراني من رواية ابي المغيرة
عن ابي تميم به وخالفه سعيد بن عبد العزيز فرواه عن اسماعيل بن عبد الله عن ابي صالح
عن كعب الاحبار من قوله قال الدارقطني وهو الصواب قال ورواه شبابة عن غسان
عن ابي حصين عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ظنه ابا حصين
الاسدي الكوفي بفتح الحاء وكسر الصاد وظن ابا صالح هو السمان وكل ذلك وهم انما
هو ابو حصين بضم الحاء وفتح الصاد فلسطيني ليس بالمشهور وابو صالح هو الاشعري
وقد روي هذا من حديث عائشة من رواية هشيم بن مغيرة عن ابراهيم عن الاسود عن
عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الحمى حظ كل مؤمن من النار خرجه ابن
ابي حاتم من طريق عمر بن مخلد التمار الواسطي عن هشيم به وذكره الدارقطني وقال في التمار
لا باس به قال وخالفه مندل فرواه عن ابراهيم عن عائشة موقوفا وهو المحفوظ قلت
قد توبع التمار على روايته عن هشيم فرواه نصر بن زكريا عن جعفر بن عبد الله البلخي عن
هشيم كما رواه التمار وقد روي عن عائشة من وجه آخر خرجه الطبراني والبزار من
رواية عمر بن راشد مولى عبد الرحمن بن ابان بن عثمان عن محمد بن عجلان عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمر بن راشد هذا قال ابن عدي هو مجهول
وروي من حديث عثمان بن عفان من رواية الفضل بن حماد الازدي عن عبد الله ابن عمران
القرشي عن مالك بن دينار عن معبد الجهني عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيمة خرجه ابن ابي الدنيا والعقيلي وقال في ابن عمران
لا يتابع على حديثه قال واسناده غير محفوظ والمتن معروف بغير هذا الاسناد وقال
في موضع آخر في اسناده نظر قال وهذا مروي من غير هذا الوجه باسناد اصلح من
هذا يثبت وهو صحيح انتهى ومعبد الجهني هو القدري المبتدع وروي من حديث
ابي ريحانة من رواية عصمة بن سالم الهنائي عن اشعث عن عن
ابي ريحانة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى كير من جهنم وهي نصيب المؤمن من النار
خرجه ابن ابي الدنيا وغيره وروي من حديث انس رواه الطبراني من حديث الشاذكوني
انبانا عيسى بن ميمون عن قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى حظ المؤمن
من النار اسناده ضعيف وقد روي ايضا من حديث ابي مسعود ولا يصح وروي مرسلا
خرجه محمد بن سعد في طبقاته انبانا ابو نعيم الفضل ابن دكين حدثنا اسماعيل

ابن مسلم العبدي حدثنا ابو المتوكل ان نبي الله صلى الله عليه وسلم ذكر الحمى فقال من كانت به
فهي حظه من النار فسالها سعد بن معاذ ربه فلزمته فلم تفارقه حتى فارق الدنيا وروي
عن مجاهد من قوله خرجه ابن ابي الدنيا من رواية عثمان ابن ابي الاسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل
مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها الآية والورود في الدنيا هو الورود في الآخرة اعلم
ان الله خلق الجنة والنار ثم خلق بني آدم وجعل لكل واحدة من الدارين اهلا منهم ثم بعث
الرسل مبشرين ومنذرين يبشرون بالجنة من آمن وعمل صالحا وينذرون بالنار من كفر وعصى واقام
ادلة وبراهين دلت على صدق رسله فيما اخبروا به عن ربهم من ذلك واشهد عباده في هذه
الدار آثارا من الجنة وآثارا من النار فاشد ما يجد الناس من الحر من فيح جهنم واشد ما يجدونه
من البرد من زمهرير جهنم كما صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي انه برد السحر الذي
يجده الناس كل ليلة من برد الجنة حين تفتح سحرا كل ليلة وروي عن عبد الله بن عمرو ان الجنة معلقة (هكذا بالاصل)
بقرون الشمس سر كل عام مرة سر الى زمن الربيع وما يظهر فيه من الازهار والثمار وطيب
الزمان واعتداله في الحر والبرد وابلغ من هذا كله انه اشهد عباده في نفوسهم آثارا
محسوسة يجدونها ويحسونها من آثار الجنة والنار فاما ما يجدونه من آثار
الجنة فما يتجلى لقلوب المؤمنين من آثار انوار الايمان وتجلي الغيب لقلوبهم حتى يصير الغيب
كالشهادة لقلوبهم في مقام الاحسان فربما تجلت الجنة او بعض ما فيها لقلوبهم احيانا
حتى يرونها كالعيان وربما استنشقوا من روائحها كما قال انس بن النضر يوم احد واها لريح
الجنة والله اني لاجد ريح الجنة من قبل احد واما ما يجدونه من آثار النار فما يجدونه
من الحمى فانها من فيح جهنم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فاطفئوها بالماء
وهي نوعان حارة وباردة فالحارة من آثار سموم جهنم والباردة من آثار زمهرير
جهنم وروى ابن اسحاق عن محمد بن عمرو بن عطاء عن ابي السائب مولى عبد الله بن زهرة عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النار استاذنت ربها في نفسين فاذن لها فاما احدهما فنفسه
الجذوة التي تصيبكم من السماء واما الاخرى فنفسه الحمى التي تصيبكم فاذا اشتدت على احدكم
فليطفئها عنه بالماء البارد خرجه ابو احمد الحاكم واسناده جيد وهو غريب جدا فاذا
كانت الحمى من النار ففي هذه الاحاديث السابقة انها حظ المؤمن من نار جهنم يوم القيمة والمعنى
والله اعلم بمراده ان الحمى في الدنيا تكفر ذنوب المؤمن وتطهره بها حتى يلقى الله بغير ذنب فيلقاه
طاهرا مطهرا من الخبث فيصلح لمجاورته في دار كرامته دار السلام ولا يحتاج الى تطهير وهذا
في حق المؤمن الذي حقق الايمان ولم يكن له ذنوب الا ما تكفره الحمى وتطهره وقد
تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بتكفير الذنوب بالاسقام والاوصاب وهي
كثيرة جدا يطول ذكرها ونحن نذكر هاهنا بعض النصوص المصرحة بتكفير الحمى ففي صحيح
مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ام السائب او ام المسيب فقال مالك تزفزفين
قالت الحمى لا بارك الله فيها قال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير
الخبث وخرج ابن ماجة من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه وخرج
الحاكم

الحاكم من حديث عبد الرحمن بن ازهر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن حين يصيبه
الوعك او الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها وقال صحيح الاسناد وقال
غيره من الحفاظ لا اعلم له علة وخرج الترمذي من حديث عائشة انها سئلت النبي صلى
الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله
من يعمل سوءا يجز به فقال هذه معاتبة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة
يضعها في جيب قميصه فيفقدها فيفزع لذلك حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر
الاحمر من الكير وقال حسن غريب وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الحمى والمليلة لا يزالان بالمؤمن وان ذنبه مثل احد فما يدعانه وعليه من ذنبه
مثقال حبة من خردل وخرجه الامام احمد وعنده ان الصداع والمليلة وخرج الطبراني
من حديث ابي بن كعب انه قال يا رسول الله ما جزاء الحمى قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج
عليه قدم او ضرب عليه عرق فقال ابي ابن كعب اللهم اني اسالك حمى لا تمنعني خروجا في
سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك قال فلم يمس قط الا وبه حمى ومعنى اجراء
الحسنات عليه كتابة ما كان يعمله في الصحة مما منعته منه الحمى كما ورد تفسيره في
احاديث اخر صريحة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد من به الحمى قال له طهور ان شاء الله
يعني انها تطهر من الذنوب والخطايا ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل على مريض يعوده قال لا باس طهور ان شاء الله فدخل على اعرابي يعوده فقال له
لا باس طهور ان شاء الله فقال الاعرابي طهور بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فنعم اذا يعني انه لم يقبل الطهارة بل ردها واخبر عن حماه بما
اخبر به عن نفسه فحصل له ما اختاره لنفسه دون ما رده وقد خرجه ابو نعيم في تاريخ
اصبهان من حديث شرحبيل بن السمط قال شيخ اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله شيخ كبير وحمى تفور في عظام شيخ كبير تزيره القبور فقال النبي صلى الله
عليه وسلم بل كفارة وطهور فقالها ثلاثا فاعادها عليه بل كفارة وطهور فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم في الثالثة فنعم اذا ان الله اذا قضى على عبد قضاء لم يكن لقضائه
رد وفي مسند الامام احمد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على اعرابي يعوده
وهو محموم فقال كفارة وطهور فقال الاعرابي بل حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتركه وقال هشام عن الحسن يرجون في حمى ليلة كفارة لما مضى من
الذنوب وقال حوشب عن الحسن رفعه ان الله ليكفر عن المؤمن خطاياه بحمى ليلة وروي
عن الحسن عن ابي هريرة مرفوعا باسناد ضعيف وقال عبد الملك بن عمير قال ابو الدرداء
حمى ليلة كفارة سنة روى ذلك كله ابن ابي الدنيا وقد قيل في مناسبة تكفير حمى ليلة
لذنوب سنة ان القوى تضعف بالحمى فلا تعود الى ما كانت عليه الى سنة تامة وفي (لعله البدنية)
مناسبة تكفيرها الذنوب كلها ان الحمى تاخذ منها كل اعضاء البدن ومفاصله قسطه
من الالم والضعف واذا كانت الحمى بهذه المثابة وانها كفارة للمؤمن وطهارة له
من ذنوبه فهي حظه من النار باعتبار ما سبق ذكره فانه لا يحتاج الى الطهارة بالنار يوم القيمة

الامن لقي الله وهو متلطخ بخبث الذنوب وفي الترمذي عن ابي بكر الصديق انه كان
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ هذه الآية حين انزلت من يعمل سوءا يجز به قال ولا اعلم الا
اني وجدت في ظهري انقصاما فتمطئت لها وقلت يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون
بما عملنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في
الدنيا حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيمة
وفي مسند بقي بن مخلد باسناد جيد عن عائشة ان رجلا تلا هذه الآية من يعمل سوءا يجز
به انا لنجزا بكل عمل عملنا هلكنا اذا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم يجزا
به المؤمنون في الدنيا في نفسه في جسده فما دونه واما ما روي عن مجاهد ان الحمى في الدنيا
هو ورود جهنم يوم القيمة فان صح عنه فله معنى صحيح وهو ان ورود النار في الآخرة قد
اختلف فيه الصحابة على قولين احدها انه المرور على الصراط كقول ابن مسعود والثاني
انه الدخول فيها كقول ابن عباس فمن قال انه المرور على الصراط فانه يقول ان مرور المؤمنين
على الصراط بحسب ايمانهم واعمالهم كما صحت به النصوص النبوية فمن كمل ايمانه نجى ولم يتأذ
بالنار ولم يسمع حسيسها ومن نقص ايمانه فانه قد تخدشه الكلاليب ويتكردس
في النار بحسب ما نقص من ايمانه ثم ينجو ومن قال هو دخول النار فانه يقول ان المؤمنين
الذين كمل ايمانهم لم يحسون بحرها بالكلية وفي المسند عن جابر مرفوعا لا يبقى احد الا
دخلها فاما المؤمنون فتكون عليهم بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا
من بردهم وفي حديث آخر تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي و
قال بعض التابعين اذا قطع المؤمنون الصراط يقول بعضهم لبعض الم يعدنا ربنا
ان نرد النار فيقولون نعم وردتموها وهي خامدة فعلى كلا القولين المؤمنون الذين كمل
ايمانهم لا يحسون بحر جهنم ولا يتأذون به عند الورود عليها فيكون ما اصابهم في الدنيا من فيح
جهنم بالحمى هو حظهم من النار فلا يحصل لهم شعور واحساس بحر النار سوى احساسهم
بحر الحمى في الدنيا فهذا هو معنى ما ورد ان الحمى حظ المؤمن من النار وانها حظهم من
ورود النار يوم القيمة والله اعلم وقد كانت الحمى تشتد على رسول الله صلى الله بلغ
عليه وسلم لعظم درجته عند الله وكرامته عليه واراد ترفعة درجته عنده
وفي رواية ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحم فوضعت
يدي عليه فقلت ما اشد حماك وانك لتوعك وعكا شديدا قال اني اوعك كما يوعك
رجلان منكم اما انه ليس من عبد مؤمن ولا امة مؤمنة يمرض مرضا الا حط الله عنه
خطاياه كما يحط عن الشجرة ورقها اخرجه البخاري بمعناه وهذا لفظ ابن ابي الدنيا وفي
رواية البخاري قلت ذلك ان لك اجرين قال اجل وخرج ابن ماجة من حديث ابي سعيد
الخدري قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت
حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ما اشدها عليك قال انا كذلك يضعف
لنا

لنا البلاء ويضعف لنا الاجر وفي المسند عن فاطمة بنت عتبة قالت اتينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعوده في نساء فاذا سقاء معلق نحوه يقطر ماؤه عليه من شدة ما يجده
من حر الحمى فقلنا يا رسول الله لو دعوت الله شفاك فقال ان من اشد الناس بلاء الانبياء
ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم من لا تصيبه الحمى والصداع
من اهل النار فجعل ذلك من علامات اهل النار وعكسه من علامات المؤمنين ففي المسند و
النسائي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي هل اخذتك ام ملدم فقال يا
رسول الله وما ام ملدم قال حر يكون بين الجلد واللحم قال ما وجدت هذا قال يا اعرابي هل
اخذك هذا الصداع قال يا رسول الله وما الصداع قال عروق تضرب على الانسان في راسه قال
ما وجدت هذا فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى رجل من اهل النار
فلينظر الى هذا وخرج الطبراني من حديث انس ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
متى عهدك بام ملدم قال وما ام ملدم قال حر يكون بين الجلد والعظم يمص الدم ويأكل اللحم
قال ما اشتكيت قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى رجل من اهل
النار فلينظر الى هذا ثم قال اخرجوه عني وفي المسند عن ابي بن كعب قال دخل رجل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال متى عهدك بام ملدم وهي حر بين الجلد واللحم قال ان ذلك لوجع ما
اصابني قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامة تحمر مرة وتصفر اخرى وقد
اختار النبي صلى الله عليه وسلم الحمى لامته عموما ولاهل مدينته خصوصا وللانصار من اهل
قبا خصوصا فاما الاول ففي المسند عن ابي قلابة قال نبئت ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما
هو ذات ليلة يصلي قال في دعائه فحمى اذا وطاعونا قالها ثلاث مرات فلما اصبح ساله انسان
من اهله عن ذلك فقال اني سالت ربي ان لا يهلك امتي فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا
من غيرهم فيستبيحهم فاعطانيها وسالته ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض فابى
علي او قال فمنعت فقلت حمى اذا وطاعونا حمى اذا وطاعونا يعني ثلاث مرات واما الثاني
ففي المسند ايضا عن عسيب مولى النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل
بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام والطاعون شهادة لامتي و
رحمة لهم ورجز على الكافرين ولا ينافي هذا ما في الصحيح عن عائشة قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في اهله
والموت ادنى من شراك نعله وكان بلال اذا اقلع عنه يرفع عقيرته ويقول

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة ... بواد وحولي اذخر وجليل
وهل اردن يوما مياه مجنة ... وهل تبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة ابن ربيعة وامية بن خلف كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد اللهم بارك لنا في
صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة قالت وقدمنا المدينة وهي اوبى ارض الله قالت
فكان بطحان يجري نجلا يعني ماء آجنا فان المراد بالحمى في هذا الحديث الوبا وهو وخم الارض وفساد
مائها وهواها المقتضي للمرض وقد نقل ذلك من المدينة الى الجحفة كما في صحيح البخاري عن ابن عمر

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت امراة سودا ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي
الجحفة فاولتها ان وبا المدينة ينقل الى الجحفة واما الحمى المعتادة فهي التي امسكها النبي صلى الله عليه
وسلم بالمدينة وهي التي تكون بالارض الطيبة والبلاد الهنية الصحيحة هواؤها وماؤها واما الثالث
وهو تخصيص الانصار بها ففي المسند ايضا وصحح ابن حبان عن جابر قال استاذنت الحمى على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من هذه قالت ام ملدم قال فامر بها الى اهل قبا فلقوا منها ما يعلم الله
فاتوا فشكوا ذلك اليه قال ما شئتم ان شئتم ادعو لكم يكشفها عنكم وان شئتم ان تكون لكم طهورا قالوا يا
رسول الله او تفعل قال نعم قالوا فدعها وخرج الخلال في كتاب العلل من حديث سلمان الفارسي قال استاذنت
الحمى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من انت قالت انا الحمى ابري اللحم وامص الدم قال اذهبي الى اهل قبا فاتتهم فجاؤا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصفرت وجوههم فشكوا الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما شئتم
ان شئتم دعوت الله فكشفها وان شئتم تركتموها فاستنظفت بقية ذنوبكم قالوا بل دعها يا رسول الله
وقد كان كثير من السلف الصالح يختار الحمى لنفسه كما سبق عن ابي ابن كعب انه دعا لنفسه بالحمى وروي من
وجه اخر من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا بها قال كفارات
قال ابي وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا ابي على نفسه ان لا يفارقه الوعك حتى يموت في ان لا يشغله
عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله ولا صلاة مكتوبة في جماعة فما مسه انسان الا وجد حرها حتى مات خرجه الامام
احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال على شرطهما وخرج النسائي اول الحديث فقط وقد سبق عن سعد بن معاذ نحو
ذلك وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن عطاء عن ابي هريرة قال ما من مرض احب الي من هذه الحمى انها تدخل في كل
مفصل وان الله عز وجل يعطي كل مفصل قسطه من الاجر ووضع بعض ولد الامام احمد يده عليه فقال له كانك
محموم فقال احمد اني لي بالحمى ومع هذا كله فالمشروع سؤال الله العافية لا سؤال البلا وقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم يامر بسؤال العافية ويحث عليه وقال لمن سال البلا وتعجيل العقوبة له في الدنيا انك لا تطيق ذلك الا قلت ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وسمع رجلا يسال الصبر فقال سالت الله البلا فسل
العافية وفي دعائه بالطايف وقد بلغ منه الجهد بما اصابه من اذى المشركين ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي
ولكن عافيتك اوسع لي وقال لا تمنوا لقاء العدو ولكن سلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا وكان
بعض السلف يقول في دعائه في المرض اللهم انقص من الوجع ولا تنقص من الاجر ومن هنا كره تمني الموت فانه
استعجال للبلا قبل وقوعه كما قال ابن عمر لمن سمعه يتمنى الموت فانك ميت ولكن سل الله العافية وفي المسند
عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من سعادة المرء
ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة والحمى هي بريد الموت ورائده فتمنيها كتمني الموت فيجوز حيث
يجوز تمني الموت وكان ابو الدردا يقول احب الموت اشتياقا الى ربي واحب المرض تكفيرا لذنوبي و
احب الفقر تواضعا لربي وفي حديث عبد الرحمن بن المرقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الحمى
رائد الموت وسجن الله في الارض خرجه ابو القاسم البغوي وقال حسان بن عطية ذكرت
الحمى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك ام الدم تلدم اللحم والدم وروي عن الحسن
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض يحبس عبده
اذا شاء ثم يرسله اذا شاء وقال ابن شبرمة عن الحسن قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض للمؤمنين وقال سعيد ابن
جبير الحمى بريد الموت خرجه كله ابن ابي الدنيا اخر ما ذكر المصنف رحمه الله تعالى
وعفى عنه امين ووقع الفراغ من نسخها في اليوم الثالث عشر من شهر ربيع اول ١٣٣٤ في بلد
الرياض حالة كون الضعيف يلتمس العلم وهو كاتبه لنفسه عبده عبد الله بن ابراهيم الربيعي غفر الله له
ولوالديه ومشايخه ومن احسن اليه وللمسلمين وصلى الله

فائدة قال بعض السلف

الله المستعان على السنة تصف وقلوب تعرف
واعمال تخالف

فائدة اخرى

قال ابن عقيل رايت الناس لا يعصمهم من الظلم الا العجز ولا اقول
العوام بل العلما كانت ايدي الحنابلة مبسوطة في ايام ابن يوسف و
كانوا يستطيلون بالبغي على اصحاب الشافعي في الفروع حتى ما يمكنوهم
من الجهر بالبسملة والقنوت وهي مسئلة اجتهادية فلما جاءت
ايام النظام ومات ابن يوسف وزالت شوكة الحنابلة استطالت
عليهم اصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة فاستعدوا
بالسجن واذوا العوام بالسعايات والفقهاء بالنبز بالتجسيم قال رحمه الله
فتدبرت امر الفريقين فاذا بهم لم تعمل فيهم اداب العلم وهل هذه الافعال
الا اجناد يصولون في دولتهم ويلزمون المساجد في بطالتهم انتهى كلامه رحمه الله
تعالى

فائدة فيما يتحمل الامام عن المأموم للشيخ صالح ابن يونس العتيقي رحمه الله تعالى

ويحمل الامام عن مأموم ... ثمانيا تعد في المنظوم
فاتحة كذا سجود السهو ... وسترة مع القنوت المروي
وسمع الله مع السجود في ... تلاوة الامام سرا فاقتفي
وهكذا تلاوة المأموم ... مع الامام فافهمن منظومي
تشهدا اول عمن قد سبق ... بركعة من اربع فكن محقق

انتهى